أرسين لوبين

الغريمان



مغامرات " أرسين لوبين "

ذو الشخصيَّة الفذَّة في إقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، و الذي ذاعت شهرته حتى تفوَّقت على كل الشخصيات البوليسية التي تُصوِّر الجريمة وتحلِّلها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنّما يُكرِّس حياته للكشف عن الجريمة وتعقّب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنّه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كانْ يخصّهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدّى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتّشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أُطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يُجيد التنكُّر ويظهر في شخصيات متعدِّدة.

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

الغريمان

(٥٠)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

تلفون : 00 961 9 262 939

فاكس : 00 961 9 260 401

القسم الأول

الفصل الأول

رجعت مدام "ديتول" إلى دارها مبكرة عما كانت تنوي ، فعبرت المدخل ومرت بغرفة البواب فتسلمت رسائلها .. ثم صعدت السلم على مهل صوب الطابق الثاني حيث تقيم .

وعلى الدرجة الكبرى تريثت هنيهة .

تريثت أمام المرآة الكبيرة المثبتة في الجدار .. وراحت تجيل فيها عينيها متطلعة في افتتان وإعجاب إلى صورتها : دأبها كلما ارتقت السلم وأخذ بصرها المرآة . !

كانت بوجهها مسحة من الشحوب لم تخفها مبالغتها في التجمل..

وكانت في تانقها مغرقة مسرفة إلى حد لايوصف إلا بالتبهرج.. ومع هذا فقد كانت تمثل ناحية من نواحي ذلك الجمال الذي استهوى في يوم من الأيام مسيو "ديتول" (احد رجال الأعمال الأثرياء) فاقدم على الزواج بها مفتونا ماخوذا ، مغمض العينين . وحين استفاق ادركه الندم وتولته الحسرة إذ ساءه منها إسرافها وتبذلها وخلاعتها .

وفي المرآة . المرآة المؤاتية المجاملة .. لم تر شحوب لونها ولا الخطوط الزرقاء البادية تحت عينيها . لا .. ولا الوجنات التي تستمد نضرتها وتالقها من الطلاء والمساحيق .

بل إنها على النقيض لم تر إلا ما تشيعه عيناها من السحر وبواعث الإغراء .. لم تر إلا دلالها واناقتها وفتنتها .

وابتسمت راضية ..

وطالعها من ابتسامتها لون جديد من الوان الفتنة طابت به نفسا وداخلها منه سرور فياض .

والحق انها كانت في هذه اللحظة مثالا للأنوثة الناضجة المتدفقة ، الأنوثة المتلهفة إلى ما كان في شباب مضى وعفا عليه الزمن .

لقد تناولت غداءها في ذلك النهار في أحد المطاعم وفي رفقتها أربعة من الأصدقاء تطلق عليهم ابنتها "نيلي روز" لقب "الفرسان" وتذيع الألسن المتقولة اللاذعة انه كان لثلاثة منهم علاقة وثيقة بها حتى على عهد زوجها .. وكانت في أثناء الطعام مبتهجة منشرحة الخاطر، لاتفتأ تبتسم وتضحك ، وتبدي من دلالها ومفاتنها ما ادار رؤوس فرسانها والهب دماءهم .

آه .. ! إن الحياة - على الرغم من همومها ومتاعبها - مازالت جميلة خلابة تحمل في طياتها أسباب الهناء . !

على أنها حين بلغت الطابق الثاني لم تملك إلا ان قطبت جبينها وعبست .. تناهت إلى سمعها من داخل المسكن انغام الموسيقى : صوت البيانو مصحوبا بنغم الكمان .

وغمغمت تقول متذمرة :

- ياللّه . ! إنه "دومينيك" و"فيكتورين" . ! لقد عادا إلى العزف.!

والموسيقى عند الخادمين داء لاشفاء منه . ! فما تغادر ربة الدار المنزل حتى تهرع وصيفتها إلى البيانو . على حين يعمد زوجها (رئيس الخدم) إلى كمانه فيعزفان عليهما أعذب الألحان وأشجاها وقد انبعثت من عيونهما نشوة غامرة .

وفي استياء يكاد يبلغ مرتبة الغضب دقت مدام "ديتول"جرس الباب وأجابها من الداخل لحن (الأرملة الطروب) . !

وتحولت إلى باب جانبي صغير يفضي مباشرة إلى الغرف التي تشغلها ابنتها "نيلي روز" فقرعت الجرس وانتظرت برهة ، ولكن لم يلب نداءها أحد ، إذن فابنتها لاتزال غائبة عن الدار .

وذكرت عند هذا أن مفتاح الباب الكبير في حقيبتها ، فتناولته وفتحت الباب وعبرت الردهة .

وحانت منها لفتة إلى الطاولة القائمة في أقصى الردهة فرأت خطابا موضوعا عليها ، واستدلت من غلافه أنه من المصرف الذي تعامله .

وفضت مدام "ديتول" الخطاب وهي متوجعة قلقلة وقرأته :

"سيدتي ..

اتشرف بأن أعزز بهذا الخطاب المسجل الذي وصلك في هذا الصباح والحديث التليفوني الذي دار بيننا . إن خسائرك التي منيت بها في هذا الشهر قد أكرهتنا على بيع السندات التي أودعتها لدينا بصفة ضمان فاقدمنا على تصفية مركزك بسعر البورصة اليوم ، وقد ترتب على هذه التصفية هبوط جسيم في قيمة هذا الضمان .

"ولذا نرجوك أن تتفضلي بسداد المبالغ المطلوبة منك في موعد أقصاه نهاية هذا الشهر تفاديا من اتخاذ الإجراءات القانونية .. إلخ ."

وكان لهذا الخطاب في نفسها أثر عميق فظلت واجمة برهة وقد استغرقتها الخواطر . ونسيت أنها كانت تنوي أن تؤنب وصيفتها ورئيس خدمها . وحين رأت "فيكتورين" لم تزد على أن سألتها وهي شاردة :

- أرجعت الآنسة ؟ .

- أظنها لم ترجع يا سيدتي .

وألقت مدام "ديتول" نظرة عاجلة على ماكان بين يديها من خطابات . إنها إخطارات وإنذارات من بعض التجار .. وحسابات من بعض الخياطات .. وتنهدت وارتعدت يدها .

ثم دخلت قاعة الاستقبال وقالت تخاطب "فيكتورين" :

- أعدي مائدة "البريدج". وإذا جاء الضيوف فانبيئهم أني سأوافيهم على الفور .

ثم غادرت الغرفة وهي لاتزال مقطبة الجبين شاردة النظرات ..

واجتازت دهليزا طويلا فتحت بابا في صدره فإذا هي في الجناح المخصص لابنتها ..

وإذا كانت الغرف التي تشغلها الأم مثالا للحياة البوهيمية المغرقة في الترف وضالة الحظ من التنسيق . فقد كان جناح ابنتها على النقيض مثالا للرقة والجمال وسلامة الذوق .

وما تخطت مدام "ديتول" العتبة حتى فتح الباب الصغير المتصل بالسلم ودخلت ابنتها "نيلي روز"

و"نيلي روز" هيفاء ممشوقة القوام ... رشيقة الخطو توحي ثيابها بأناقة تنطوي على ذوق سليم .. وهي إلى هذا تمتاز بجمال صاعق

أخاذ لاتخطئه العين وتلمس فيه من فورك روح الأنوثة المتوثبة المتحفزة .. ولكن في الوقت الذي تستهويك فيه أنوثتها فتتمنى لوطوقتها بذراعيك .. في هذا الوقت يصرفك عنها ويحملك على احترامها شعورك بطهارتها ونبلها. فإن لها وجها بريئا يحاكي وجوه الأطفال وعينين صافيتين في زرقتهما رقة تدعو إلى الاحترام وصراحة تثير الإعجاب .

وهي من ناحية فتاة عصرية تدرك حق الإدراك الجو الذي تعيش فيه ، وهي من ناحية أخرى فتاة عاملة مجدة تنزع إلى الاحتشام .

وتلاثمت الأم وفتاتها في حرارة لم يخمد قوتها تباين مشاربهما ولا حياتهما المنفصلة .

وقالت الفتاة :

- لقد جئت يا أماه لأقابلك وأنا على عجل من أمري .. تصوري أن الاجتماع سيعقد في الساعة الثالثة .. ولاتدعيني أنكرك بأنهم يعتمدون على معونتك .

فقالت الأم :

- أمن الضروري حقيقة يا عزيزتي "نيلي روز" أن احضر هذا الاجتماع ؟ ..

فعقدت الفتاة ذراعيها على صدرها وتظاهرت بالاستياء وقالت معاتبة :

- ماما .. ! ماما .. ! أيكون لك شرف عضوية اللجنة ومع ذلك تريدين أن تتخلفي عن الاجتماع الذي سالقي فيه خطابا بصفتي سكرتيرة دار المعامل ..؟ إني والله عاتبة عليك . !

فضحكت الأم وقالت :

- يالك من طفلة غريبة الأطوار يا "نيلي روز" .. ؟ الحق أني لا أدري ما الذي يحملك على أن تكرسي وقتك لهذه الأبحاث العلمية السخيفة المرهقة التي لا ارتاب في أنها ستحطم راسك في يوم من الأيام .. الكيمياء .. الطب .. ! الصيدلة .. ! ما شانك أنت وهذه العلوم ..! أيكون لك هذا الجمال ؟ .. وتكونين في سن العشرين ثم .. ! أوه .. ! هذا لايطاق .. !

فضحكت "نيلي روز" وقالت :
- إنه نوع من أنواع الغرام يا أماه .
وهزت الأم كتفيها وقالت :
- وياله من غرام .. ! أرجو على الأقل أن تجدي بين القنينات والمواد الكيميائية زملاء ..
فقاطعتها "نيلي" بقولها :
- زملاء مرحين جذابين يذهبون عني الوحشة .. !
- بل زملاء تلتمسين من بينهم زوجا .
فانفجرت "نيلي روز" ضاحكة ثم قالت :
- زوجا .. ولكني لا انوي أن اتزوج يا أماه .
- لست أقول إن الزواج ضروري . وإنما قصدت أن اقول إني أرجو أن تجدي بينهم زميلا يغازلك و ..
- يغازلني .. ! مسكينة انت يا أماه .. ! لشد ما تخلف بك الزمن.! في هذا العصر اصبح الشاب لايغازل الفتاة .. ! إن المغازلة اثر من آثار الماضي .. ! وإذا كان هناك من يغازلني فهو صديقك "فالنيه" أحد فرسانك الأربعة .. ! إنه هو الوحيد الذي لا يفتا يغازلني .. ! أما زملائي في المعمل فرجال : جد وعمل طاهر وضمير . !
فضحكت الأم ساخرة وقالت :
- إني لا أؤمن كثيراً بطهارة الضمائر في بيئة ليس فيها إلا فتيات وفتيان . ! ماذا . ؟ اتريدين أن تقولي إن شباب هذه الأيام قد أصبحوا في طهارة النساك . ! إني أخشى يا ابنتي أن تسوء الأمور يوما ما . !
فنظرت الفتاة إلى أمها في استغراب وقالت :
- تسوء الأمور إذا ماشجعتهم . ! ولكني أعرف كيف الزم الشبان حدهم . ! فاطمئني من ناحيتي يا أماه . !
فهزت مدام "ديتول" رأسها وقالت :
- إنك لاتزالين غريرة ساذجة يا بنيتي . ! إنك لاتفهمين أسرار الحياة . ! نعم إنك تعيشين خارج حدود الحقيقة . تعيشين في جو من الأوهام والخيالات .. ولطالما كانت الحقيقة يا ابنتي اليمة ومريرة . !
وبوغتت "نيلي روز" بما سمعت .. ! إنها لم تر أمها في يوم من الأيام

إلا مثال المرحة الطروب . فلم هذا التشاؤم . ؟

وتفرست الفتاة في امها وقالت :

- ما الذي بك يا أماه العزيزة . ؟ لم هذا التشاؤم ؟ صارحيني بما في نفسك . ؟

فقالت الأم في حرارة :

- لا شيء يا ابنتي .. لاشيء على الإطلاق.!

- ولكن ...

- كل ما هنالك أني اتمنى في بعض الأحيان لو انك نظرت إلى الحياة نظرة جدية .

- أمعنى هذه النظرة الجدية أن انصرف عن دراستي وأن أترامى بين قدمي زوج أعيش في كنفه مدى الحياة . ؟

- ربما .. !

- في كنف صاحبك "جوستاف فالنيه" بلاريب . ؟

- لست أعنيه هو على وجه التخصيص . ومع ذلك فـ"فالنيه" ثري ويصلح أن يكون زوجا .

- لدي فكرة يا أماه . ! لم لا تتزوجين أنت هذا الرجل الثري . ؟ هيه .. ؟ ما رأيك في هذا الاقتراح .. ؟ اتحبين أن أطلب إليه أن يخطبك . ؟ والآن فلندع يا أماه مسالة الزواج ولنتحدث فيما هو أهم وأجدى .. لابد من حضورك الاجتماع وإني أعتمد عليك . فدعي بالله فرسانك الأربعة وتعالي اسمعي خطاب ابنتك "نيلي روز" الفتاة التي لاتنظر إلى الحياة نظرة جدية . !

وبعد دقيقتين كانت "نيلي روز" منطلقة بسيارتها إلى دار المعامل وقد تولت قيادتها بنفسها .

* * *

وكان ذلك بعد ظهر يوم من أيام السبت .

وكان هناك خمسة من الشبان وفتاة جالسين في المعمل الكبير وقد ارتدوا معاطفهم البيضاء حين دخلت عليهم "نيلي روز" عارية الرأس مرتدية معطفا على شاكلة معاطفهم فانضمت إليهم واتخذت مجلسها

بينهم .
وصافحت الأيدي التي امتدت إليها وقالت :
- طاب نهارك يا"فيرني" .. وأنت يا"لاكوست" ..إني أشكركما على حضوركما اليوم ومزاولتكما العمل . وكيف حالك يا "زينيا" .؟
وكانت الفتاة التي وجهت إليها "نيلي روز" الحديث بولندية الجنسية هبطت فرنسا سعيا وراء العمل .
وقالت الفتاة :
- إني بخير .. شكراً .
وقال "فيرني" :
- لقد أردنا بحضورنااليوم أن نحيي فيك سكرتيرة الدار إذ لاشك أنه سيكون لخطابك صدى بعيد .. إننا لن نحضر الاجتماع ولكن يجب أن تعلمي أننا نؤيدك من كل قلوبنا .
فقالت "زينيا" :
- أما أنا فساحضر الاجتماع .. أليس كذلك يا"نيلي روز" . ؟
فضحك "فيرني" وقال :
- إن "زينيا" صحفية بارعة لاتدع فرصة لأداء عملها الصحفي إلا اغتنمتها .
فصاح آخر :
- إن نزعة الصحافة في اعتقادي تتغلب في صدرها على نزعة العلم. !
فضحكت "زينيا" وقالت :
- إلى أي شيء ترمون بهذه الثرثرة . ؟ أكنتم تريدون مني أن أشتغل سائقة سيارة مثلا لأكتسب رزقي . ؟ لقد عهدت إليّ هذه المجلة البولندية بمراسلتها على أن تنقدني أجرا طيبا فلم لا أفعل..؟
فقالت "نيلي روز" :
- دعوها في سلام أيها الرفاق .. ! إن مراسلة الصحف من أعذب المهن وأحبها إليّ .. ! وأنا من ناحيتي لايمكن أن أتردد في قبول هذا العمل بل إني لا أتردد في القيام بأي عمل مهما كان نوعه .. ! كل مهنة في الحياة تطيب لي .. ! والحياة نفسها تطيب لي .. ! وفي الحق إني

أسال نفسي عما يبعث السامة في نفوس بعض الناس .. !

فصاح "فيرني" :

- آه .. ! هذه هي الفتاة العصرية تتحدث .. ! إنك مثال للفتاة العصرية القوية الإرادة يا "نيلي روز" .. !

واقتربت "زينيا" من "نيلي روز" وقالت :

- ليت شعري هل ذكرت ماطلبته منك .. ؟ إني أراهن على أنك نسيت.. !

- أتظنين ذلك .. ؟

لقد أتيتك بثلاث .. !

وبسطت يدها إلى "زينيا"بمظروف كبير فتناولته هذه وأخرجت منه ثلاث صور كبيرة تمثل كل منها "نيلي روز" في وضع جميل ساحر .

وهتف "زينيا" في إعجاب :

- أوه .. ! شكراً لك .. ! وما أجملها .. ! لقد فتنتني .. !

فقالت "نيلي روز" :

- والآن هيا بنا إلى العمل .

ولم تكف "نيلي روز" عن العمل إلا حين شارفت الساعة على الخامسة.. إذ ذاك خلعت مئزرها الأبيض وارتدت معطفها وقبعتها ونثرت مسحوق البوردة على وجنتيها كأنها ممثلة توشك أن تظهر على خشبة المسرح . ! ثم مضت إلى قاعة الاجتماع لتلقي خطابها .

وكان في القاعة نفر من الرجال والنساء من ذوي المكانة الاجتماعية البارزة عرفت "نيلي روز" من بينهم أمها وقد تصدرت المكان .

ووقفت "نيلي" عند المنصة وشرعت تلقي الخطاب .. وكان صوتها في أول الأمر يرتعد ثم مالبث أن سكن .وكان صوتا جليا واضح النبرات .

وكانت في خطابها قوية التعبير . وقد عرفت كيف تحسن تصوير الموقف في طلاقة وإيجاز ..

لقد انحدرت المعامل إلى مستقبل مظلم ، وأصبح البحث العلمي يؤذن بالزوال . وذلك لسوء الحالة المالية .. كانت المعامل تعتمد في القيام بأبحاثها على مايتبرع به أهل الخير .. ولكن هذه التبرعات انكمشت وتضاءلت حتى أصبح الصندوق خاويا .. فما العمل ؟ لابد

من الاهتداء إلى وسيلة ناجعة وعاجلة لجمع المال .. والأعمال العظيمة الرائعة التي تقوم بها معامل الأبحاث العلمية لايمكن أن تتم بنجاح إلا إذا اجتمعت لدى المعامل ملايين من الفرنكات ..! فهل يقضى على هذا العمل الإنساني النبيل الجليل بالموت لنضوب المال .. ؟" .

وكان صوت "نيلي روز" متهدجا وهي تلقي بهذه الكلمات المؤثرة..

وكانت الحماسة بادية في عينيها وإيماءاتها .. ولم يملك الرجال الذين يتصدرون قاعة الاجتماع من ترديد عبارات الإعجاب والتقدير ..

واختتمت "نيلي روز" خطابها بقولها :

- والآن : ما العمل .. ؟ ما العمل .. ؟

ودعت الحاضرين إلى الإدلاء بما يعن لهم من اقتراحات لتلافي هذه الحال .

وقال أحد الحاضرين :

- الراي عندي أن نكف عن متابعة البحث ونوصد المعامل. فقالت "نيلي روز" مستنكرة :

- ومن ذا الذي يطاوعه ضميره على القضاء على هذه الأبحاث العلمية الجليلة الأثر .. ؟ لابد من الاهتداء إلى وسيلة لإثارة حركة تبرعات قوية .

- فلنناشد الصحافة المعونة .. فلنقم بحملة صحفية واسعة النطاق .

- سيكون أثرها محدودا ونحن في حاجة إلى ملايين تتلوها ملايين.

- ما العمل إذن ..

وفجاة انبرت مدام "ديتول" تقول :

- هناك طريقة واحدة تكفل النجاح .. وابنتي هي صاحبة هذا الاقتراح .. إنها تشير بعمل يا نصيب .. يا نصيب كبير ذو جوائز. وجوائزه عبارة عن التبرعات التي يسخو بها الناس .. وإنه لرأي سديد . اليس كذلك يا "نيلي روز" .. ؟

فمضت "نيلي روز" تشرح فكرتها قائلة :

- وهذاالمشروع في رأيي غير معرض للخسارة .. ولكن اتقاء الخسارة لايكون إلا باتخاذ التبرعات أساسا للجوائز .. نعم.. فليتبرع

كل إنسان بما يشاء . لانريد مالا فحسب وإنما نريد أشياء مادية . أشياء عينية . فليقدم كل مما لديه . سنحاول أن نثير فضول الناس واهتمامهم . ليقدم هذا أسبوعا من عمله . وليقدم ذاك ليلة تمثيلية في احد المسارح وليقدم ثالث بضع مئات من كتابه الحديث الذي طبعه . وهكذا ..

نريد ان نفسح المجال للتبرعات . ! صور فنية .. آلات موسيقية.. قصائد .. كتابة .. احذية .. سيارات . مكاتب .. واثاثات اثرية.. عقود .. أساور .. سنطلب من كل إنسان أن يتبرع .. وعلى كل إنسان أن يتبرع باي شيء . !

فقالت إحدى الحاضرات وقد أضحكتها حماسة الفتاة :

- وانت يا"نيلي روز" باي شيء تنوين أن تتبرعي ؟

فتحولت الفتاة إلى سائلتها وقالت :

- أنا .. ؟ ساتبرع بما يطلب مني .. ! إني على استعداد لكل ما يطلب مني . !

فضحك الحاضرون إذ سمعوها تردد هذا القول في حماسة . وقالت السيدة التي وجهت إليها السؤال مستطردة :

- على استعداد لكل ما يطلب منك يا"نيلي روز" . ؟

- نعم على استعداد لكل ما يطلب مني . ! فامام هذه الغاية الإنسانية النبيلة لايحجم المرء ولا يتردد .

فقالت المرأة :

- إذن ستكونين انت الجائزة الكبرى . !

وضج الحاضرون بالضحك وقالت مدام "ديتول" :

- أوه . ! ارجوك الا تخرجي كلام ابنتي إلى غير مارمت إليه.!

وإنه ليحسن بك يا "نيلي روز" أن تكوني اشد حرصا على مرامي كلامك . ! إنك تلقين الكلام جزافا دون أن تتدبري معناه .

- وكيف ذلك يا أماه . ؟

فقالت السيدة :

- لقد أصابت أمك في تحذيرك فقد تعهدت باكثر مما ينبغي .؟

- تعهدت باكثر مما ينبغي . ؟ كيف ؟

وأدارت "نيلي روز" بصرها في الحاضرين والحاضرات فلم تر إلا ابتسامات وغمزات .. وإذ ذاك انكشفت لها الحقيقة فجاة وأدركت المعنى البعيد الذي صرفوا إليه كلامها حين قالت إنها على استعداد لكل ما يطلب منها ! فتضرج وجهها احمراراً وغضت من بصرها . !

على استعداد لكل ما يطلب منها . ! هذا معناه أنها على استعداد لأن تتبرع بنفسها . ! على استعداد لأن تقدم نفسها . !

وعلى أثر ذلك سارت المناقشة في مجراها الطبيعي وبدءوا يتداولون في اليانصيب وشروطه .

وأخذت "زينيا" بذراع "نيلي روز" وانتحت بها ركنا من القاعة وقالت لها :

– دعيني اهنئك يا"نيلي روز".! لقد اصبت من النجاح اضعاف ما كنت أتوقع . ! ولقد سرني عرضك الجريء . ! بانك على استعداد لكل ما يطلب منك ! هذه في الحق تضحية نبيلة تقدم عليها فتاة نبيلة من أجل غرض نبيل . إني اهنئك من كل قلبي !

فقالت "نيلي روز" وهي تهز كتفيها معترضة :

– أجننت يا"زينيا".! إني لم أكن جادة في قولي . ! وما كان هذا مارميت إليه . !

– لم تكوني جادة في قولك . ! إن هذا هو الجد بعينه ياصديقتي! سابعث إلى مجلتي "فرنسا في بولندا" بمقال عنك أشير فيه إلى اقتراحك الجريء وساصدره بصورك الثلاث . !

فتخضب وجه "نيلي روز" احمرارا للمرة الثانية وقالت ضاحكة :

– إياك أن تفعلي هذا . ! يالها من فكرة . ! أنا . ؟ أصبح الجائزة الأولى في اليانصيب . ؟ يالها من فكرة !

– ولم لا .؟ إنها فكرة جريئة . ! فكرة نبيلة وعصرية أيضا .. ومع ذلك فلن أذكر اسمك ! حسبي أن أنشر الصورة .

– أنت تريدين أيضا أن تنشري اسمي . ! حقا .. لم يكن ناقصا إلا هذا . ! بالله عليك دعيني في سلام .

ولكن "زينيا" استطردت قائلة :

– يالها من فكرة ."نيلي روز" الجائزة الأولى .. القطعة الأولى

المعروضة في المزاد .. وسأذكر في مقالي أن الثمن الأساسي خمسة ملايين فرنك .

فصاحت "نيلي روز" :

- أجننت . ؟ إياك أن تشيري إلى هذا الموضوع بحرف واحد .

الفصل الثاني

زايلت مدام "ديتول" قاعة الاجتماع وحدها دون أن تنتظر ابنتها!
وحين غادر "نيلي روز" المكان كانت لاتزال ماخوذة بما جرى في الاجتماع ، فيداها ترتعدان وعيناها تتالقان وصدرها يعلو وينخفض ، ولكنها إذ بلغت دارها كانت قد تغلبت على انفعالها و سيطرت على أعصابها ، فدخلت قاعة الاستقبال .. تسير في سكون وثبات، وهناك رأت أمها وفي رفقتها أصحابها الأربعة الذين لايفترقون لحظة واحدة حتى لقد أطلقت عليهم "نيلي روز" لقب "الفرسان الأربعة" قياسا على فرسان رواية " "اسكندر ديماس" الشهيرة .!
وكانت مدام "ديتول" تروي لهم نبأ ما حدث في الاجتماع ، وكيف أن لسان "نيلي روز" جرى بكلمات لم تتدبر مراميها الخفية .
وضحك من بين السامعين ثلاثة واتخذوا من الحادثة مادة للدعابة والمزاح . أما رابعهم - "جوستاف فالنيه" - فلم يشاطرهم ضحكهم بل لبث صامتا جامدا لاينبس بحرف واحد ، وقد علا سحنته القطوب ..
و"فالنيه" رجل قد استكمل الشباب ، نحيف البنية ، طويل القامة، شديد التانق ، يحف شاربه على الطريقة العصرية ، ويجمل شعره بالأدهان .. فالفرق بينه وبين الفرسان الثلاثة شديد بعيد ..
أصغى "فالنيه" إلى حديث ومزاح أصدقائها ، متبرما ، ضيق الصدر ولاعجب ، فهو يحب "نيلي روز" .. ويهيم بها غراما ... وغرامه من طراز تغلب عليه الأثرة وحب الذات .

وإنه ليرجو أن يقترن بها ولقد تقدم إليها يخطبها . ولكنها ردته خائبا وأبت عليه رجاءه ... فلماذا . ؟ لقد راح يلقي على نفسه هذا السؤال ويحاول أن يتبين الأسباب التي حدت بها إلى رفض الاقتران به فاعياه التفكير . ! إنه غني واسع الثراء .. وسيم الوجه .. أنيق الثياب .. فاي عيب تاخذه عليه . !؟ إنها لاتفتا تسخر منه وترميه بدعابات لاذعة تنال منه وتحز في صدره.. وهو المحب المتيم الصبور .!
على أن تطوراً جديدا طرأ على المسالة .لقد جدت ظروف منذ أيام

جعلته يرجو وأنعشت أمله .. فهل سيجد في هذه الظروف ما يحمل الفتاة على قبول الزواج منه . ؟

وقالت مدام "ديتول" حين رأت ابنتها :

- أهذي أنت يا"نيلي روز" .لقد رويت لهؤلاء السادة كيف انزلقت وعثر بك اللسان أثناء الاجتماع .

فقهقهت "نيلي" ضاحكة :

- أوه . ! أمازلت يا أماه تفكرين في هذا . ؟ إنها مسألة لا أهمية لها على الإطلاق !

- لا أهمية لها لأن الحاضرين أدركوا أنك تلقين الكلام جزافا بلا تدبر فينبغي ياعزيزتي أن تتدبري القول قبل أن يتفوه به فوك.. تصوري .. أنت على استعداد لكل شيء . ! ماذا تظنين .؟

فضحكت "نيلي روز" وهزت كتفيها وقالت :

- لست أدري . !

- لنفرض يا صغيرتي أنهم طلبوا إليك ...

فقالت "نيلي روز" مقاطعة :

- لست أنكر يا أماه أني تكلمت بلاترو .. وإني با لتأكيد الحال لم أكن أرمي إلى المعاني البعيدة التي أخرج إليها حديثي . ولكن ليس معنى هذا أني أتنصل من تبعة كلماتي تنصلا تاما . كلا .. إني على استعداد لأن أبذل من نفسي الشيء المعقول .. لنفرض مثلا أنه طلب إليّ أثناء السوق الخيرية أن أقدم قبلة .. فهل يضيرني ذلك . ؟ كلا .. إن الفتيات في الأسواق الخيرية يبعن القبلات فهل ..

فقاطعتها الأم بدورها قائلة :

- ولكنك لم تعلني أنك ستبذلين من نفسك مجرد قبلة .. وإنما قلت إنك ستبذلين نفسك كلها ؟

- سأبذل نفسي ؟ ماذا تعنين .؟

- نعم .. نفسك .. مادمت على استعداد لكل ما يطلب منك . !

فهزت "نيلي روز" كتفيها وقالت :

- أرجو يا أماه ألا تعلقي أهمية على ما صدر مني .. إنك تسرفين في التخريج والاستنتاج .. إنها كلمات ألقيت عفوا ولا أثر لها .

فقالت الأم في إصرار :
- وما يدريك أن الصحف ستتناول هذا الحادث بالتعليق المسهب فتفسره كما فسرناه فإذا بك تصبحين مضغة في الأفواه .. !
- لا تقولي هذا يا أماه إن الناس لن يحملوا كلامي إلا على محمل الهزل .
- إيه .. أرجو ذلك .. والآن هيا بنا أيها الأصدقاء نلعب "البريدج" .
وأصغى "فالنيه" إلى الحديث وهو لا يزال على عادته مقطب الجبين. وازداد عبوسا حين سمع "نيلي روز" تبدي استعدادها لأن تبذل قبلة لمن يتبرع لدار المعامل بمبلغ جسيم وتقول إن هذه القبلة لن تضيرها شيئا . وإذ دعت مدام "ديتول" أصحابها إلى"البريدج"نهض واقفا وهو يقول :
- العبوا أنتم واسمحوا لي بان اتنحى فإني اشعر بصداع .
وانتظم الآخرون حول المائدة على حين تحول "فالنيه" إلى "نيلي روز" التي كانت منهمكة في تصفح إحدى المجلات وقال لها :
- اتحبين أن تاتي معي إلى الغرفة المجاورة فإن لدي ما احب أن اكاشفك به .
فرمته بنظرة فاحصة من عينيها الصريحتين ثم مضت معه إلى غرفة الجلوس المجاورة وقالت تسأله :
- ليت شعري اي امر خطير تريد أن تكاشفني به على انفراد ؟
فقال وفي لهجته نبرة تنطوي على الألم :
- أرجوك يا "نيلي روز" أن تكفي عن السخرية مني .. ! إن استخفافك بي يكاد يفقدني الصواب .. واليوم احب ان اتحدث إليك في أمر على جانب عظيم من الخطورة والاهمية .. لم اقدمت على هذه الحماقة التي لا معنى لها في دار المعامل . ؟ لست اجهل طهارة نفسك وصفاء قلبك ولكن الناس جميعا ليسوا على شاكلتك .. نعم ..إنه لا يضيرك ولك هذه الطهارة أن تبيعي قبلة . ولكن لأية غاية . ! إن الأمر في نظرك لايعدو ان يكون مزاحا ..ولكن في نظري انا .. في نظري انا الذي ..
فقاطعته الفتاة بضحكة مدوية وقالت :
- صه .. ! لقد حدثتني من قبل عن غرامك أيها الفارس "دارتنيان" !.

فقد كانت تلقبه باسم "دارتنيان" أحد الفرسان الثلاثة .

وتناول "فالنيه" اليد التي رفعتها الفتاة إلى شفتيه لتسكته فقبلها في احترام وقال في صوت متهدج :

- أنت دائما تسخرين مني .. أمعنى هذا يا"نيلي روز" انك لاتحبينني ؟

فسحبت يدها من يده وقالت :

- بل إني أحبك كثيراً يا عزيزي "فالنيه" فانت صديق مخلص كريم .

فضحك في مرارة وقال :

- نعم .. صديق مخلص .. ولكنه صديق مغرم بك .. ! إن الصداقة لاترضيني ولا تكفيني يا"نيلي روز" .. ! إني انشد منك ما هو اكبر من الصداقة .. ! إني أحبك حبا جنونيا .. ! حبا يكاد يتلف مني العقل .. ! "نيلي روز" .. ! أتوسل إليك أن تتخذيني زوجا لك . ! فضحكت مرة أخرى وقالت :

- ولكني لا أريد أن أتزوج يا"فالنيه" .. إني راضية بحالي فما الذي يحفزني إلى الزواج ؟ لماذا تريد أن تصفد يدي وقدمي باغلال الزواج وحريتي الحالية تطيب لي . ؟

فهز رأسه وقال :

- لست أنت التي تصفين الزواج بانه أغلال يا"نيلي روز" .. ! قد يصح هذا القول إذا صدر من سواك ، أما منك أنت فلا .. غيرك يتخذ من حريته سبيلا إلى التبذل والخلاعة . أما أنت فتدركين حق الإدراك أن حياة النقاء والطهارة أولى بالفتاة فزواجك لن يفقدك مزية قديمة إني أعلم انك إن تزوجت لم تحنثي بعهد الزوجية .

فابتسمت وقالت :

- ولكن ليس في نيتي أن أتزوج إلا رجلا احبه و ..

فقاطعها بقوله :

- وأنت لا تحبينني .. ولا تريدين أن تحبيني . !

- لست أكتم عنك يا صديقي اني لا افكر فيك من هذه الناحية!.

- وأنا الذي أهيم بك غراما .. أنا الذي اقسمت أن أسعدك مدى الحياة .. ! أوه .. ! إني أعلم يا "نيلي روز" بإيثارك الاستقلال وولعك

بالحرية . فلتعلني إذن أني لست بالطاغي المستبد ولهذا عولت على أن ادعك تستمرين في مزاولة اعمالك بعد زواجنا .. لك ان تستمري إذا شئت في وظيفتك في دار المعامل . وسيكون في مقدوري آنذاك أن أمدك بالمساعدات المالية فإنك لا تجهلين اني واسع الثراء .

ولما راى دلائل الامتعاض في وجهها قال مسترسلا :

- إنما اعرف يا"نيلي روز" تبرمك باقوالي ولكن ارجوك أن تنصتي إلي وتعيريني سمعك . إن للمسالة ناحية اخرى ينبغي ألا اخفيها عنك لقد نشات على الترف والفت حياة الرفاهية . وكذلك شان أمك . ومما يؤسف له ..

وسكت فقالت تستحثه :

- ومما يؤسف له . ؟

- آه .. ينبغي ان أكاشفك بالحقيقة يا"نيلي روز" .. إنك تعلمين أن مدام "ديتول" عهدت إلي بان اتولى استغلال ثروتها - أو جزء منها فقط بكل أسف . ولست تجهلين أن أمك مطبوعة على حب الإسراف والبذخ . ولقد اشتد الجفاء بينها وبين ابيك بسبب ذلك إلى درجة حملته على أن يسافر في أوائل الحرب إلى رومانيا فامضى هناك زمنا طويلا وهو يرجو أن يكون في ذلك ما ينقص مصروفاته إلى قدر معقول . وحين أدركته المنية كانت ثروته قد نقصت كثيراً . ولم تشأ أمك أن تاخذ بنصحي فظلت على دابها ولوعة بالبذخ والإسراف وزاد الطين بلة إقدامها على المضاربة في البورصة آخذة بمشورة قوم لا يفقهون في الأعمال المالية . فكان طبيعيا أن تتكبد خسائر جمة .. والآن قد أدركها الخراب .. الخراب التام .. ولم يعد لديها باقيا ما يكفي للانفاق ستة اشهر .!

وفي هذه المرة لم تضحك "نيلي روز" . ! اصغت إليه وقد شحب لونها وغاض البشر من محياها واختلجت شفتاها.. إنها تحب امها وتعلم أن المسكينة لا يمكن أن تطيق حياة الفقر والفاقة .

وغمغت تقول :

- يا إلهي .. ! مسكينة أنت يا أمي العزيزة .. ! ليت شعري ماذا تنوين أن تصنعي ؟ إن الفقر والغنى يستويان عندي . ! إن في وسعي

أن أعمل واكتسب رزقي واروض نفسي على أي لون من الوان الحياة أما هي .. ! هذا مخيف يا"فالنيه" . ! ستكون أمي أتعس النساء .. فما العمل إذن . ؟

وكان "فالنيه" شديد التاثر . ولكن حبه كان من ذلك النوع الأناني فاقترب منها وقال :

- اقترني بي يا"نيلي روز" .. ! اقسم لك إني سامكن أمك من أن تعيش على النحو الذي تشاء .. لن اغير شيئا مما الفت من حياة الترف والرفاهية . وساجعلك أنت أسعد النساء .

ولقد كانت حقيقة بان تزجره وتؤنبه على هذا العرض الأناني القائم على شقوتها وتعاستها . ولكنها أدركت أن هذا المعنى لم يخطر له وان الحب غشي على عينيه فلم يفهم ما تنطوي عليه كلماته من معاني المساومة . فقالت في مرارة :

- معنى هذا أني ساكون الشخص الوحيد الذي يضحي بنفسه.!

- تضحين بنفسك . ! ما اقساها من كلمة . ! إنها تعبير ناب ! أين هذه التضحية يا "نيلي روز" . ؟ أتعتبرين الزواج مني تضحية.؟

فحدجته بنظرة ثابتة ثم قالت في تؤدة :

- نعم ...

وما انفرجت شفتاها عن هذه الكلمة حتى عادت تلوم نفسها على قسوتها . ثم قالت في صوت رقيق محاولة أن تخفف عنه ما عراه من الم :

- أصغ إلي يا"فالنيه" .. مازال أمامنا ستة أشهر .. فلننتظر إذن ستة اشهر .. نعم .. إذا ما انقضت ستة أشهر ولم ينقذنا شيء أنا وأمي ..

فقال "فالنيه" معترضا :

- ينقذ كما .. ! إنك تعبرين عما يجول في خاطرك بعبارات غريبة . إذن ففي نجاتك دماري ! في خلاصك من هذه الأزمة المالية القضاء على حبي . ! ولكنني مطمئن أشد الاطمئنان . ! ما عساك تؤملين . ؟ اترجين أن تهبط عليك من السماء ثروة مفاجئة .؟ ام تؤملين أن تقعي على زوج غني . ! إذا كان لابد من الزواج برجل غني يا نيلي روز" فلأكن

انا هذا الرجل . !
ونطق "فالنيه" بهذه الكلمات الأخيرة في صوت متهدج يفيض مرارة وتأثراً إلى درجة مضحكة لم تملك الفتاة عندها أن ابتسمت.
وقالت :
- قد تتم النجاة بطريقة أخرى . !
- اية طريقة . ؟
- ميراث أبي مثلا ؟
- الم إصارحك أكثر من مرة يا"نيلي روز" بان ثروة أبيك قد ذابت وتبددت . ! وإذا كنت تقصدين بقولك هذا ينابيع البترول الموجودة في رومانيا فاعلمي إذن أن حديثها حديث خرافة لا ظل له من الحقيقة . !
- وما مقدار علمك بهذا . ؟ اتريد أن تزعم انك على بينة قاطعة من الأمر؟
- لقد حدثتني امك عن هذه الينابيع . وانا رجل أعمال خبير بالأسواق ، واستطيع أن اميز الزيف من الحق ؟ وهانذا أعيد عليك القول بان حكاية البترول هذه حكاية ملفقة . ! كلام فارغ .. إن الأمر فيما اذكر يتعلق بينابيع للبترول في رومانيا على مقربة من حدود "بولونيا" . أليس كذلك . ؟
- لقد اشترى أبي الجزء الأكبر من أسهم هذه الينابيع ولكن لم تسلم إليه في الوقت المناسب فمات قبل أن تصل إلى يديه أثناء اجتياح الجيش الألماني للأراضي الرومانية . وبناء على التحريات التي قمت بها انا وامي تيقنا أن شراء الأسهم قد أخذ جميع أوضاعه القانونية وانه ليس هناك شك في أن أبي قد أصبح مالكا لهذه الأسهم .
- وقيمة هذه الأسهم عظيمة بلاريب ؟
- نعم .. وقد اشتراها أبي بثمن بخس عند اشتعال نيران الحرب . ويقدر ثمنها الآن باربعين مليونا من الفرنكات أي بما يعادل مليوني جنيه .
فهز "فالنيه" كتفيه وقال :
- من هذا أستطيع أن افهم أنك لست في حاجة إلى ثروتي . ! ثروتي الحقيرة الوضيعة بإزاء هذه الملايين . ! ولكن أي برهان لديك

على أن أباك أصبح مالكاً لهذه الينابيع . إلى أي دليل تستندين في المطالبة بها ؟ إلى من عهد ابوك بمستنداته ووثائقه التي يثبت بها حقه ؟ إن من الحماقة أن تركني إلى مثل هذه الأوهام !

– لقد علمنا منذ أيام من مصدر جديد بكل ثقة أن ابي عهد بوثائقه قبيل وفاته إلى رجل روسي كان وثيق الصلة به . وقد رجع هذا الروسي إلى بلاده في الفترة الواقعة بين اكتساح رومانيا وبين نشوب الثورة الشيوعية في روسيا .

– وهل تعتقدين يا عزيزتي "نيلي روز" انه سيكون في وسعك أن تعثري على هذه الوثائق في تلك البلاد التي تسودها الفوضى ! لابد إذن من حدوث معجزة . !

فابتسمت الفتاة وقالت :

– ولم لا تقع المعجزة . ! إني أنا نفسي ممن يؤمنون بالمعجزات!

قد تستغرب أن يصدر هذا الرأي من فتاة تشتغل بالأبحاث العلمية التي لا تستند إلا إلى الحقيقة . ولكن فلتعلم إذن أن فيّ نزعة إلى الخيال والتعلق بالأوهام . ولطالما تخيلت أن هناك شخصا سيهبط علينا فجاة حاملا إلينا الوثائق التي تثبت أحقيتنا في هذه الثروة .

فضحك "فالنيه" وقال :

– وهذا الشخص سيكون جميلا طويل القامة كفرسان القصص الخرافية !

فضحكت "نيلي روز" بدورها وقالت :

– ولم لا . ؟ لك أن تسخر من فارسي الخرافي كيف شئت . ولكن يجب ألا يغيب عنك أن الاستسلام إلى الأحلام يخفف شقاء الحياة كثيرا . نعم .. إن فارسي الخرافي سيكون باهر الجمال يرتدي ثوبا من القطيفة الموشاة بالذهب . وسياتي إليّ على ظهر جواد وهو يردد انشودة حلوة يتحدث فيها عن استخفافه بالموت والأخطار وولعه بالمغامرات .

– إنه إذن أفاق من أبطال الروايات ؟

– نعم .. ولوع بالنضال والحرب . ! ينقض على أعدائه وفي يده مسدس وبين أسنانه خنجر ماضي النصل . ! وينتصر !

فابتسم "فالنيه" وقال :

- في عصرنا هذا انعدم الفرسان الروائيون من هذا النوع . إنك فيما ارى تكثرين من الاختلاف إلى دور السينما حتى أفسدت مخيلتك . ! هؤلاء الفرسان الذين تتحدثين عنهم لا يظهرون إلا في الروايات يا "نيلي روز" . !

- بل يظهرون في الحياة يا "فالنيه" .. إذا حالف الحظ الإنسان.. !

ونظرت إليه طويلا .. وابتسمت ...!

الفصل الثالث

بدأ الربيع ولكن الثلوج كانت لاتزال تغطي السهول في روسيا . وكان البرد لايزال يتساقط من السماء كالقطن المندوف .

واستيقظ أهل القرية الصغيرة الواقعة على مقربة من الحدود "البولونية" وخرجوا يتسللون من أكواخهم الحقيرة وفي سيماهم امارات الفاقة والجوع والاضطهاد .

وعلى درج الكنيسة جلس رجل يغني لحنا شعبيا على انغام القيثارة .. وكانت للرجل هيئة الشحاذين الذين يستجدون الناس . وكان وجهه لاينم على عمره الحقيقي .. على رأسه قبعة عتيقة عريضة الحواف أدركها البلى وقد أرخى حوافها على جبينه واذنيه . وكانت هناك ضمادة سوداء قذرة تدور حول وجهه وتحجب إحدى عينيه . وكان ثوبه مصنوعا من القطيفة التي حال لونها وانتشرت فيها الخروق . أما حذاؤه فكان ممزقا تبرز منه أصابعه . وقد شد على كتفيه خرجا ضم فيما يلوح جميع ما يقتني هذا الشقي من متاع الدنيا : كسر من الخبز .. ومزق من القماش وزجاجة فيها قليل من الماء .

ومضى الرجل يعزف ويغني وقد احتشد حوله نفر من الناس يستمعون إليه وهم يبتسمون لقبح صوته وسوء عزفه .

واخيرا أمسك عن العزف وبسط قبعته يستجدي الإحسان . ولكن سامعيه كانوا على حال من الفقر يضنون معها بالنقود . غير أنهم احسنوا إليه بما استطاعوا فاعطوه خبزاً وشرابا يدفئ به أوصاله في هذا البرد القارس بل لقد حملت إليه إحدى النساء قطعة من الجبن وإناء مملوءا بالحساء والجزر فالتهمه على عجل التهام المنهوم الشره.

وإظهاراً لشكره راح يعزف من جديد . ثم حمل قيثارته على كتفه إلى جانب خرجه ونهض واقفا في تثاقل . ومضى في طريقه يمشي مشية المتعب المنهوك القوى وقد تقوس ظهره تحت ثقل الخرج ومال رأسه

على صدره فكان بذلك صورة حية ناطقة للبائس الذي قضت عليه الأيام بان يمضي حياته شريداً يهيم على وجهه في الطرقات يستجدي الناس ويأكل مما يتصدقون به عليه.

ولما خرج إلى أطراف القرية عرج على غابة قريبة فدخل إليها وما لبثت أن ابتلعته وحجبته عن العيون .

وهناك رفع الشحاذ ذراعه في نشاط فأزال الضمادة التي تحجب عينه وبسط جسمه فزال تقوس ظهره . وفي غمضة عين- كأنما كان ذلك بسحر ساحر - انقلب رجلا آخر : بين الثلاثين والأربعين .. طويل القامة موفور النشاط مفتول العضلات . أما عيناه الخامدتان البليدتان فارتدتا تتوقدان ذكاء وتتألقان حيوية. وتنمان عما يمتاز به من الصلابة وقوة العزم .

وهكذا اختفى الشحاذ فجاة . وظهر مكانه "ارسين لوبين" .. !

خرج "لوبين" من الغابة بعد لحظات ونظر في رسم يحمله يبين المسالك والطرقات المختلفة . وفي ركن الرسم هذه الجملة :

«الصليب يبين موضع الآبار . ويؤسفني انه ليس في وسعي أن ازودك بمعلومات كافية تهتدي بها إلى طريقة فتح الصندوق إذ لاعلم لي بشيء من هذا . أما عن الطفلة ..»

وتابع "لوبين" طريقه المغطى بالثلوج وبعد مسيرة ساعة أو أكثر لاحت له على البعد حديقة كبيرة يكتنفها سور مرتفع . وبدت له أبراج القصر وسط الحديقة . كما رأى إلى يسارها ضيعة مشيدة من أكواخ حقيرة .

ورجع إلى الرسم مرة أخرى .. نعم .. هذا هو المكان المنشود..

هذه هي الشجرة الكبيرة المنقوشة .. وهذه هي الضيعة .. وهذا هو النهر الصغير وقد علته طبقة من الثلوج .

واجتاز "لوبين" السهل واتجه إلى الضيعة الموحشة .. كانت مهجورة لايقطنها أحد .. وقد أدركها الخراب .. ورأى قبالتها فناءً .. وفي وسط الفناء بئر .. وسار "ارسين لوبين" إلى البئر ومال فوق حافتها فرأى معولا مشدودا إلى حلقة فيها .. وتناول المعول ثم مشى ست خطوات وقد أولى ظهره إلى ناحية البئر ووجهه إلى القصر .. ثم انعطف

خطوتين صوب اليمين .. وعند ذلك وقف مكانه فازاح الثلوج التي تغطي الأرض عند موضع قدميه .. ثم مضى يضرب الأرض بمعوله .

استمر "لوبين" يحفر طويلا ثم بدرت من بين شفتيه آهة تدل على الابتهاج .. أصاب المعول جسما صلبا معدنيا .. وضاعف "لوبين" من جهوده . وانكشفت الفجوة عن صندوق صغير من الصلب مدفون في باطن الأرض .

وأخرج "لوبين" الصندوق .. وفي غير تردد هشم قفله بمعوله ..

واخذ بصره عقد ذو خمس شعب من الماسات واللآلئ .!

وغمغم يقول :

- يالله ! يالها من قطعة نادرة . ! يا لها من ثروة جسيمة . !

وكانت اللآلئ جيدة الصقل متشابهة الشكل كبيرة الحجم .. فدس العقد في جيبه وهو يبتسم ابتسامة الرضا .

على أنه لم يقنع بما أصاب . إن المعلومات التي لديه تنبئ بوجود شيء آخر ، فلاشك أن هناك مخبأ خفيا في نفس الصندوق، وطال بحثه على غير جدوى ، حتى لقد طاف بذهنه أن يهشم جوانب الصندوق وفجاة أصاب إصبعه جزءا من جانب الصندوق يتحرك إذا ضغط عليه ويكشف عن جيب خفي . وفي هذا الجيب رأى أوراقا أرفقت بها بطاقة عليها هذه الكلمات :

«في شهر مايو من عام ١٩١٧ عهد إليّ صديقي" أوجين ديتول" بهذه الأوراق لأتكفل بتسليمها لأسرته . وهاأنذا أودعها هذا الصندوق مع عقد من اللآلئ خاص بزوجتي . فإذا قدر أن يحل بي السوء فرجائي إلى من يعثر على هذا الصندوق أن يتم هذه المهمة النبيلة على قدر الطاقة» .

"كونتفالين"

ونشر "لوبين" الأوراق وألقى عليها نظرة عاجلة .. إنها مستندات ووثائق تتعلق بالملكية . ومرفق بها إيصال هذا نصه :

«وصلني من مسيو "أوجين ديتول" الفرنسي الجنسية والمقيم بميدان "تروكاديرو" بباريس مبلغ ثلثمائة الف فرنك قيمة حصته في ثمن شراء مناجم "سيدوتيز"

وكانت في الجيب ايضا صورة فوتوغرافية لبنت صغيرة كتبت في ركن منها هذه الكلمات :

"نيلي روز" في العاشرة من عمرها ."

ولم يكن "لوبين" فضوليا متطفلا .. لقد عهدوا إليه بالبحث عن الصندوق وقد اهتدى إليه فليس من شانه ان يحاول أن يفهم ماجاء في هذه المستندات والوثائق .. ها هو ذا الصندوق بما فيه .. وعند هذا تنتهي مهمته .. في سبيلها عانى وكابد وجاع وحرم نفسه ملذات الحياة وارتدى الثياب العتيقة البالية .. ولقد نجح فحسبه هذا .

ولكن .. أتراه نجح حقا . ! إن المهمة الكبرى مازالت باقية أمامه!

ودس "لوبين" الأوراق والمستندات في جيب سترته الداخلي ثم رد التراب والثلوج إلى مكانها من الحفرة .. ثم سار إلى البئر فالقى بالصندوق في جوفها وأعاد المعول إلى حيث كان وانصرف.

وقد سره أن الثلوج كانت لاتزال تتساقط .. فقد تراكمت على آثار قدميه ومحتها فلم يعد هناك دليل على انه زار هذا المكان منذ دقائق .

واجتاز السهل ومر بإحدى الضياع ، وود لو عرج عليها ليتناول مشروبا ساخنا يخفف عنه أثر هذا البرد الشديد الذي يهرأ أعضاءه :

ولكنه آثر أن يتابع سيره مكتفيا بان يتناول بضع جرعات من الشراب الذي تصدق به بعض المحسنين عليه .

ومر في طريقه بالقصر فالفى كل الدلائل تنبئ بانه مهجور لا يقيم فيه مخلوق .. فهذي نوافذه موصدة ، وأبوابه مغلقة ، ومداخنه لا ينبعث منها خيط من الدخان .. وحين بلغ الناحية الخلفية من القصر اهتدى إلى الطريق الذي يبحث عنه ، فجد الخطى في رشاقة ومرونة دون أن ينزلق ولامرة واحدة على الثلوج الناعمة اللزجة .

وانتهى به المسير إلى إحدى الغابات ... ورأى كوخا قائما على قيد خطوات منه .. ولم يكن مهجورا .. فهاهوذا الدخان يتصاعد من مدخنته . !

وانزوى "لوبين" خلف إحدى الأشجار وعيناه على الكوخ .. وكان الانتظار ممضا اليما ، والبرد يكاد يقتله . وأخيرا ارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا و الارتياح .. هذي فلاحة عجوز قد خرجت من

الكوخ وقد اشتملت بدثارها وسارت لاتلوي على شيء .
وحين غابت عن بصره قام "لوبين" من مكمنه ودارحول الكوخ حتى انتهى إلى الفناء الملحق به فتسلق الجدار في خفة وعبر الفناء .
وقبل أن يقرع الباب عاد إلى الرسم الذي يحمله فوجد في ذيله هذه الكلمات :
«أما الطفلة فلك أن تتصرف في أمرها على ماتهوى ، فإذا عنَّ لك أن تاتي بها فلامانع لدي . ولكن يجب أن تعلم أننا لن نصيب ثمنا عن إحضارها .. فإن لنا في العقد الكفاية .. وربما المستندات والوثائق أيضا .. فافعل مابدا لك على ألا تستهدف للأخطار .»
ودق "لوبين" باب الكوخ .
ولم يسمع جوابا .
وسار إلى النافذة فالفاها موصدة من الداخل ، ولكنه استطاع أن يحرك مزلاجها بالاستعانة بأداة صغيرة دسها تحت المصراع وانفتحت النافذة ووثب إلى الداخل .
وفي وسط الغرفة رأى بنتا صغيرة تتراوح سنها بين السابعة والثامنة جميلة الوجه ، ولكنها شاحبة نحيفة البنية ، وعليها ثوب خلق أدركه البلى .
ونظرت إليه الطفلة في فزع ورعب وقد اتسعت حدقتاها .
وابتسم "لوبين" في وجهها دون أن يدنو منها وقال في صوت رقيق عطوف :
- لاتخافي مني يا ابنتي .. لن أسيء إليك على الإطلاق .. ألست أنت "استاسيا" ابنة الكونتس "فالين" . ؟
ولم تقو الصغيرة على إلقاء الجواب إليه لشدة ذعرها فحنت رأسها دون أن تتكلم ، فاسترسل "لوبين" يقول :
- والعجوز التي تتولى تربيتك تضربك وتسيء إليك . ؟ أليس كذلك . إذن فأنت شقية بائسة . ؟
فحنت الطفلة رأسها إيجابا دون أن تتكلم . !
- أهي المرأة التي خرجت الآن . ؟
وللمرة الثالثة أحنت الطفلة رأسها .

نعم .. إنها شقية بائسة .. وهذه المرأة تضربها .. وتعذبها . !
و"لوبين" بطل المغامرات .. الرجل الذي خبر الدنيا وذاق حلوها ومرها .. لم يملك أمام شقاء هذه الطفلة إلا أن يتنهد حزنا .. وعلى رغم مايستهدف له من الأخطار .. وعلى الرغم من نداء الحكمة قال :

- أتحبين أن تاتي معي ؟

وفي هذه المرة لم تجب الطفلة على الإطلاق فعاد يقول :

- اتحبين أن تاتي معي .. ؟ سأذهب بك إلى أمك . !

فاكتاب وجه الصغيرة وانحدرت الدموع من عينيها وقالت :

- لقد ماتت أمي .. وكذلك أبي .

واقترب منها "لوبين" وقد أخذته الشفقة عليها وقال :

- كلا يا بنيتي .. إن أمك لم تمت .. لقد أوفدتني لآتيها بك .

ورمته الفتاة بنظرة تنطوي على الاستغراب .

- أتذكرين يا ابنتي الميدالية التي كانت أمك تعلقها في عنقها وفيها صورتك . ؟

- نعم

- حسنا .. هاهي ذي الميدالية .. انظري إليها وتامليها .. لقد أعطتها أمك لي حتى تثقي بي وتعلمي أني موفد إليك من قبلها .

وما إن رات الطفلة الميدالية التي تذكرها بماضيها السعيد بين ذراعي أمها حتى طفقت تبكي .. وعصر الحزن فؤاد "لوبين" .

- أسرعي يا صغيرتي .. متى تعود المراة . ؟

- في هذه الليلة ..

- وأين تنامين أنت .؟

- في الغرفة العليا .. وحدي .. إن النوم على انفراد يفزعني .. ولكن وجودي معها يفزعني أيضا .. ! إني أخاف منها أكثر مما أخاف الوحدة .. !

وقال "لوبين" :

- مادمت تنامين وحدك في الغرفة العليا فلن تعرف المرأة أنك هربت معي إلا في الصباح حين تنادي عليك .. وفي الصباح سنكون قد هجرنا هذه البلاد وأصبحنا في مأمن منها .. ولكن لابد من الطاعة

العمياء يا "استاسيا" .. أريد منك أن تطيعيني بلا مناقشة .. لاتخافي مني وكوني شجاعة .. إنك ضعيفة يابنيتي ولا أظنك ستقدرين على السير طويلا .

- بل اقدر .

فضحك وقال :

- فليكن ولكني مع هذا ساحملك يا "استاسيا".

وانزل خرجه عن كتفيه وأخرج منه غرارة كبيرة وقال :

- ادخلي في هذه الغرارة يا ابنتي وساحملك على كتفي . وبذلك لن يؤذيك البرد ولن تتساقط عليك الثلوج .. والآن انصتي إليّ .. مهما حدث لا تتحركي ولا تنطقي بكلمة واحدة .. اريد أن يعتقد من يراني أن في الغرارة كومة من الثياب وإلا اتصل الأمر بالمرأة واستردتك ثانية . وانت بالتاكيد لاتريدين أن تعودي إليها .

- كلا . لا أريد .

- إذن عليك بالصمت والطاعة والشجاعة .. فهل تعدينني بذلك ؟

- أعدك .

ودخلت الطفلة إلى الغرارة وحملها "لوبين" على ظهره وخرج .

ظل "لوبين" يسير سحابة النهار وشطرا من الليل . ولم يكف عن السير إلا فترات وجيزة قدم في خلالها الطعام والشراب إلى "استاسيا".

مرحلة بعد مرحلة .. وقرية بعد قرية .. في البرد و الثلوج ...

والطفلة رابطة في داخل الغرارة .. ساكنة لاتتحرك .. وهو يسير بلاهوادة ينزع قدميه من الثلوج التي تبدو وكانها تريد ان تعوقه عن السير .

وانقضى النهار وتبعه الليل .. ثم انطوى الليل بدوره وبدا الصباح يرسل إشراقه على الكون .

وعرج "لوبين" على إحدى الغابات وحط الخرج على الأرض وخرجت الطفلة من الغرارة فاقتربت منه وقبلت جبينه وقالت :

- ما أطيبك . !

فابتسم لها وقال :

- وأنت ما أشجعك .. ! لقد كنت عاقلة وشجاعة ومطيعة ألم تعودي تفزعين مني .. ؟
- كلا .. ولكن متى أرى أمي . ؟
- في هذا المساء .. أتحبينها كثيرا ..؟
فتالق وجه الصغيرة وقالت :
- كثيرا جدا .. إنها أطيب الأمهات .. !
وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "لوبين" .. أطيب الأمهات.. ومثلت في ذهنه صورة سيدة جميلة رشيقة تفيض عذوبة .
وبعد أن أصاب مع الصغيرة قسطا من الراحة ردها ثانية إلى الغرارة وحملها على ظهره وعاد إلى السير .
وتتابعت ساعات النهار .. واحدة إثر الأخرى .. وأخيرا .. بعد الظهر بقليل .. تراءت له على البعد اللوحات التي تعلن أنه صارعلى مقربة من الحدود "البولونية" .. ! أخيرا .. انتهى إلى الغاية التي ينشدها .
وعرج "لوبين" على قرية تقع على ضفة نهر كبير متسع هو الحد الفاصل بين "روسيا" و"بولندا" .. تلك هي الحدود وهنا وهناك رأى شراذم من الجنود الحمر وهم يخفرون الحدود وقد تسلحوا بالبنادق على حين اجتمع نفر منهم في مركز الجمرك .
واقترب "لوبين" من أحد رجال الشرطة وقال :
- أريد أن أعرف إذا كان هناك طريق يمتد على ضفة النهر ؟
فحدجه الشرطي بنظرة فاحصة وقال :
- لماذا تسال .. ؟ أتنوي أن تغادر روسيا ؟
- كلا .. كلا .. وإنما أريد زيارة ابن عم لي يقطن هناك .
- اين أوراقك الشخصية .. ؟
فقدم الصعلوك أوراقه إلى الشرطي الذي فحصها وردها إليه ثم أنباه أن هناك طريقا يمتد على طول النهر . فقال "لوبين" :
- حسنا .. ساستريح برهة ثم أتابع طريقي .
وجلس "لوبين" على الأرض على مقربة من مرسى المعدية التي تعبر النهر بين الشاطئين "الروسي" و"البولوني" وكان هناك نفر من رجال

البوليس يخفرون مدخل المرسى ولا يسمحون لأحد بالصعود إلى المعدية إلا إذا ابرز جواز سفره .

وتناول "لوبين" فيثارته وشرع يعزف وهو يغني في صوت منخفض وقد التف حوله نفر من المسافرين الذين ينتظرون حلول دورهم في ركوب المعدية . ولمح "لوبين" بين المحتشدين فلاحة تلوح عليها أمارات اليسر والرخاء فنظر إليها وابتسم فردت عليه ابتسامته فشرع يعزف لها لحنا حزينا مؤثراً .

ولما انتهى من عزفه طاف بالحاضرين وقبعته في يده فاحسنوا إليه بالقليل من المال أو كسر الخبز . ثم تحول إلى الفلاحة وقال يخاطبها باللغة الروسية :

– كيف حالك يا سيدتي . ؟

وتشعب الحديث بينهما فعرف انها فلاحة "بولونيه" وانها اعتادت أن تجتاز الحدود مرة في كل أسبوع ومعها مركبتها لتبيع ما تحمل من حاصلات في السوق الروسية .

وقال "لوبين" يسالها في صوت منخفض :

– أمركبتك معك . ؟

– نعم ..

واشارت إلى مركبة نقل ذات أربع عجلات . فقال :

– وجواز المرور من الحدود . ؟

– معي .. وفضلا عن ذلك فحرس الحدود جميعا يعرفونني .

فاوما "لوبين" إلى الغرارة التي يخفي فيها الطفلة وقال :

– أترين هذه الغرارة الموضوعة على الارض . ؟

– نعم .. ماشانها . ؟

– فيها طفلة صغيرة ساعيدها إلى امها .

فهتفت المراة في دهش وقد أذهلها الاعتراف :

– أوه .. ! الا تخشى أن افضح أمرك . ؟

فاجابها في صوت رقيق :

– إني عظيم الثقة بك . ! احملي الطفلة في مركبتك واعبري بها النهر وسالقاك في هذا المساء .

ففكرت المرأة هنيهة وقالت :

- وأنت . ؟ ماذا يكون من شانك . ؟

- سالقي بنفسي إلى الماء في جوف الليل .. إني أجيد السباحة.

- سيقتلونك رميا بالرصاص .

- لابد من المخاطرة على أية حال .

- حقا .. ! ولكن الخطر عظيم . ولم تعرض نفسك للموت . ؟

أمن أجل المال . ؟

- كلا .. فإن لدي من المال ما يكفي .

- إذن لماذا . ؟

- حب المغامرة .. هذا كل ماهنالك . لمجرد التسلية . ؟

وتناول قيتارته ثانية ومضى يعزف عليها أعذب الألحان وهو يردد الأغاني في صوت حنون رقيق وعيناه على الفلاحة لايرفعهما كانما يوجه إليها هذه المعاني الحلوة التي تتحدث عنها الأنشودة . ومالت المرأة إليه وجعلت تنظر في عينيه .

الزرقاوين الجميلتين . ورأت فيهما طيف ابتسامة وابتسمت له بدورها في حنان .

وانصرم النهار واقبل الليل وغشي الأرض ضباب حجب الضفة الاخرى .

وقالت الفلاحة "البولونية":

ـ حان دوري لعبور النهرفاعهد إليّ بالطفلة.

وتناول "لوبين" الغرارة من فوق الأرض ووضعها في المركبة دون أن يفطن أحد إلى الأمر .

ومالت إليه المرأة تقول :

- لن تعبر المعدية مرة أخرى في هذه الليلة .. فلدينا دقائق قليلة . فإذا ما سمعتني أفرقع في الهواء بالسوط فاقترب من المركبة وتعلق بها انت أيضا فإن الليل دامس ولن يراك أحد .

فهز "لوبين" راسه وقال :

- ولم تخاطرين .. ! لو أنهم كشفوا أمري لساعت الحال .

فقالت المرأة وهي تبتعد :

- الحق بي .

وحين سمعها تفرقع بسوطها تسلل خفية إلى المركبة ووثب إلى داخلها دون أن يراه أحد .. لقد فحص رجال الشرطة جواز المراة واذنوا لها بعبور النهر دون أن يخطر لهم ببال أن شخصا صعد إلى المركبة عقب فراغهم من فحص الجواز .

وسارت المرأة بمركبتها واجتازت المرسى حتى استقرت المركبة فوق المعدية .

وهمست المرأة تقول :

- الزم مكانك بين السلال الفارغة وإياك ان تتحرك .

ولكن"لوبين" لم يشا أن يلزم مكانه .. أبرز رأسه من بين السلال وأدناه من المرأة وقال "لوبين" هامسا :

- ميلي إلي برأسك قليلا .

فقالت في حزم :

- كلا .. كلا ..

ومالت إليه برأسها .. !

- أسلميني شفتيك ومرة أخرى .. بنفس الحزم :

- كلا .. كلا

وأسلمته شفتيها .. !

* * *

وبعد ربع الساعة وصلت المعدية إلى الضفة الأخرى .. إلى الحدود "البولونية" .. وفي حرص وحذر زايل "لوبين" المركبة والغرارة مشدودة إلى كتفه .

وهناك .. في منزل قريب .. كان هناك رجل عند الباب ينتظر ..

وكان الرجل طويل القامة في الخمسين من العمر عريض المنكبين تلوح في سيماه أمارات القوة والباس .

وما إن رأى الرجل "لوبين" مقبلا حتى هرع إليه وهو يقول :

- أهذا أنت يا "جيرار" .. ؟ هل أدركك التوفيق ..؟

فاجابه "لوبين" :

- تقريبا .

- هل جئت بالعقد .. ؟
- نعم يا "باراتوف"
- أعطني إياه .. !
- لحظة واحدة ..إنه في الخرج .
- والمستندات والوثائق .. ؟
- هاهي .. !
واخرجها من جيب سترته فالتمعت عينا "باراتوف" وهتف يقول :
- إنك رجل عظيم .. !
ثم قال في صوت يدل عل يقلة الاكثراث :
- والطفلة .. ؟
وفي هذه المرة لم يجب"لوبين"على سؤال صاحبه .. وإنما استوى جالسا على إفريز المنزل القريب ..
وكانت الفلاحة صاحبة المركبة لاتزال واقفة في انتظاره . ولكن "ارسين لوبين" نسي ما كان من أمر الفلاحة معه وما كان من أمره معها ونسي أن يمنحها قبلة الوداع .. !

الفصل الرابع

قال "باراتوف" يخاطب صاحبه :

- والآن هيابنا إلى المركبة .

وصعد الرجلان إلى المركبة التي جاء فيها "باراتوف" .

واسترسل الروسي يقول :

- إذن فقد وصلتك رسالتي في الوقت المناسب ؟

- بالتاكيد وصلتني وإلا لما جئتك بالعقد والوثائق .

- أكان الرسم واضحا والتعليمات كافية ؟

- نعم

وهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث . ومضى الروسي يقول :

- لقد عرفت كيف الجم السنة حرس الحدود "البولونيين" وكيف أتغلب على فضولهم .. لقد ظفرت بمعونتهم دون أن أضطر إلى مكاشفتهم بما في نفسي .

وبعد برهة عاد الروسي يقول :

- إنهم ينتظروننا في بيتي كما تعلم .

فقال "جيرار" (اي "لوبين") :

- من هم الذين ينتظروننا ؟

- العميلان بالتاكيد .. أولا الكونتس "فالين" . وقد هبطت المدينة منذ يومين ونزلت في أحد الفنادق ولكنها لاتفتا تتردد عليّ من حين لآخر وتسالني عما إذا كانت قد وصلتني بعض الأنباء وعما إذا كنت اعتقد أنك ستوفق في مهمتك . إن اللهفة تكاد تقتلها . ! ولا عجب ! فالطفلة والعقد هما كل ما بقي لها من الحياة . !

فقال "لوبين" :

- إن العقد يساوي ثروة جسيمة .

- إذن فانت خبير بالجواهر الكريمة . ! نعم إنه يساوي ثروة . ! وهذا من حسن الحظ .. لقد اتفقت مع الكونتس على الشروط . وقد نزلت عند إرادتي .

وضحك "باراتوف" ضحكة الانتصار وقال :

- ليتك تشهد قلقها وتلهفها وانزعاجها . ! لو أني سألتها كل ما تملك لأجبتني إلى ما أبغي في غير تردد . ! والحق ياصديقي - ولست اكتم عنك هذا - إن هذه المرأة تفتنني ولي فيها مآرب خاص . ! إنك تفهمني بالتأكيد . امرأة حسناء فاتنة .

وضحك مرة أخرى فقال "لوبين" في جفاء :

- أهي حسناء .؟

- نعم .

ثم أردف يقول :

- وهل نجحت في المهمة الأخرى . ؟ إن هذه العجوز تنتظرك أيضا.

فابتسم "لوبين" وقال في تهكم :

- وهذه العجوز حسناء فاتنة أيضا .؟ أظنها فتنتك كالكونتس . ؟

فضحك "باراتوف" وقال :

- يا لك من ممازح ولوع بالدعابة .

وساد الصمت بين الرجلين ، وكان صمتا يشوبه الجفاء .

لكل منهما ذوقه الخاص ومشاربه التي تختلف عن مشارب زميله . نعم.. إنهما شريكان يعملان معا ولكن ما أعظم ما بينهما من تباين واختلاف !!

ولقد بدأت هذه الشركة عقب الحرب الكبرى .

فـ"إيفان باراتوف" روسي ذو اتصال وثيق بالأوساط المالية وهو إلى هذا مغامر جريء موفور النشاط عظيم الذكاء . وله في ابتزاز الأموال أساليب فذة وقد حار رجال الشرطة في أمره طويلا وهو أشد ما يكون حرصا على ألا يدع لهم سبيلا إلى مؤاخذته من الوجهة القانونية .. كان محتالا في الواقع . ولكنه كان شريفا في الظاهر لم يقدم إلى المحاكمة ولامرة واحدة . وحين اجتاحت الشيوعية روسيا . هرب من البلاد وتطوع في الجيش الفرنسي . هناك التقى بـ"أرسين لوبين" .. وعاش الرجلان معا بضع سنوات يستهدفان لأخطار القنابل والرصاص ويبيتان في الخيام والخنادق .

ولما وضعت الحرب أوزارها سافر"لوبين" إلى "بولونيا" ينشد رفيق

الحرب "إيفان باراتوف" فوجده مشتغلا بأعمال التهرب بين الحدود البولونية والروسية .. يهرب البضائع .. ويهرب الثروات .. ويهرب الرجال والنساء والأطفال .. ! كانت الشيوعية كالأتون الملتهب لايبقي ولايذر . وكان "باراتوف" ينقذ من هذا الأتون كل من يستطيع .. وكل مايستطيع لقاء ثمن معين .. عشرات من النبلاء والأشراف والأمراء هربوا من روسيا بمعونة "باراتوف" .. كنوز من اللآلئ هربت قبل أن تستولي عليها الحكومة الروسية . !

وطابت هذه المغامرات لـ"أرسين لوبين" فانضم إلى "باراتوف" وأصبحا شريكين .

ولكنها لم تكن شركة موفقة .. كان "باراتوف" لاينشد من وراء أعماله إلا الربح المادي .. ولطالما عمل بلاقلب أو وازع من ضمير .

كان المال غايته الكبرى .. أما "لوبين" .. فكان على النقيض من ذلك لاينشد إلا المغامرة .. كان يرمي إلى «التسلية» كما قال للفلاحة التي عاونته على اجتياز الحدود ..وكم من مرة نشب الخلاف بين الرجلين.! وكم من مرة كاد حنان "لوبين" وشفقته ورحمته أن تفسد خطط "باراتوف" .

وضاق "باراتوف" ذرعا بشريكه ولكنه لم ينبذه إذ كان في حاجة إليه. في حاجة إلى ذكائه .. ودهائه .. وجرأته .

وكان "لوبين" أيضا في حاجة إلى شريكه .. لقد سئم المغامرات التي قام بها في "فرنسا" و"إنجلترا" و"ألمانيا" .. وكان في حاجة إلى لون جديد من المغامرات .. وفي "بولوينا" وجد ما يشتهي .. في "بولونيا" وجد مغامرات جديدة تصبو إليها نفسه فأقام واحتمل .

مشاربهما مختلفة .. أذواقهما متباينة .. هذا قاس وذاك رحيم .

هذا نذل وذاك نبيل .. فليكن .. إنه لا يبالي بهذه الاختلافات .. حسبه إن تفضي هذه الشركة على الأقل إلى إلزام "باراتوف" حده وتلافي مساوئه وشروره .

وهكذا بقي الشريكان معا .. أم لعله ينبغي أن نقول "الغريمان" !

وكان المنزل الذي يقصدان إليه يقع على مسافة عشرين ميلا من الحدود . وخف الخادم إلى لقائهما وأخذ بعنان الجواد . وهبط

الرجلان من المركبة وحمل "لوبين" الغرارة التي فيها الطفلة على حين حمل "باراتوف" الخرج .

وعلى عتبة الدار كانت امراة تعلو وجهها سمة من القلق اقبلت عليهما وهي تقول في انزعاج :

- "استاسيا" .. ؟ أين ابنتي . ؟

فقال "باراتوف":

- صبرا يا سيدتي .. صبرا .. ودعيني اقدم إليك أولا شريكي "جيرار" الذي طالما حدثتك عنه .

- ولكن أرجوك أن تجيبني .. اين ابنتي .؟

- لقد عثر "جيرار" على العقد

فقالت المراة في صوت مرتعد :

- يا إلهي . ! أسالك عن ابنتي فتتكلم عن العقد . !

ودخلوا المنزل وتهالكت المراة في إعياء على أحد المقاعد .

كان صمت الرجلين مريبا .. محطما للأمل .. ! إنهما إذن لم ياتيا بابنتها . ! لقد خسرت ابنتها وفقدتها إلى الأبد .. !

وكان "لوبين" في خلال هذا صامتا لاينطق بكلمة واحدة والغرارة مازالت مشدودة إلى ظهره . اما "باراتوف" فمضى إلى الغرفة المجاورة ودعا إلى مرافقته ذلك الرجل الذي لقبه بـ«العجوز» أثناء حديثه مع "لوبين"

* * *

ومرت بضع دقائق دن أن تتكلم الكونتس "فالين" .. ودون أن يتكلم "لوبين" .

واخيرا .. سكن دمع المراة ومسحت عينيها وقالت في صوت حزين مخاطبة "لوبين" :

- إذن فقد ضاعت ابنتي .. الم تعثر لها على أثر يامسيو "جيرار"؟ أرجوك أن تتكلم .

وأرسل "جيرار" بصره إلى الكونتس : شقراء رشيقة ممشوقة القوام ترتدي ثوبا اسود رقيقا زاد من فتنتها وجمالها . وفي عينيها أمارات الحزن والياس والتعاسة . ومن الغريب أن حزنها كان هو وحده من

أسباب سحرها . !

وشعر "لوبين" بالرثاء لها .. وكان رثاؤه ممتزجا بالإعجاب . !

وارتسمت على شفتيه ابتسامة . ابتسامة افتتان لم يخف معناها على المرأة الذكية .

وارتعدت الكونتس حين قرأت في عينيه الرغبة الجارفة .

ودون أن ينطق "لوبين" بكلمة واحدة وضع الغرارة على الأرض وكشف عن فوهتها فبدت ابنتها في داخلها .

وهتفت الكونتس في جزع :

- يا إلهي . ! أماتت . ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- كلا .. ولكنها نائمة . !

ووثبت الكونتس عن مقعدها وقد استخفها الطرب وجثت على الأرض إلى جانب ابنتها وراحت تغمرها بقبلاتها .

- "استاسيا" . ! ابنتي . ! حبيبتي . !

وضمتها إلى صدرها في عذوبة وحنان .

وقال "لوبين" :

- إني سعيد بنجاحي .. ولقد كانت ابنتك طيلة الرحلة مثالا للشجاعة . !

فتمتمت الأم تقول :

- ولكنك أنت الذي أنقذتها . ! لولاك لما وقع عليها بصري . ! ليت شعري كيف أشكرك على ما استهدفت له من الأخطار .

وابتسم "لوبين" مرة أخرى واقترب من الكونتس .

ولكنه جمد مكانه فجأة .

من الغرفة المجاورة ارتفع صوت الرجل «العجوز» وهو يقول في انفعال :

- هذا احتيال صارخ . ! إنك لص . ! كيف هذا . ! ألا تريد أن تعيد إلي إلا نصف جواهري . ! لقد حذرني منك أصدقائي وقالوا عنك إنك لص وضيع . !

وعلى أثر هذا فتح باب الغرفة وظهر على عتبتها "باراتوف" وهو

يدفع أمامه الشيخ العجوز في وحشية حتى ألقاه في الطريق .
وهز "لوبين" رأسه وقال :
- إن "باراتوف" وحش في صورة إنسان . !
وارتعدت المرأة اشمئزازا .
واسترسل "لوبين" قائلا :
- أرجوك يا سيدتي الا تبقي في هذا البيت لحظة واحدة . ! هذه الدار ليست بالمكان الذي يليق بك .
وأخذ بيدها وسار بها إلى الحديقة . ولكن "باراتوف" قد جاء في هذه اللحظة وصاح يقول :
- هيه .. "جيرار" .. أين العقد . ؟ الم تقل لي إنه في الخرج . ؟
إني لم أجده .
فقال "جيرار" في صوت يدل على قلة الاكتراث :
- هذا بديهي .. فإن العقد في جيبي . ! إن جيبي أمن كثيراً من الخرج . !
فقال "باراتوف" في لهجة تدل على نفاد الصبر :
- هاته إذن . !
- ولماذا . ؟ إن هذا العقد ليس ملكا لك يا "باراتوف" . !
- إني أملك جزءا منه . ساعيد إلى الكونتس ثلاث شعب منه .
أما الفرعان المتبقيان فلنا . لقد اتفقت معها على هذا .
- إنه اتفاق لايسري عليّ مادمت لم تستشرني . !
- لقد عدلت عن رأيي ولهذا ساعيد العقد إلى الكونتس .. لست أريد منها شيئا .
وهز الروسي كتفيه وقال :
- هذا شانك انت . ! أما انا فاريد نصيبي . !
فقال "لوبين" في صوت حازم :
- لن تنال لؤلؤة واحدة يا "باراتوف" . !
فصاح "باراتوف" مزمجراً :
- أجننت يا "جيرار" . ؟ ما هذا الكلام الفارغ الذي تهذي به ؟ أتريد أن تكد وتعمل بلا جزاء . ؟

وكانت الكونتس قد جمدت مكانها وضمت ابنتها إلى صدرها وراحت تصغي إلى حديث الرجلين في انزعاج .

وقال "لوبين" في تؤدة :

- إني أعمل يا "باراتوف" لأسلي نفسي .! وهناك سبب آخر أيضا . !

وأرسل بصره إلى الكونتس .

وقال "باراتوف" :

- وما هذا السبب الآخر . ؟

- اريد أن اقهر شيئا أعتقد أن لاسبيل إليه . !

فقال الروسي في حنق :

- اي شي ؟

فصمت "لوبين" طويلا ثم قال :

- أريد أن أظفر من الكونتس بابتسامة واحدة . فإن هذه الابتسامة انفس من العقد . !

وغضت الكونتس من بصرها وتخضب وجهها احمرارا .

وقالت :

- ينبغي أن أرحل . إن الطفلة متعبة منهوكة القوى .. وغدا ساغادر المدينة .

وتنحى "لوبين" عن طريقها فسارت الكونتس متجهة إلى باب الحديقة و"لوبين" في اثرها يشيعها .

ولما اطمان إلى أن "باراتوف" لايسمعه قال في صوت منخفض :

- في هذا المساء سازورك في فندقك لأعيد إليك العقد ذا الشعب الخمس .

ولم تجب الكونتس . وإنما مضت في طريقها صامتة .

وارتد "جيرار" إلى شريكه الذي كان يتمشى في الغرفة جيئة وذهابا كالذئب المحبوس .

وصاح الروسي في حنق :

- أمسك الخبل . ؟ ماذا فعلت . ؟ أتريد أن تستاثر بالعقد وهو انفس ما اتفق لنا في مغامرتنا . ! هات العقد . !

- ولا لؤلؤة واحدة يا "باراتوف" . !

- ولكن ما شانك انت بنصيبي . ؟ إن العقد ملك لي . !
- بل ملك للكونتس "فالين" . !
- واي شان لهذه المراة عندك . ! إنك لن تراها مرة أخرى . !
طيف لايكاد يبدو حتى يختفي .
- ولو . ! حسبي الجزاء الذي سأناله . !
فهز "باراتوف" كتفيه وقال :
- وما نوع هذا الجزاء يا ترى . ؟ قبلة . ! أو ما هو اكثر من القبلة.؟
فقال "لوبين" في تؤدة :
- أولى بك يا "باراتوف" الا تسالني . ! لقد سمعت الآن هذه التهم القذرة التي رماك بها «العجوز» . فهناك إذن أعمال خفية تجري وراء ظهري وقد احتملتك طويلا ولكني أخشى ألا أحتملك بعد الآن . !
وتبادل الرجلان نظرات غاضبة . نظرات ترمي بالشرر . ! كان "باراتوف" يعلل نفسه بان يقهر الكونتس ويسلس قيادها . كان يمني النفس بأن يظفر بها دون صاحبه . ! ولكن ها هو ذا شريكه. بل غريمه "جيرار" يزاحمه في الميدان . ! ويدفعه عن طريق الكونتس ليحل مكانه يا للجشع . ! إن "جيرار" دائما محظوظ تقبل عليه النساء . أما هو "باراتوف" فقليل الحظ معهن.!
وبعد برهة قال "جيرار" في صوت هادئ :
- ومتى نتعشى فإني أموت جوعا .
وقطب "باراتوف" جبينه . كان يعلم أن العقد في جيب "لوبين" وكان يفكر في هذه اللحظة في أن ينقض على غريمه فينتزع منه العقد قسرا.
وعاد "لوبين" يقول :
- مر لنا بالطعام .
وصر "باراتوف" على أسنانه وأمر بالطعام .

* * *

فرغ الرجلان من الطعام وصعد "لوبين" إلي الغرفة المخصصة له في بيت "باراتوف" فاودعها خرجه ، وخلع ثيابه البالية التي كان يتنكر فيها بزي الشحاذين ثم رجع إلى صاحبه وقال :

- أسعدت مساء .. إني خارج . !

وكان "باراتوف" عليما بالمكان الذي سيذهب إليه "لوبين" ، فاستولى عليه الغضب وهز كتفيه ، ولم يحفل "لوبين" بغضبته وإنما أوما إليه بالتحية في غير مبالاة .. وغادر البيت .

وبعد دقائق كان في الفندق الذي تنزل فيه الكونتس "فالين" .

وكانت الكونتس تشغل غرفتين في الفندق ، أرقدت طفلتها في إحداهما وجلست في الغرفة الأخرى وبين يديها كتاب تطالع فيه .

ولكنها لم تكن تقرأ ، وإنما كانت تنتظر .!

وعندما أنبئت بقدوم "جيرار" أخذتها الرعدة ..

ودخل عليها الصعلوك في ثياب أنيقة .. وعلى شفتيه ابتسامة هزمتها ودحرت ما كان متبقيا في نفسها من أسباب المقاومة .

ومال "لوبين" فوق يدها يقبلها في شهامة وقال :

- كيف حالك يا سيدتي . ؟ أرجو أن تكوني قد تغلبت على انفعالك وأن تكون صديقتي "استاسيا" بخير . ؟

فقالت الكونتس وهي تومئ إلى باب الغرفة المجاورة الموارب :

- إنها الآن مستغرقة في النوم .

- أتسمحين لي إذن بأن أوصد هذا الباب فإني أخشى أن توقظها جلبة الحديث .

نطق "لوبين" بهذه الكلمات في صوت عادي هادئ .. ولكن شعورا مختلطا مبهما غزا قلب الكونتس .. إنه يريد أن يغلق الباب ليخلو إليها . ! ورأته وهو يوصد الباب .. ورأته وهو يدفع المزلاج خلفه .! وارتعدت .

واخرج "لوبين" العقد من جيبه ووضعه على المنضدة وهو يقول :

- هذا هو عقدك يا سيدتي يعاد إليك كاملا وسالما .. إنه ثاني كنز تكفلت بإحضاره ... ولست أرتاب في أن قيمته عندك لا تكاد تذكر إلى هنائك بعودة ابنتك إليك .

وتكلمت الكونتس قائلة :

- إني أكرر عليك القول يا سيدي بأني مدينة لك بأعمق الشكر .. لقد استهدفت من أجلي - وأنت لاتعرفني - لأخطار جمة وفي سبيل

أمر لا يعنيك و ..

وراحت تبحث عن الكلمات .. أرادت أن تعبر عما تحس من شكر واعتراف بالجميل نحو هذا الرجل الذي لم تلقه ولم يلقها إلا منذ بضع ساعات .

وقال "لوبين" :

- بل إن الأمر يعنيني كثيرا يا سيدتي .. إني رجل رقيق الحس مرهف الشعور ، وقد اتصل بي انك على جمال موفور ، ومن أجل هذا كافحت الأقدار والطبيعة والثلوج كي استرجع "استاسيا".. فلولا ما بلغني عن جمالك لما حفلت بالأمر ، لقد علمتني أمي أن أسعى دائما إلى إرضاء النساء ولو استهدفت حياتي للخطر.. وحسبي من الحسناء جزاء ابتسامة تلقيها إليّ أو نظرة ترميني بها..

واحمر وجهها وغضت من بصرها وبعد سكتة قصيرة قال "لوبين" :

- ما اسمك يا سيدتي . ؟

فقالت في استغراب :

- ولكنك تعرفه . ! إنني الكونتس "فالين" .

- هذا لقبك .. أريد أن أعرف اسمك .

- ولم تسأل . ؟

- إن الأمر يهمني .

- "ناتاشا" ..

- "ناتاشا" . ! اسم جميل رائع . ! أتسمحين لي بالا أناديك في هذه الليلة إلا باسم "ناتاشا" أرجو الا تغيب عنك حقيقة موقفي يا "ناتاشا".. إني عائد من رحلة طويلة شاقة . حافلة بالأخطار .. رحلة لقيت فيها الأهوال ، ولذلك كم يسعدني بعد هذه الرحلة أن أجد إلى جوارك شيئا من السلوى والراحة .. إنك فاهمة بالتأكيد حقيقة موقفي يا"ناتاشا" .!

ولقد فهمت "ناتاشا" الموقف . !

إنه ما أقدم على هذه الرحلة المحفوفة بالمهالك إلا من اجلها .. من أجلها هي . ! فمن حقه إذن أن يقتضيها الثمن .. وستكون «هي» هذا الثمن . !

أعاد إليها ابنتها .. وأعاد إليها عقدها ، والآن جاء يسألها الثمن..!

وقرأت في عينيه اللهفة .. والرغبة ، وحب الاستيلاء ، ولكن لم تكن لها القدرة على المقاومة .. !

أيام طويلة وهي تنتظر عودة ابنتها يعمر قلبها الرجاء واليأس.. تتنازعها عاطفتان متباينتان .. وفجأة لم تر ابنتها ، ففقدتها إلى الأبد ، فبكت ، واستولى عليها اليأس والحزن ، وفجأة رأت ابنتها أمامها ، في الغرارة ، وانتقلت من الحزن واليأس إلى الفرح والابتهاج، من النقيض إلى النقيض .

وهدت هذه الانفعالات الجارفة من قوتها .. وهدمت أعصابها ، وقضت على كل ما فيها من روح المقاومة .

ومال إليها "لوبين" يقول :

- "ناتاشا".. لقد أعدت إليك ابنتك ، وأعدت إليك عقدك ، دون أن أطالبك بشيء . ودون أن أملي عليك أي شرط ، إنك مطلقة الحرية يا"ناتاشا"، ولست أطالبك بشيء .. !

وهدمت هذه الحرية .. هذا النبل و .. هذه الشهامة كل ما تبقى لها من روح المقاومة .. !

نظرت إليه .. ونظر إليها .

ثم بسطت إليه يديها وطوقت عنقه وقد أغمضت عينيها .. !

أغمضتهما .. منتشية حالمة ..

وعند الفجر غادر "لوبين" مخدع الكونتس .

وفي الصباح غادرت الكونتس الفندق .

غادرته وفي نفسها ذكرى لاتمحى .. ذكرى هذا الرجل الذي لا تعرفه والذي لن تراه مرة أخرى بعد تلك الليلة .

الفصل الخامس

أمضى "لوبين" سحابة النهار التالي مستغرقا في النوم . وحين استيقظ ألفى شريكة "إيفان باراتوف" جالسا إلى مكتبه وهو منهمك في النظر إلى صورة منشورة في مجلة "فرنسا في بولندا" اقترب منه "لوبين" وألقى نظرة على الصور.. ثلاث صور تمثل فتاة حسناء في ثلاثة أوضاع مختلفة .

وقال "لوبين" :

- يالها من حسناء مليحة .. !

فادار إليه "باراتوف" رأسه وقال :

- هيه .. ؟ أهي حسناء حقا ..

- بل فاتنة .. ! اقرأ علي ما هو مسطور تحت هذه الصور .

ومال فوق المجلة أكثر من ذي قبل وقرأ في صوت مرتفع :

"لمراسلتنا في باريس .

ثلاثة أوضاع جميلة لفتاة فرنسية حسناء ننشرها بمناسبة اليانصيب الذي اعتزمت دار المعامل إصداره . فقد تعهدت هذه الفتاة بأن تعطي كل ما يطلب منها إلى الشخص الذي يتبرع بخمسة ملايين فرنك لهذه الأبحاث العلمية العظيمة .»

وأخذ "لوبين" يضحك وهو يقول :

- تعطي كل ما يطلب منها .. ! أرجو على الأقل ألا تكون الصور خداعة مضللة .. !

فقال "باراتوف" :

- إنها أجمل من صورها .. ! لقد غمطتها الصور حقها .. !

- أتعرفها .. ؟

- نعم .. فقد التقيت بها في العام الماضي أثناء إقامتي في باريس في غضون سوق خيرية ، إن لها جمالا صاعقا ، وكانت تبيع البرامج وعرضت عليها قدحا من الشراب فأبت قبوله بحجة أن الشراب يدير رأسها ..

- وما اسمها ..؟

- "نيلي روز ديتول" .

وما نطق "باراتوف" بهذه الكلمات حتى أدركه الندم فقد هتف "لوبين" يقول :

- "ديتول" . ! ولكن هذا هو اسم الفرنسي الذي أضاع في روسيا المستندات والوثائق التي جئت أنا بها بالأمس . ؟

- إنه هو . وقد مات في رومانيا أثناء الحرب .. ولقد كانت الكونتس "فالين" هي التي أنبأتني منذ ستة أشهر بأن الفرنسي أودع هذه الوثائق لدى زوجها الكونت "فالين" وأن هذا دفنها في الأرض حيث عثرت أنت عليها مترقبا فرصة يرسلها فيها إلى مدام "ديتول" وابنتها "نيلي روز" .

فقال "لوبين" :

- إذا كانت هذه هي "نيلي روز" فأنا أيضا أعرفها من قبل .. !

انظر .. ! لقد عثرت على هذه الصورة مع الوثائق . إنها تمثلها وهي في العاشرة من العمر .

وأخرج الصورة من جيبه وقدمها إلى "باراتوف" الذي قال في لهجة تنطوي على شيء من الخشونة :

- ولماذا احتفظت بها ؟

- الحق أنني لا أدري . ! لقد أعجبتني صورة هذه الطفلة الجميلة فدسستها في جيبي .. انظر إلى عينيها وما تنمان عليه من براءة وطهارة . إن هذا ماثل في صورها الثلاث .. ولعمري إنها مسألة غريبة .. كيف تتقدم من كانت مثلها بهذا العرض الجريء الذي قد تستهدف معه إلى خطر محقق .

وبعد قليل قال في لهجة أخرى :

- اسمع يا"باراتوف" . إنك تنوي بالتأكيد أن تعيد هذه الوثائق إلى الفتاة وأمها .

- هذا محتمل . !

- آه .. دع المراوغة والخداع يا"باراتوف" . إن لهذه المسألة عندي أهمية خاصة .. إنها مقدسة في نظري .

فقال الروسي :

- وهي في نظري انا أيضا مقدسة .. ساحمل إليهما جميع هذه الوثائق عند وصولي إلى باريس .

- إذن فانت مسافر إلى باريس .

- نعم .. في القريب العاجل .

وبعد لحظات قال "لوبين" :

- وانا أيضا ساسافر إلى باريس . فليس لدي ما يشغلني هنا في الوقت الحاضر .. لقد كانت رحلتي الأخيرة محفوفة بالمهالك حتى اصبحت في حاجة إلى شيء من الراحة . وقد بت اتحرق لهفة إلى باريس وإلى السفر إلى "نورماندي" لرؤية أمي وتقبيل يديها . ولكن اتنوي أن تطيل مكثك في باريس ؟

- نعم

ثم امسك عن الكلام ولم يشا أن يصفح عن السببين اللذين يحملانه على الرحيل . فهو أولا يريد أن يستمتع بالثروة العظيمة التي اكتسبها من مغامراته . وهو يريد ثانيا ان ينای عن مقر الجواسيس الروس الذين بدءوا يلاحقونه ويتعقبونه بغية الفتك به.

ثم قال مسترسلا :

- في نيتي أن ارحل بعد خمسة عشر يوما على ان اقصد أولا إلى "برلين" . ثم إلى "لندن" لإنجاز بعض الأعمال . وانت ؟

- أما أنا فسارحل قبل رحيلك .. بعد ثمانية أيام .. وساطوف بجنوب أوروبا .. إني لست على عجل من امري .. ولكننا سنلتقي في باريس . أليس كذلك . ؟

- بلى ..

وارسل "باراتوف" بصره إلى النتيجة المعلقة على الجدار وقال :

- ولأضرب لك موعدا . ليكن لقاؤنا في مساء ٨ مايو في "نوفو بالاس" في "الشانزلزيه" . وسابرق لك بساعة اللقاء .

فقال "لوبين" :

- حسنا .. وسانزل في البنسيون الروسي في "أوتي" . وبعد مقابلتك سارحل إلى "نورماندي" .

ثم نهض واقفا وهو يقول :

- سأتجول قليلا حتى يحين موعد الطعام .

وظل "باراتوف" يتأمل صور "نيلي روز" الثلاث .. لقد التقى بها في "باريس" في السوق الخيرية فأخذه جمالها وفتنه حسنها وود لو استطاع أن يحتويها بين ذراعيه ولكنها صدته والزمته حده .

ومضى يراجع الوثائق .. يالها من ثروة جسيمة . ! أسهم تساوي كنزا . ! إن هذه الثروة بين يديه . ولن يعيدها إلى أصحابها الحقيقيين إلا إذا أصاب منها نصيب الأسد .. ملايين جديدة تتراكم فوق ملايينه العديدة .. وبعد فهو مسافر إلى "باريس" ليستمتع . وستكون "نيلي روز" هدفه الأكبر .. ! وبذلك ينتصر على "جيرار"(ارسين لوبين) الذي سلبه الكونتس "فالين".. نعم .. لقد لاح على "جيرار" انه بدا يهتم بـ"نيلي روز" ولكن "باراتوف" سوف يظفر بها دونه بملايينه ... وبملايينها .. !

وجلس الروسي إلى مكتبه وحرر شيكا بخمسة ملايين فرنك باسم مدير دار المعامل . ثم كتب الرسالة التالية :

«آنستي العزيزة

«هل لك أن تتفضلي بمقابلتي في اليوم الذي أحدده ومهما كانت الظروف فيما بين منتصف الليل والساعة السابعة صباحا في مخدعك.؟ إذا وافقت على هذا الرجاء فاصرفي هذا الشيك المرفق من البنك وإلا فمزقيه ..

وتقبلي أصدق عبارات "إيفان باراتوف" .

وأودع الرسالة ظرفا بعد أن أرفق به الشيك

وعلى الظرف كتب هذا العنوان :

«إلى الآنسة "نيلي روز ديتول"

"دار المعامل"

"باريس"

ثم كتب خطابا إلى البنك الذي يعامله في لندن وطلب إليه أن يخطره إذا ما صرف هذا الشيك .

ومر أسبوع . وحان موعد سفر "أرسين لوبين" .. وإذ ذاك وقع بين

الشريكين - أو قل بين الغريمين - حادث ضاعف ما بينهما من سوء التفاهم فبينما كان "لوبين" يهم بالخروج وقد حمل معطفه على ذراعه تعمد أن يسقط من جيبه مجلة وقعت عند قدمي "باراتوف" .

وقال الروسي :

- ما هذا ..؟ آه . ! مجلة «فرنسا في بولندا» .. هل ابتعت نسخة لنفسك .؟ لعمري هل يهمك أمر "نيلي روز ديتول" إلى هذا الحد؟

فقال "لوبين" وهو يتناول المجلة :

- ولم لا .. ؟ يلوح لي أنك تغار مني . ! أفي نيتك أن تتبرع بالملايين الخمسة لتتخذ من ذلك وسيلة إلى الوصول إلى الفتاة ؟

- سأفعل ما يحلو لي فليس الأمر من شأنك .. ! ولكني أسألك أن تدع هذه الفتاة وشأنها وألا تهتم بها .

فهز "لوبين" كتفيه وقال :

- في وسعي أن أجيبك بدوري بأني سأفعل ما يحلو لي وأن الأمر ليس من شأنك . ! ولكن لم الخلاف على فتاة لا شأن لها عندي . ؟

ولكن إذا لم يكن لـ"نيلي روز" شأن عند "أرسين لوبين" فإن لها كل الشأن عند "باراتوف" فقد تلقى في هذا الصباح برقية من البنك ينبئه فيها بأن الشيك صرف . ! إذن فقد قبلت الفتاة شرطه .. له أن يزورها في مخدعها فيما بين منتصف الليل والساعة السابعة صباحا في أية ليلة يحددها . !

وفي صباح اليوم التالي رحل "أرسين لوبين" . وكان الوداع الذي جرى بين الرجلين وديا يخفي في طياته ما يحسه كل منهما نحو صاحبه من نفور وتوجس .

* * *

ولم يكن "لوبين" على عجل من أمره كما قال . فقد حل أياما بـ"براغ" وأياما أخرى بـ"فينسيا" . وما ترك مدينة إلا هبط فيها ، وفي كل هذه المدن كانت له مع النساء جولات وصولات ، ولاعجب وهو الخبير بفن إغوائهن والاستيلاء على قلوبهن .

ومع ذلك فقد كانت ذكرى "نيلي روز" لا تزال تتردد في ذهنه ما بين يوم وآخر وقد استبد به الفضول .. ترى من تكون هذه الفتاة؟؟

أهي فتاة متبذلة مستهترة ؟ . إن لم تكن فهي على الأقل من ذلك الطراز العصري الذي لايحجم عن شيء و إلا فكيف نعلل هذا العرض الجريء الذي أقدمت عليه .. ؟

في أحد الأيام .. بينما كان في "فينسيا" طالع في إحدى الصحف الفرنسية نبأ لم يملك عنده أن ارتعد . لقد تبرع روسي يدعى "باراتوف" لدار المعامل بخمسة ملايين فرنك . !

ياله من شيطان . ! إذن فهو ينوي حقا أن يظفر بالفتاة . ! لاشك أنه متيم بها ، وإلا لما نزل عن خمسة ملايين من أجلها . !

إذن فعلى "أرسين لوبين" أن يعترض طريقه ويفسد خططه . ! كيف هذا . ؟ هذه الفتاة الرقيقة الوديعة .. التي لها وجه يحاكي وجوه الأطفال .. تقع فريسة لهذا الوحش الروسي . ؟ كلا .. ما كان "لوبين" ليحتمل هذه الفكرة .. على "لوبين" أن ينقذ الفتاة .. وعليه أيضا أن ينقذ "باراتوف" ويحول دونه وتبديد ثروته بهذه الوسائل الحمقاء . !

وفي صباح يوم ٨ مايو هبط "لوبين" باريس واحتجز لنفسه غرفة في البنسيون الروسي .. ووجد في انتظاره برقية من "باراتوف" يخطره فيها بأنه عدل موعد قدومه إلى باريس ، وأنه سيحضر بعد ظهر اليوم نفسه بالطائرة التي تصل إلى المطار في الساعة الرابعة ، وأنه سيكون في انتظار "جيرار" في الساعة السابعة في "نوفو بالاس" .

وغادر "لوبين" البنسيون الروسي بعد أن فرغ من تناول الغداء ، ومر بالفندق وسأل عن "باراتوف" ، إذ يحتمل أن يكون قد عجل موعد قدومه مرة أخرى ، ولكنه لم يجده .

وعرج "لوبين" بعد ذلك إلى ميدان "تروكاديرو" حيث تقيم "نيلي روز" وأمها ، ولم يكن ينشد معلومات جديدة ، وإنما جاء ينشد أن يرى الفتاة على البعد وأن يدرس موقع الدار التي تقطنها .

ثم مضى على أثر ذلك إلى دار المعامل .. وتحدث برهة مع البواب.

- نعم . إن الآنسة "نيلي روز" موجودة . وهذه السيارة الصغيرة سيارتها .

ونظر "لوبين" في ساعته .. لم يحن موعد "باراتوف" بعد .. أمامه ساعة على الأقل .. فلم لا ينتظر . ؟

وعلى الأثر وقف "ارسين لوبين" .. دون أن تكون في ذهنه فكرة معينة، أو خطة معينة ، ودون أن يكون متأكداً من أن "نيلي روز" ستخرج .. ولكنه مع هذا وقف ينتظر .. ينتظر خروجها . !

القسم الثاني

الفصل الاول

حين سمعت "نيلي روز" حديث "فالنيه" عن إفلاس امها وضياع ثروتها أدركها الحزن الشديد ، ولكنها إذ رأت أمها لاتزال ماضية في حياتها على النسق الذي ألفته دون أن تبدل شيئا في عاداتها ، ودون أن تعمد إلى الاقتصاد والعدول عن البذخ ، وقع في روعها أن "فالنيه" غالى وأسرف في القول ليحملها على قبول الزواج منه، فنسيت حديث الفقر والفاقة ولم تعد تفكر في الأمر .

وكذلك نسيت حادث دار المعامل وذلك العرض الطائش الذي تقدمت به متعهدة بأن تبذل من نفسها ماشاء كل من يتبرع للدار بخمسة ملايين فرنك ، ولكنها مع ذلك لم تملك أن تنكر أن شعورا خفيا غزا نفسها .. قلقا مبهما لاتدري كنهه تسلط على أعصابها وعاقها عن متابعة أبحاثها العلمية بنفس الإخلاص الذي كانت تعهده فيها من قبل . !

وفي ذات يوم حمل بواب دار المعامل إلى بيتها خطابا جاء باسمها إلى الدار ، وكان غلاف الخطاب يحمل طوابع "بولونيا" ، والعنوان مكتوب عليه بخط لاعهد لها به من قبل .

وفضت "نيلي روز" الغلاف ، فإذا فيه شيك وخطاب . .

أما الشيك فكان معنونا باسم رئيس دار المعامل وقيمته خمسة ملايين فرنك . وأما الخطاب فكان موجها إليها هي .. "إذا صرف هذا الشيك فمعنى ذلك أنك ستسمحين باستقبالي في مخدعك فيما بين منتصف الليل .." الخ .

وتخضب وجهها احمرارا .. "إيفان باراتوف" ؟ إنها لم تسمع بهذا الاسم من قبل ، فقد غاب عنها أنها لقيت صاحبه في سوق خيرية منذ عام..

خمسة ملايين .. ولقاء في المخدع .. وأخذتها رعدة ... ووجمت . !

مامعنى هذا . ؟ وإلى أية غاية يرمي هذا الروسي . ؟ وكيف عرف بالعرض الطائش الذي تقدمت به ما دمت صحف فرنسا لم تشر إلى الأمر؟

لاشك أن "زينيا" هي التي أذاعت الحادث في مجلتها «فرنسا في بولندا»

ومضت "نيلي روز" إلى دار المعامل، وما رأتها "زينيا" حتى أقبلت عليها تقول :

- انظري .. جاءتني هذه المجلة في بريد اليوم . !

وبسطت إليها نسخة من مجلة «فرنسا في بولندا» وفيها صورها الثلاث تحتل منها الصدر . فقالت "نيلي روز" :

- أمجنونة أنت يا"زينيا" . ؟ ألم أقل لك ألا تشيري إلى هذا الموضوع بكلمة . ؟

- وماذا تبتغين . ؟ حسبك أني كتمت اسمك . انظري . ! ما أجمل هذا الوضع . ! إني موقنة بأن نشر هذه الصور سيفضي إلى ضجة ملحوظة . غداً ستنهال التبرعات . !

وكانت الفتاة البولونية شديدة التحمس لفكرتها . فخشيت "نيلي روز" أن تصارحها بما جاءت من أجله فظلت تطوي الأمر وأرجأته إلى فرصة أخرى .

وبعد ظهر ذلك اليوم قابلت "نيلي روز" مدير دار المعامل وأرته الشيك ولكنها أبت أن تفضي إليه بسر الخطاب .

وهتف الأستاذ وقد استطاره الفرح :

- خمسة ملايين .. هذا عظيم . ! هذا رائع يا ابنتي . ! إذن سنواصل أبحاثنا العلمية الجليلة .! يا لها من دعاية واسعة النطاق.! غدا ستنهال علينا التبرعات من كل ناحية .

وما كانت "نيلي روز" لتشاطره هذا الابتهاج وهي تعلم السر في هذا التبرع . ! وقالت :

- الحق يا سيدي أني خائفة .. هذا الرجل لايعلم من أمري شيئا ولايعلم أني سكرتيرة الدار فلماذا أرسل إلي الخطاب وقد كان أولى به أن يرسله إليك أنت مباشرة .

فقال الأستاذ ضاحكا :

- أيخيفك يا ابنتي أن يصل إليك شيك بخمسة ملايين . ! ومع ذلك فما علينا إلا أن نرسل الشيك إلى البنك لنتاكد مما إذا كان صاحبه جاداً أم مازحا .

فهتفت "نيلي روز" في جزع :

- أرجو يا سيدي الرئيس ألا تطلب صرف الشيك . يكفي أن تستعلم من البنك عما إذا كان هناك حساب كاف باسم من يدعى "إيفان باراتوف" .؟

- إني أعدك يا ابنتي بألا يتناول أحد اسمك بسوء .

* * *

وبعد أيام من هذا الحديث استدعى المدير "نيلي روز" وابتدرها بقوله :

- إذن فقد كان الأمر جاداً . هناك حساب باسم "باراتوف" . وقد صرفت الشيك فعلا .

وما سمعت "نيلي روز" قوله حتى أجفلت وادركها الجزع وهتفت :

- صرفت الشيك فعلا .! كيف هذا .؟

ألم أسالك ياسيدي المديرأن تكتفي بطلب المعلومات وألا تصرف الشيك . ؟

فقال المدير :

- وما الذي يضيرك من صرفه يا ابنتي . ! أيتردد المرء أمام هذه الغاية الإنسانية الجليلة . ! إن الشيك محرر باسمي وقد صرفته .. وهذا كل شيء . ! وثقي بأن هذا الشيك سيكون فاتحة خير وسيغري آخرين بالتبرع وقد أمرت بإخطار الصحف بالأمر .

ولم تر "نيلي روز" إزاء هذا التحمس إلا أن تنصرف وقد لاذت بالصمت . فما كانت لتجرؤ على أن تكاشفه بأن صاحب هذا الشيك قد اشترط أن يمضي ليلة في مخدعها . !

ولقد أصاب الأستاذ "ليبييه" فيما توقع . فقد تحدثت الصحف كلها عن هذه الهبة الكبيرة حديثا مستفيضا.والفت "نيلي روز" نفسها

فريسة لإحساسات شتى متباينة . احست بالزهو والفخار لأن جمالها اغرى رجلا على ان يتبرع بخمسة ملايين فرنك وفي الوقت ذاته لم تملك إلا أن تتوجس وتستريب .

لقد صرف الشيك ومعنى هذا أنها قبلت شروط "إيفان باراتوف".!

معناه انها ستسمح له بان يمضي ليلة في مخدعها . !

ومضت "نيلي روز" إلى "زينيا" واقبلت تسالها :

– أتعرفين رجلا يدعى "إيفان باراتوف" . ؟

– لست أعرفه ولكني سمعت عنه .. إنه رجل واسع الثراء متقدم في السن يمضي الشطر الأكبر من السنة في "بولونيا" .

ثم أردفت البولونية :

– ولكن لم تسالين . ؟ لاشك انه قرا مقالي في مجلة «فرنسا في بولندا» فتبرع بهذه الملايين الخمسة . ولكنه تبرع بريء .. حب افلاطوني . مادام لم يطلب شيئا لقاء ملايينه .

ولم تجب "نيلي روز" ولم تشا أن تكاشف صديقتها بان الرجل طلب أن يمضي ليلة في مخدعها .. وما كانت "نيلي روز" لتجهل الخطر الذي تستهدف له . ! ولكن ما العمل . ؟ لقد وعدت وتعهدت . ولا مفر أن تبر بعهدها . !

وتتابعت الأيام .. خمسة .. فثمانية .. فاسبوعان . ولم يجد حادث جديد . ولم تسمع باسم "باراتوف" مرة أخرى . أتراه عدل عن تنفيذ شرطه .. !

وفي خلال ذلك كان لدى "نيلي روز" ما يشغلها ويملأ قلبها بالأسى والحزن . لقد عرفت أن "فالنيه" كان على حق حين قال إن أمها أفلست . لقد اعترفت أمها بالحقيقة في أحد الأيام عندما الح عليها أحد الدائنين بالوفاء .

اعترفت في يسر وهدوء . ودون أن تذرف دمعة واحدة . وكان "فالنيه" حاضرا هذا الاعتراف .

وقد عقب عليه بان أخذ يتحدث عن الخطر الداهم الذي يتهدد "نيلي روز" . وتحدث عن الخراب المنتظر . والفضيحة المرتقبة .

ثم أخذ يتحدث عن غرامه . ولم يعد إذ ذاك "فالنيه" الفتى الخجول

وإنما عاد رجلا آخر مضى يعرض اقتراحه في جراة وقحة .. إنه يضع ثروته رهن إشارتها لينقذها.. ولينقذ أمها .. على أن تتزوجه.
لقد استغل النذل تعاسة المراتين لتحقيق اغراضه .
وودت "نيلي روز" لو استطاعت أن تصفعه وقالت في ياس وقنوط :
- امهلني إذن اشهرا ستة .
ولكنه أجاب :
- كلا .. وما الداعي لهذا الانتظار الطويل . لابد من جواب عاجل..
والفت "نيلي روز" نفسها في موقف حرج . وكانت حزينة من أجل امها بنوع خاص . أمها التي اعتادت حياة البذخ والترف والتي لايمكن أن تروض نفسها من جديد على حياة الفقر والفاقة . ولم يكن في وسعها أن ترد "فالنيه" خائبا وترفض الزواج منه رفضا باتا قاطعا . ولم يكن في وسعها في الوقت ذاته أن تجيبه بالقبول. وكانت مدام "ديتول" تحبذ فكرة الزواج وتؤيدها . وكانت "نيلي روز" نفسها لاتجهل انه سيحين وقت قريب سترضى هي أيضا بالزواج .
وكانما أرادت مدام "ديتول" أن تبرهن لإبنتها على أن هذه الأزمة المالية قليلة الأثر وأنها لاتبالي بها . أو كانما أرادت أن تنفس عن صدرها همومها فعولت على أن تقيم في دارها حفلاً ساهراً.
وأيد "فالنيه" الفكرة وقال :
- ولنعلن خطبتنا في هذه الحفلة .
وأشاحت "نيلي روز" بوجهها دون أن تجيب . واأسفاه . كانت تشعر دائما بأن الهوة بينها وبين "فالنيه" عظيمة عميقة . اما "فالنيه" ففسر صمتها على انه قبول منها لاقتراحه ومضى يتولى بنفسه أمر تنسيق الحفل وإعداده .
وحدد يوم ٨ مايو موعدا لإقامته .
وكان مفترضا أن تحدد "نيلي روز" في هذا اليوم موقفها حيال "فالنيه" تحديدا نهائيا ، فإما أن ترتضيه زوجا لها وإما أن ترفض اقتراحه .
وفي هذا اليوم بالذات هبط باريس رجلان . رجلان لا تعرفهما "نيلي روز" . ولكن أحد الرجلين التقى بها مرة من قبل اما الثاني فلم ير إلا

صورتها .

وكان كلا الرجلين طامعا فيها يشتهي أن يظفر بها .

وبعد ظهر ذلك اليوم كانت "نيلي روز" في دار المعامل تزاول عملها كالمعتاد وسيارتها الصغيرة في انتظارها عند الباب . على حين كان "ارسين لوبين" يتمشى على الإفريز وهو يترقب خروجها حتى يظفر برؤيتها .

وفي تمام الساعة الثالثة غادرت "نيلي روز" دار المعامل وقبل أن تصعد إلى سيارتها رأت مركبة تبيع الأزهار فاقبلت عليها وابتاعت منها باقة ازهار الزنبق ثم استوت جالسة على مقعد السيارة وقد وضعت الباقة إلى جوارها .

على انها ما ابتعدت عن دار المعامل عشرين مترا تقريبا حتى خرجت إحدى سيارات التاكسي من منعطف الطريق واصطدمت السيارتان وقفز سائق التاكسي إلى الارض وصاح بالفتاة :

- عال جدا .. ! هذه نتيجة السماح للفتيات بقيادة السيارات.

ووثبت "نيلي روز" إلى الارض بدورها .

واسترسل السائق يقول :

- لقد حطمت الرفرف الأيسر يا سيدتي .. ! مامعنى هذا .. ؟ أهذه طائرة أم سيارة .. ! هل انت على موعد مع صديق .. ؟ لماذا هذا الإسراع إذن .. ! حقا .. إن النساء ..

وكاد يسترسل في وقاحته وسلاطة لسانه لولا أن شعر بيد تاخذ بتلابيبه ..

وكانت يد "ارسين لوبين" .. !

كان واقفا على الإفريز ينتظر الفتاة .. ورآها وهي تستقل السيارة.. ورأى الحادث ، وعرف أن السائق وقح سليط اللسان فخف إلى نجدة الفتاة . وقال "لوبين" وهو يدفع السائق في عنف إلى سيارته :

- اطبق فمك يا رجل . ؟ كل شيء سيسوى .. ؟

- سيسوى .. ؟ هذا كلام يقال .. ؟ انظر .. لقد تهشم الرفرف ..!

فقال "لوبين" وهو يرفع السائق بيديه ويجلسه على مقعد السيارة :

- مكانك .. وإياك أن تفتح فمك بكلمة أخرى .. ؟

- والسيارتان ! لقد تشابكتا ولابد من أدوات أخرى لفصل إحداهما عن الأخرى .

فصاح به "لوبين" :

قلت لك أطبق فمك وإلا قطعت لسانك .. ؟

واستطاع بقوته الفولاذية أن يبعد سيارة "نيلي روز" عن سيارة السائق بعد أن تشابكتا .

ثم فتح باب السيارة الصغيرة وانحنى أمام "نيلي روز" في رشاقة فعرفت أن في وسعها أن تمضي إلى سبيلها . فصعدت إلى سيارتها بعد أن احنت رأسها تحييه وتشكره وقالت :

- أشكرك يا سيدي .. ؟

وفتنه صوتها .. كما فتنته من قبل صورتها .

وصاح السائق من جديد :

- كيف هذا ..؟ كيف أدعها تمضي في سلام .. لابد من إبلاغ البوليس .. لقد تهشم رفرفي .. ؟

فصاح به "لوبين" :

- كفى ..؟

وحانت لفتة من "لوبين" فرأى على الأرض عودا من أعواد الزنبق ، لقد سقط من سيارة "نيلي روز" .

تناول "لوبين" عود الزنبق وأخرج من محفظته ورقة مالية قدمها إلى سائق التاكسي وهو يقول :

- اصعد إلى سيارتك وعجل .. ؟

وبعد لحظات كانت سيارة التاكسي قد اتجهت في نفس الاتجاه الذي سارت فيه سيارة "نيلي روز" .

وكان "أرسين لوبين" منزويا داخل التاكسي .

الفصل الثاني

مضت "نيلي روز" بسيارتها صوب الجراج حيث أودعتها هناك .

وإذ ذاك أدركت أن عود الزنبق غير موجود .. لقد سقط بلاشك أثناء نزولها من السيارة عقب وقوع الحادث .

وعند خروجها من الجراج رأت سائق التاكسي .. لم يتقدم إليها شاكيا متذمرا ، وإنما تقدم وقبعته في يده اليسرى احتراما ..

أما يده اليمنى فكانت مبسوطة إليها وفيها عود الزنبق ..

وعجبت "نيلي روز" للأمر .. فمنذ لحظات كان هذا السائق أشبه بالوحش الهائج فما الذي رده ذليلا مجاملا لطيفا .. ؟ وأدارت بصرها فيما حولها فلمحت على قيد خطوات ذلك الرجل المجهول الذي أنقذها من غضبة السائق منذ هنيهة .

وحنى الرجل رأسه تحية لها .. ودهشت "نيلي روز" .. وقطبت جبينها. ولكنها لم تملك إلا أن أومأت برأسها ترد عليه تحيته ثم أشاحت بوجهها وتابعت طريقها على عجل .

وتحول السائق إلى "لوبين" وقال :

- والآن . ؟

- لاشيء . ! يمكنك أن تنصرف . !

واستدار "لوبين" ومضى متجها إلى "نوفو بالاس" وقد ترك السائق وراءه مشدوها .

وبعد دقائق قليلة وصلت "نيلي روز" إلى منزلها فالفت أمها رائحة غادية بين القاعات المختلفة وهي تصدر التعليمات والأوامر استعدادا للحفل الساهر . على حين جلس فرسانها الأربعة إلى إحدى الموائد يلعبون البريدج .

وصاحت بهم مدام "ديتول" :

- بالله . ! إنكم تزعجونني .. ! انتقلوا إلى قاعة أخرى وأغلقوا الأبواب عليكم والعبوا كيف شئتم .

وأطاعها فرسانها في غير تردد وانتقلوا إلى غرفة التواليت .

وجاءت "نيلي روز" في هذه اللحظة فلما رات امها منهمكة في العمل أسرعت إلى مخدعها لتبدل ثيابها ، بعد أن وضعت عود الزنبق في إناء على منضدة في المخدع .

وحين دخلت غرفة "التواليت" رات الفرسان الأربعة يلعبون البريدج وصاحت بهم :

– انتم هنا . ! اخرجوا بالله عليكم فإني أريد أن أبدل ثيابي .

وخرجوا جميعا عدا "فالنيه" الذي اقترب منها وهو يقول :

– "نيلي روز" ..

– أوه . ! أرجوك أن تخرج انت ايضا . !

– اسمحي لي بكلمة صغيرة اليوم ستلقين إليَّ جوابك النهائي بالقبول .أليس كذلك . ؟

– "فالنيه". ! أرجوك أن تخرج . ! وإلا اغرقتك بالماء . !

وتناولت انبوبة الدوش وسددتها إليه ، فلما رات خوفه ضحكت وقالت :

– أرجوك يا "فالنيه" أن تعهد إلى "فيكتورين" بان تحمل إليَّ فستاني.

– سأذهب يا "نيلي روز" .! ولكن اعلمي أولا انك أجمل امراة وقعت عليها عيني . !

وسار إلى الباب ثم التفت إليها فجاة وقال :

– الم تقرئي صحف بعد الظهر . ؟ لقد جاء فيها أن "إيفان باراتوف" يصل اليوم إلى "باريس".

فارتعدت "نيلي روز" وقالت :

– هيه . ؟ ماذا تقول .. ؟

– "باراتوف" .. الروسي الذي تبرع بالملايين الخمسة . لقد حجز لنفسه جناحا في "نوفو بالاس" .

ثم خرج دون أن يفطن إلى ماعراها من اضطراب وانزعاج ، لقد جاء "باراتوف" إذن إلى باريس ! . أتراه قد جاء ليصفي الحساب. !لابد أن تلقاه وتحاول أن تثنيه عن عزمه . !

وأسرعت إلى التليفون واتصلت بفندق "نوفو بالاس" وقالت :

– أريد أن أخاطب مسيو "باراتوف" من فضلك .

إنه لم يصل بعد ياسيدتي .

- ولكنه سياتي اليوم حتما . ؟

- لقد اخطرنا بهذا تلغرافيا ياسيدتي .

- أرجوك ان تخطره إذن أن الآنسة "ديتول" ستحضر لمقابلته في صباح الغد .

- الآنسة "ديتول" ؟ حسنا ياسيدتي .. ولكن يوجد الآن في جناح مسيو "باراتوف"صديق له ينتظر قدومه فهل تحبين أن تتحدثي إليه ؟

- نعم .. حول إليه الخط من فضلك .

اما هذا الصديق فلم يكن إلا "ارسين لوبين" .

فبعد حادث اصطدام السيارتين مضى إلى الفندق وسال عن "باراتوف" فعلم انه لم يصل بعد فاثر ان ينتظره فصعد به أحد الخدم إلى الجناح المخصص للروسي .

وتهالك "لوبين" على احد المقاعد وانشا يفكر في "نيلي روز" .. لقد صدق "باراتوف" حين قال إنها اجمل من صورها بكثير . ! نعم .. وإنها فتانة باهرة الحسن . ! وإنها لنكبة كبرى أن تقع فريسة هذا الوحش الروسي ، ولكن "لوبين" بالمرصاد ولن يسمح بوقوع هذه النكبة .

وفجاة دق جرس التليفون . وتناول "لوبين" السماعة :

. هناك سيدة تسال عن مسيو "باراتوف" ياسيدي .

- من هي . ؟

- الآنسة "ديتول" .

- "نيلي روز".؟ هذا عجيب . ! ولماذا تريد أن تتصل بـ"باراتوف" ؟

صلني بها إذن لأتحدث إليها .

وحرص "لوبين" وهو يتحدث إلى "نيلي روز" أن يغير من صوته حتى لاتعرفه .

- نعم يا سيدتي .. إنني صديق مسيو "باراتوف" وشريكه . فهل تحبين أن تعهدي إليّ برسالة اتولى إبلاغها له . ؟

- نعم يا سيدي .. إني اريد أن اقابل مسيو "باراتوف" . (وهنا بان التردد في صوتها) لقد عهد إليّ مجلس إدارة دار المعامل بالاتصال به في شان حفل تكريم تريد الدار اقامته له . فارجو أن تبلغه أني

سازوره غدا صباحا .

- حسنا ياسيدتي .. ولكن هل أنت الآنسة "ديتول" نفسها ؟

- نعم .

- وإذا وصل مسيو "باراتوف" اليوم فهل يمكنه ان يقابلك اليوم أيضا ؟

فصاحت "نيلي روز" في شيء من الذعر :

- كلا .. كلا .. إنني مشغولة اليوم .. أن لدينا الآن حفل استقبال.. غدا صباحا سأحضر إلى الفندق في الساعة الحادية عشرة .

- حسنا .. سأبلغه رسالتك يا آنسة .

رد "لوبين" سماعة التليفون مكانها ومضى يفكر .. لقد دق ناقوس الخطر .. هناك صلة إذن بين "باراتوف" و"نيلي روز" .. وإلا لما سعت إلى مقابلته .. اما زعمها بانها تريد أن تتحدث إليه في شان حفل تكريم فاكذوبة صارخة .. ما كان "لوبين" بالغبي الذي يخفى عليه ما غشي صوتها من تردد .

دق ناقوس الخطر فعليه أن يبادر بالعمل إذن قبل فوات الوقت .

إن "باراتوف" لن يصل إلى الفندق إلا في الساعة السابعة مساء.. والآن الساعة الرابعة .. فليمض إذن إلى دار مدام "ديتول" وليحاول ان يرى الفتاة عن كثب ..

ولم يتردد "لوبين" في تنفيذ خطته .. وفي جراة لاتعهد إلا فيه قصد إلى مدام "ديتول" وتخطى العتبة كانه صديق قديم .. ولم تقف به الجراة عند هذا الحد فقد تقدم إلى مدام "ديتول" وقبل يدها على بطريقة لايقدم عليها إلا الأصدقاء الخلصاء . ودهشت المراة إذ لم تكن لتذكر هذا الوجه الغريب عنها . ولكن وقع في روعها انه لابد أن يكون صديقا لابنتها ..

وكانت هناك مشاهد رقص استعراضية ومشاهد هزلية تعرض على المدعوين ، فلما انتهى المشهد الثالث هرع المدعوون إلى قاعة الطعام ، ودار "لوبين" بعينيه في المكان يبحث عن "نيلي روز" .

ورآها تتحدث إلى شاب أنيق يضع (مونوكلا) على عينه وسمع احد الواقفين إلى جواره يقول :

- أليس هذا الشاب هو خطيب "نيلي روز" ؟
واقترب "لوبين" منهما دون أن تراه الفتاة ، وأدرك من لهجة الحديث الذي يدور بينهما أن هذا الشاب لايمكن أن يكون خطيبا لها .
وقال الشاب :
- إنه حفل رائع يا"نيلي روز" ؟
- الفضل راجع إليك يا"فالنيه" !
- لاتتحدثي عن هذا .. حسبي أني سعيد جدا الليلة! ألا تحبين أن تتناولي شيئا من المرطبات ؟
- نعم .. قدح من عصير البرتقال من فضلك .
وغاب "فالنيه" برهة ثم عاد يحمل إليها قدح البرتقال . وقال :
- إذن فقد اتفقنا على الكيفية التي نمضي بها السهرة ؟ الأوبرا أولا في الساعة التاسعة . وبعدها نذهب إلى مرقص "بوتلييه" . ؟
فقالت الفتاة معترضة :
- كلا يا "فالنيه" ! إني متعبة الليلة . سأذهب إلى الأوبرا ولكنني لن أبقى إلى النهاية . سأغادرها في الساعة العاشرة . إن لدي عملا كثيراً في الغد وأرجو ألا تنبئ أمي بتخلفي .
- إذن سأرافقك في العودة . !
- كلا . شكرا .. سأستقل تاكسيا .
وبدأت الموسيقى تعزف . ورأى "لوبين" أن الفرصة المواتية قد حانت فتقدم إلى الفتاة وحنى رأسه يدعوها إلى الرقص دون أن ينطق بكلمة واحدة.
ورفعت إليه "نيلي روز" بصرها في دهشة واستغراب وقد كادت شفتاها أن تفلتا آهة الذهول . ! هذا هو الرجل الذي أنقذها من غضبة سائق التاكسي . ! هذا هو الرجل الذي جاءها بعود الزنبق الذي سقط منها . !
لبثت "نيلي روز" برهة مشدوهة ذاهلة . ما معنى هذا . كيف تراه بين المدعوين ؟ إلى أية غاية يرمي بتعقبه لها . ؟ وكيف تؤاتيه الجرأة على أن يتبعها حتى إلى دارها .
وهمت "نيلي روز" بأن ترفض مراقصة هذا الرجل الغريب المجهول.

ولكنها مالبثت أن عدلت عن رأيها ولبت دعوته دون أن تنطق بكلمة واحدة .

وبين ذراعي الرجل الغريب المجهول رقصت "نيلي روز" . وكان رقصها رائعا . خيل إليها أن سحرا قد اشتملها واحتواها . عجيب أمر هذا الرجل . ! هذي أول مرة شعرت فيها بأن للرقص فتنة وسحرا . !

وكفت الموسيقى عن العزف . وتخلصت الفتاة من بين ذراعي الغريب المجهول . وانحنى هذا أمامها . صامتا لايتكلم . ثم ابتعد متجها إلى الردهة .

وظلت "نيلي روز" تتابعه بعينيها حتى توارى .

مضى "لوبين" إلى الردهة وتناول معطفه وقبعته واتجه إلى باب الخروج .

ولكنه لم يخرج .

الفصل الثالث

نعم . لم يخرج "أرسين لوبين" .

فقد أراد أن يكمل مهمته وأن يجوس خلال مسكن "نيلي روز" ..

لقد علم من البواب أن الآنسة تشغل من الطابق جناحا خاصا يتصل بالسلم بباب مستقل صغير .

وسار "لوبين" إلى الجناح الذي تشغله "نيلي روز". في نهاية الدهليز باب يفضي إلى هذا الجناح فاستطاع "لوبين" أن يبلغه دون أن يفطن إلى أمره أحد . واستطاع أن يتسلل إليه خفية .

على أنه لم يكن يدري مع هذا ما ينوي أن يفعل في مسكن "نيلي روز" ألعله يريد أن يستنشق الهواء الذي تستنشقه الفتاة ؟ ألعله يريد أن يعيش لحظات خاطفات في هذا الجو الذي تعيش فيه تلك الفتاة التي كادت أن تدير رأسه ؟ أم لعله يريد أن يتابعها. ويطاردها . ويقتفي أثرها ويهيج إحساساتها ويزعجها ويشيع الانفعال في نفسها ..؟ وبهذه الطريقة يتمكن من التسلط على أعصابها ؟

وسار إلى مخدع الفتاة . ورأى عود الزنبق مرشوقا في إناء . ! إذن فقد احتفظت به ! وشاع الابتهاج في نفس "لوبين" . ولم يخطر له أنها احتفظت بعود الزنبق إكراما له . !

وطاف "لوبين" بالغرف واحدة بعد الأخرى . وملأ خياشيمه عطر جميل . العطر الذي تتعطر به "نيلي روز"..! وأحس إذ ذاك كل ما للفتاة الحسناء من سحر يطغى على مشاعره ويدير رأسه . واستحوذ عليه شعور واحد ، هو أن يتملكها ويحتويها بين ذراعيه. ومرت لحظة وهو يحلم ، ويفكر ويتصور .

ونفض عنه فجاة ثورة انفعاله . وغادر مسكن "نيلي روز" . ولكنه رجع إلى قاعة الرقص . واقترب من رئيس فرقة الموسيقى وهمس في أذنه يطلب منه أن يعيد عزف لحن الفالس الذي كان يعزفه أثناء رقص "لوبين" مع "نيلي روز" .

وعزفت الفرقة لحن الفالس .

وكانت "نيلي روز" جالسة مع الفرسان الأربعة في قاعة الاستقبال المجاورة ، ولكنها ما كادت تسمع لحن الفالس حتى زايلت مكانها ودخلت إلى قاعة الرقص . لقد ذكرها هذا اللحن برقصتها السعيدة مع هذا الغريب المجهول الذي لاتعرف حتى اسمه .

وعلى عتبة القاعة جمدت مذهولة .. ماخوذة .. هذا هو صاحبها هذا هو الغريب المجهول .. كانت قبعته في يده ومعطفه على ذراعه. وفوق المعطف عود الزنبق .

لبثت "نيلي روز" برهة تحملق إليه ثم اسرعت تجري إلى مخدعها . ترى .. أهذا العود هو عودها ؟ ابلغت الجراة من الرجل إلى هذا الحد ؟ لم تجد "نيلي روز" عود الزنبق في مخدعها. واستولى عليها الغضب .

ماذا يبغي هذا الرجل . ؟ وكيف جسر .؟ وإلى أية غاية يرمي بهذه المطاردة . ؟

وعولت على أن تتحدث إليه وتؤنبه .

ورجعت إلى قاعة الرقص . واقتربت من الغريب المجهول والغضب لايزال آخذا منها واقبلت عليه تقول في جفوة بل في وحشية :

- من أنت . ؟

ابتسم وقال :

- صديق .

- ولكني لست أعرفك .. واي حق يخول مطاردتي بهذا الشكل . وكيف سمحت لنفسك بدخول مخدعي ؟

فاجابها في هدوء ورقة :

- دخلت مخدعك لآخذ عود الزنبق .

- سيدي . هذا اعتداء غير لائق على حرمة مخدعي . ! ولست اجد عذرا أبرر به فعلتك .

- أسالك الصفح يا آنسة . لقد أسعدني أن أراك احتفظت بعود الزنبق ..

وكان في قوله هذا إهانة جديدة .

وهزت "نيلي روز" كتفيها وقالت :

- احتفظت به مصادفة .. ومع ذلك فلست أسمح لك بان تاخذه .

- أرجو أن تدعيه لي .
- مستحيل .. ارمه على الأرض .. إني لا أسمح لك مطلقا بأن تأخذ عود الزنبق .
فقال "لوبين" متوسلا في صوت رقيق :
- أرجوك . ؟ ما قيمة هذا العود عندك . ؟ لاشيء . ! أما أنا فساحتفظ به إكراماً لذكرى رقصة الفالس التي رقصناها معا ..!
أرجوك .
وأعاد عليها هذه الكلمات في صوت رقيق . مليء بالحنان . وكانت عيناه تتوسلان إلى عيني الفتاة .
وذاب غضب "نيلي روز" .. ولم تزجره .. وغزا قلبها شعور بالاستسلام .
وغضت بصرها وظلت صامتة .
وسار "لوبين" إلى الباب وهو لايرفع عينيه عن وجه الفتاة حتى توارى .

* * *

استقل "لوبين" تاكسيا طار به إلى البنسيون الروسي في "أوتي" .
وانزوى في ركن السيارة ومضى يدخن .. وكان سعيدا .. هاقد بدأت مغامرة جديدة .. مغامرة مليئة بالحب والحياة .. ؟
حين احتواها بين ذراعيه وهو يراقصها رقصة الفالس شعر بالعطر الذي يتضوع من شعرها يغزو قلبه وكيانه .. وشعر بأن عليه واجبا حيال هذه الفتاة .. إنه مطالب بأن يحميها من الآخرين .. ومن "باراتوف" على الأخص .
إن "نيلي روز" ليست بالفتاة المستهترة الخليعة .. إنها طاهرة نقية كالطفلة البريئة . فمن الإجرام إذن أن يدعها إلى الذئب الروسي يلتهمها ويفترسها .
وحين بلغ البنسيون الروسي دعا إليه صاحبه - وكانت له به معرفة وثيقة قديمة - وقال له :
- اسمع يا "إيجور" .. أريد منك أن تسدي إليّ خدمة .
- إنك تعلم يا "جيرار" أني رهن إشارتك .. فلولاك لكنت الآن منفيا

في "سيبريا". أو لكنت بعبارة أخرى جثة هامدة .

– أليس في هذا البنسيون سائقو سيارات .. ؟

– بلى .. لدينا ثلاثة من سائقي التاكسي يشغلون الغرف الصغرى.

– أليس من بينهم من يمكن أن يكون أهلا للثقة .. ؟

– بلى إنهم جميعا أهل لثقة .. إنهم يعلمون أنك أنقذتني من النفي وأنك أنقذت عشرات من الروسيين من الأتون البلشفي ، فهم يحبونك ويحترمونك . ويمكنك أن تستخدم من بينهم "ابراتييف" فهو مخلص كتوم.

– أيعود في هذا المساء ياترى .. ؟

– إنه موجود الآن إذ إن نوبته لا تكون إلا ليلا .

– حسنا .. ادعه إلى مكتبك وسالقاه عند نزولي بعد نصف الساعة.. ولكن ما هذه الزينة .. أتنوي أن تقيم مادبة الليلة .. ؟

– نعم حفل راقص .

– هذا من حسن حظي .. لأنه يتفق وخطتي .

وبعد نصف الساعة زايل "لوبين" غرفته فوجد سائق التاكسي في مكتب صاحب البنسيون فقال له :

– اسمع .. لن أحتاج إليك إلا بعد الساعة التاسعة . فكن في هذا الموعد أمام فندق "نوفو بالاس" .. فستذهب بي إلى دار الأوبرا . وفي نحو الساعة العاشرة أو العاشرة والنصف ساغادر الأوبرا وفي رفقتي سيدة . فإذا ماركبنا سيارتك فاسرع بنا إلى هذا البنسيون .. ومهما حدث فلا تكف عن السير .. إذا استنجدت السيدة أو نقرت على الزجاج فلا تبال بها .. استمر في طريقك حتى تقف بباب هذا البنسيون . أفهمت .. ؟

– فهمت .! إني رهن أوامرك . !

– شكراً لك . واظنني ـست في حاجة إلى إعادة هذه التعليمات عليك.

– كلا .

وقال صاحب البنسيون :

– يمكنك أن تركن إليه .

– حسنا .

وغادر"لوبين" البنسيون وهو يبتسم ابتهاجا .. لم يكن رأيه قد استقر على خطة معينة ولكن الحديث الذي دار بين "نيلي روز" وصديقها "فالنيه" اثار في ذهنه فكرة ما .. سيحاول أن يحمل الفتاة على مرافقته إلى البنسيون فهل تراه سيخفق في مهمته أو ينجح ؟!

ومضى إلى فندق "نوفو بالاس" فوجد "باراتوف" في انتظاره وهو يدخن ويجري بعينيه في صحف المساء .

وتبادل الرجلان التحية في حرارة .

وقال "لوبين" يسأله :

– أرجو أن تكون قد أمضيت رحلة طيبة ؟ .

– نعم .. وأنت ؟ هل أصبت من التسلية ما ترجوه ؟

– نعم .

– كعادتك بلاشك . ؟ النساء دائما .. ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

– أظن ذلك . !

فضحك "باراتوف" وقال :

– يالك من "دون چوان" لايكف لحظة عن إغواء النساء . ؟

ثم قال "لوبين" في لهجة حاول أن يجعلها عادية :

– وبالمناسبة .. طلبتك سيدة في بالتليفون في الساعة الرابعة وكنت في انتظارك هنا فلبيت النداء .

– ومن تكون هذه السيدة ؟

– فتاة عهدت إليها دار المعامل بالاتصال بك لأن الدار تريد أن تقيم لك حفل تكريم .. ولا عجب .. فخمسه ملايين ليست بالتبرع الذي يقع كل ساعة . ! والحق اني ما كنت اعتقد انك شديد الاهتمام بالابحاث العلمية والإنسانية إلى هذا الحد . !

وكانت نبرات صوته وهو يلقي بهذه الكلمات عادية مجردة عن التهكم وقال "باراتوف" في خشونة :

– وماذا قالت هذه السيدة . ؟

– قالت إنها ستحضر في صباح الغد لتتفاهم معك في شان حفل التكريم . .

- في أية ساعة .. ؟
- الحادية عشرة . !
- حسنا سأكون في انتظارها إذن .
وقد دار هذا الحديث بين الرجلين في لهجة عادية ، وكل منهما يحاول أن يجرد نبرات صوته مما قد يوحي بما في نفسه .
وبعد لحظات قال "باراتوف" :
- ولكني أراك متأنقا فهل تنوي الخروج الليلة . ؟
- نعم .
- لقد ظننت أنك ستسافر الليلة إلى "نورماندي" لترى أمك . ؟
- لقد عدلت عن رأيي .. إني ذاهب الليلة إلى المسرح مع بعض الأصدقاء .
- بعض الأصدقاء . ؟ أم بعض الصديقات كالعادة . ؟
- نعم .. صديقات كالعادة . !
- يالك من مغازل لبق . ! ما أحلى أن يكون المرء شابا . ! أما أنا فسألزم الفندق الليلة إذ أشعر بتعب من أثر رحلتي .. أتحب أن تتناول العشاء معي . ؟
- إذا شئت .
ودق "باراتوف" الجرس وأمر بإعداد العشاء في جناحه الخاص .
ولما فرغا من الطعام قال "باراتوف" :
- ما أجمل هذه الحياة البسيطة .. طعام ونوم ... ثم نوم وطعام .
فقال "لوبين" وهو ينهض واقفا :
- ألا ترغب حقيقة يا"باراتوف" في أن ترتدي ثيابك وترافقني إلى المسرح لأقدمك إلى صديقاتي . ؟
- شكراً .. ليس في هذه الليلة .. فإني لا أنوي الخروج . !
فضحك "لوبين" وقال :
- كأني بك تدخر قواك لاستقبال الفتاة التي تحضر إليك في صباح الغد . !
- يجوز . ! وهأنذا أكرر عليك القول يا صديقي بأنه لم يعد لي من الحياة مثل شبابك .

كانت في لهجة الروسي نبرة هازئة لم تغب عن "لوبين" .. وأخذ يتساءل عما يخفيه الروسي في صدره . ؟ وما الخطة التي ينتويها إزاء "نيلي روز".؟ ومع ذلك ففي الوقت متسع لإنذار "نيلي روز" بما يتهددها حتى تكون من هذا الوحش الروسي على حذر .

وبعد قليل غادر "لوبين" الفندق .. فالفى سيارة "إبراتييف" في انتظاره فاستقلها فطارت به إلى دار الأوبرا . !

وما كاد "لوبين" ينصرف من جناح صديقه حتى بادر هذا إلى دق الجرس .. فلما جاءه الخادم صاح به :

- ابعث إلي على الفور برسول يحمل رسالة مستعجلة إلى منزل في ميدان "تروكاديرو".. وأسرع ..

ثم فرك كفيه ابتهاجا .

الفصل الرابع

فجاة الفت "نيلي روز" نفسها فريسة للاضطراب .. أصبحت نهباً لنزعات مختلفة متباينة ..كيف ولماذا يتجاسر هذا الغريب المجهول، فيقتحم حرمة مخدعها دون استئذان .. ؟

وارادت أن تخلو إلى نفسها ، فمضت إلى مخدعها ، ودقت الجرس تستدعي الوصيفة وقالت لها :

- قولي لأمي إني اشعر بصداع خفيف ، وإن النوم كفيل بإزالته ، ولذلك لن اجلس إلى المائدة .. فعليك أن تاتيني بقدح من الشاي وبعض قطع من السندوتش .. ويهمني الا يزعجني أحد .. فلاتستدعوني إلا عندما يهمون بالخروج .

- سابلغها ذلك يا سيدتي .

ومضت "فيكتورين" ، وتنفست "نيلي روز" الصعداء ، إنها في حاجة الآن إلى الوحدة لتتدبر الأمر ولتدرس مشاعرها المختلفة.. ماذا يبغي منها هذا الرجل . ؟ ولماذا جاء يتعقبها بهذه الطريقة التي تنطوي على جراة نادرة ..؟ كيف يطاردها بهذا الشكل .؟

وغشيها الانفعال من جديد .. بل استولى عليها الغضب ..لقد نفضت الآن تاثيره عليها .. لم يعد متسلطا على أعصابها كما كان منذ لحظات .. إنها الآن تستطيع أن تفكر بحرية أكثر .. وساءها أنها وقعت تحت تاثيره .. لقد هزم إرادتها ، ودحر مقاومتها ، وتركها مستسلمة مذعنة .

وظلت تفكر في هذا ومثله ساعة كاملة ثم جرعت قدح الشاي المثلج فرد عليها نشاطها وبعث فيها بعض حيويتها .

وإذ ذاك دق الباب :

- إنني "فيكتورين" جاء رسول برسالة مستعجلة باسمك .

- حسنا ادخلي .

وتناولت "نيلي روز" الرسالة ونظرت فيها . وداخلها شعور من القلق والتوجس .. خيل إليها أن هناك شراً يكمن داخل هذا الغلاف .

وفضت الغلاف فوجدت فيه بطاقة . وعلى البطاقة سطور قليلة .
وقرأت "نيلي روز" هذه السطور وارتعدت . وغمغت تقول :
- يا إلهي ! لقد نسيت هذا . !
وكان هذاحقا .! لقد نسيت "إيفان باراتوف" . ! نسيته إذ طغى عليها الشعور بالأزمة المالية . وطغى عليها انفعالها الذي سببه هذا الغريب المجهول . وإزاء هذه المشاعر المتضاربة كلها نسيت "باراتوف" وملايينه الخمسة وشروطه القاسية . ولم تعد تذكر من أمره شيئا .
وتهالكت على المقعد وافلتت أصابعها البطاقة فسقطت عند قدميها وكانت عيناها ناطقتين بالخوف والذعر . ووجهها شاحبا شديد الامتقاع وقد غاضت الدماء من وجنتيها المتضرجتين .
وإذ ذاك دخلت عليها أمها .
وقالت مدام "ديتول" :
- هيا يا "نيلي روز" فقد حان أوان الخروج . ولكن ماذا بك . ؟
إنك شاحبة اللون . ؟ أمريضة انت .؟ اجيبي .؟ ماذا بك .؟
واقتربت مدام "ديتول"من ابنتها منزعجة قلقة ، ووقعت عيناها على البطاقة الملقاة على الأرض فقالت وهي تلتقطها :
- ما هذا . ؟
وقرأت البطاقة واجفلت . ثم صاحت تقول :
- ما معنى هذا . "باراتوف" . ؟ الروسي الذي تبرع بخمسة ملايين لماذا تطلبين منه أن يحضر إلى مخدعك عند منتصف الليل .؟ لماذا.
اجيبي يا"نيلي روز" . !
وكانت مدام "ديتول" في انفعالها تتكلم في صوت مرتفع حاد النبرات تطاير صداه حتى بلغ آذان الفرسان الأربعة الذين كانوا وقوفا في الدهليز فاقبلوا مسرعين يستفسرون عن الخبر .
وقالت مدام "ديتول" :
- الخبر . ؟ لقد وقع شيء عجيب . شيء لايمكن تصديقه . ! هناك روسي يدعى "باراتوف".الروسي الذي تبرع لدار المعامل بخمسة ملايين فرنك ، لقد تجاسر وكتب إلى ابنتي هذه الرسالة .. اسمعوا .
وفي صوت يضطرب بالاستياء والامتعاض قرأت عليهم الرسالة

التالية :

"إني موقن يا آنسة من انك لازلت تذكرين ما اتفقنا عليه . في منتصف الليل ساحضر لزيارتك وسادق الجرس وستكونين وحدك في مخدعك فقد قبلت ذلك . ولك تحياتي الخالصة مع احترامي."

واسترسلت الأم تقول :

- هذه الكلمات مذيلة بتوقيع "باراتوف" . فما معنى هذا .؟ انظروا.

وبسطت يدها بالبطاقة إلى الفرسان الأربعة فاخذ كل منهم يعلق على الأمر بما يعن له :

- هذه حماقة لا نظير لها .!

- أيكتب المجنون مثل هذه الرسالة إلى فتاة عذراء .!

- ياله من خليع متبذل .!

وقال "فالنيه" في غضب :

- كيف يبيح هذا الوضيع لنفسه أن يكتب هذه الرسالة وإلى اية غاية يرمي .؟

فقالت مدام "ديتول" :

- هذا ما فتئت اسال ابنتي عنه وهي مطبقة فمها تابى أن تجيب!

وكانت "نيلي روز" قد استردت ثباتها في خلال هذا الحوار ونفضت عنها آثار الاضطراب . وأدارت بصرها في أصحابها فراتهم حائرين مرتبكين فلم تملك إلا أن ضحكت وقالت :

- يا إلهي ..! ما أغرب أطواركم .! أبهذه النظرة التراجيدية تتناولون مسالة لا أهمية لها ..! بالله عليكم دعوني وشاني . اذهبوا إلى الأوبرا ودعوني وحدي ولا تهتموا بامري .!

وبسطت مدام "ديتول" ذراعيها إلى السماء وهتفت :

- إنها مجنونة .! "نيلي روز" هل أصابك مس من الخبل ؟ بالتاكيد ليس في نيتك أن تستقبلي هذا المخلوق ؟

فهزت "نيلي روز" كتفيها وقالت في بساطة :

- ولم لا .؟

وارتفعت صيحات الاستنكار من كل ناحية .

ورأت "نيلي روز" نفسها مطالبة بأن تلقي شيئا من الضوء على ما

حدث .وفي كلمات موجزة قصت عليهم ما كان من امر "باراتوف" وتبرعه وشروطه ومحاولتها أن تثني المدير عن صرف الشيك . وكيف صرفه على غير علم منها .. إلخ .

وصاح "فالنيه" في استياه :

– ولكن هذا التعهد من جانبك لا يعني شيئا .! ورسالة هذا الرجل لا تستحق إلا أن تلقى في سلة المهملات .؟

وقالت مدام "ديتول" مؤمنة :

– بالتاكيد .. بالتاكيد .. ياله من رجل غريب الأطوار . إنه نذل وضيع ! إنه .. لست ادري كيف أصفه . ألا تعرفين هذا الرجل يا "نيلي روز" .؟ وعلى اية حال لا تكترثي لشانه .

فقالت الفتاة :

– كيف لا اكترث وقد قبلت شروطه .! حقيقة قبلتها مكرهة بحكم الظروف دون أن يكون لي راي في الأمر . ولكنه قبول على أية حال.

فصاحت مدام "ديتول" :

– ولو ! هذا لا يعنيني في شيء ! إنك لن تقابلي هذا الخليع الفاجر أتظنين أني أستطيع أن اغضي عن هذا التبذل .. كلا.. سابقى في البيت لا أبرحه ولن ..

فقال "فالنيه" مقاطعا :

– بل سنبقى جميعا .

غير أن "نيلي روز" كانت لا تزال مصرة على رأيها فقالت في هدوء :

– لقد قبلت شروطه . فإذا نكصت فمعنى ذلك أني ابتززت منه الملايين الخمسة تبرعا للدار دون أنفذ ما تعهدت به .! لابد لي إذن من مقابلته على انفراد. وإذا بقيتم تركتكم ونزلت انتظره في الطريق .

– ولكن ليس لك الحق يا ابنتي في قبول هذه الشروط ؟

– يجوز ولكني قبلت على أية حال فانتهى الأمر بذلك .

– ماذا قبلت ؟ أتعرفين باي شيء تعهدت ؟

– تعهدت بمقابلة هذا السيد (الذي يحتمل الا يكون فاجرا وضيعا) في غرفتي بعد منتصف الليل .

– وإذا أصر ؟

- اصر على اي شيء .؟

فضربت مدام "ديتول" الأرض بقدميها وقالت :

- ماذا دهاك يا "نيلي روز" ؟ ابلغت بك السذاجة أن تتصوري أن هذا المخلوق طلب الانفراد بك في مخدعك في جوف الليل ليتحدث إليك عن الجو ؟

- إن هذا المخلوق يا أماه كان سخيا إلى درجة حملته على التبرع بخمسة ملايين فرنك للأبحاث العلمية التي تقوم بها دار المعامل . فالرجل الذي يقدم على مساعدة الأعمال الإنسانية بهذه الطريقة السخية الكريمة لابد أن يكون نبيلا وان يكون جديراً بأن يفهم . فإذا ما شرحت له ظروف تعهدي وملابساته والخطأ الذي وقع واستنجدت بشهامته ونبله فلا اشك ..

فقالت الأم مقاطعة :

- شهامته ونبله .! أيكون نبيلا شهما الرجل الذي يكتب هذا الخطاب إلى فتاة ؟ إنه وحش على صورة إنسان .

وهزت "نيلي روز" كتفيها وقالت :

- ومع ذلك فاين هو ذلك الخطر الذي ساستهدف له يا أماه ؟

- أين الخطر .؟

- الا تبالين .

- كلا .!

- يا لله اتظنين يا فتاتي انه سينقض عليك ويحتويك بين ذراعيه ؟ إنه يعلم انك لن تترددي في طرده لو انه اقدم على هذه الطريقة الوحشية . ولكنه سيتقدم إليك بمعسول القول حتى تطمئني إليه وتنزلقي إلى الهاوية التي يحفرها لك في اللحظة التي تظنين فيها انك نجوت .

فضحكت "نيلي روز" وقالت :

- كلا يا أماه . لن أنزلق . ولن تكون هناك هاوية على الإطلاق . لقد تعهدت بأن استقبل هذا السيد فلابد لي من استقباله . والأمر في ذلك متعلق بضميري وشرفي .

فسكتت مدام "ديتول" برهة ثم عادت تقول :

– وهبي انك كنت غير موجودة ساعة وصول الرسالة المستعجلة فماذا يكون من أمرك ..؟
– هذه مسالة اخرى .! في هذه الحالة لابد من الخضوع لحكم القوة القاهرة . ولكن لا مفر لي ايضا من أن ألقاه في الغد . لقد تعهدت ويجب أن أبر بعهدي .
وكانت مدام "ديتول" عليمة بخلق ابنتها وما طبعت عليه من العناد والتشبث فلم تر أن تستمر في الجدل والحوار . وقالت :
– فليكن إذن .. والآن هيا بنا إلى الأوبرا ولك أن تقابليه عقب عودتك.
– هيا بنا . ولكن ليكن معلوما اني سارجع عند منتصف الليل لأكون في انتظاره .
وأسرعت "نيلي روز" ترتدي معطفها على حين غادرت مدام "ديتول" الغرفة وفي رفقتها فرسانها الأربعة .
وأومات إلى "فالنيه" تستدنيه منها وهمست في اذنه قائلة :
– اسيارتك موجودة ؟
– نعم .
– حسنا . طر بها إذن إلى منزلك في "دانيين" واشعل المدفأة وانتظر قدومنا إذ سنلحق بك بعد قليل . فهناك ستكون "نيلي روز" في مأمن من هذا الروسي .
– فكرة بديعة .!
وتحولت مدام "ديتول" إلى خدمها وقالت :
– إننا لن نعود إلا في صباح الغد . فالبثوا ساهرين إلى ما بعد منتصف الليل .. وإذا فرض وحضر سيد بعد منتصف الليل ودق الجرس فاصرفوه بمنتهى الخشونة والجفاء !
ثم لحقت بابنتها والفرسان إذ كانوا في انتظارها في الطابق الأرضي واقتربت خفية من سائق سيارتها وأسرت إليه بعض الكلمات.
بعد لحظات كانت السيارة قد انطلقت بهم صوب فيلا "فالنيه" في "دانيين" . واخذت مدام "ديتول" تتحدث باهتمام طوال الطريق وتطرح على ابنتها أسئلة سخيفة لا محل لها . وغايتها من ذلك أن تصرف

بالها فلا تتبين في أي طريق يسيرون . ولكن "نيلي روز" فطنت إلى الامر وقالت :

- ولكن إلى أي مكان سنذهب يا أماه ! ليس هذا هو طريق الأوبرا ؟

- لسنا ذاهبين إلى الأوبرا .!

- إذن إلى أين .؟

- إلى "دانيين" عند "فالنيه" .!

وتوقعت مدام "ديتول" أن تثور ابنتها ويشتد غضبها . ولكن "نيلي روز" تلقت الأمر في منتهى الهدوء وهزت كتفيها في غير اكتراث واكتفت بأن تقول :

- إذن فقد أرغمتني يا أماه على أن أخل بعهدي .؟ هذا شيء يؤسف له .!

- إني متحملة كل المسؤولية .

- ولكني تعهدت .!

- لابد من الخضوع لحكم القوة القاهرة كما تقولين .!

ولم تجب "نيلي روز" وظل الجميع ملتزمين الصمت طيلة الرحلة.

وحين انتهوا إلى الفيلا خف "فالنيه" إلى استقبالهم وقد حمل في يده شمعة صغيرة ذابلة تنذر بالانطفاء . وكانت عيناه دامعتين من أثر الدخان الذي مسهما وهو يحاول أن يشعل نار المدفاة . وقال معتذرا :

- أسالكم المعذرة عما سوف تجدون من نقص في أسباب الراحة فإني لم أعتد أن أتردد على هذه الفيلا إلا صيفا . فهي كما ترون غير مزودة بالتيار الكهربائي أو المدافئ الصالحة . ولكني اعتقد ان في غرفة الخدم مدفاة تشعل بزيت البترول ومصباحا صغيرا .

وكان البرد لاذعا داخل الفيلا .. لا مدافئ ولا اضواء كهربية .. وكان الرجال يرتعدون . أما النساء فجمعن فراءهن حول الأعناق.

وقال "فالنيه" وقد أدركه الخجل :

- هيا بنا إلى الطابق الأول فإني أعتقد ان مدفاة مخدع النوم صالحة لإشعال النار فيها .

ودارت مدام "ديتول" بعينيها في المخدع وقالت :

- عال جداً .. إن "نيلي روز" تستطيع أن تنام في هذا المخدع.

فضحكت "نيلي روز" وقالت :

- إيه ..! لا حيلة لي في الأمر ولا يستطيع أحد أن ينحي علي باللوم..! هانذا سجينة وحولي خمسة من السجانين الساهرين ..! أما أنا فإني متعبة جداً وأحب أن أنام على الفور .

فقال "فالنيه" في ارتباك :

- وهذا مستحيل بكل أسف ..! ليس في الغرفة أي غطاء .

- حسبي إذن أن أرقد على السرير . فأرجوك أن تشعل لي ناراً في المدفاة .

واشعل "فالنيه" النار مستعينا بكومة من الصحف القديمة ملأت الغرفة دخانا . وقبلت مدام "ديتول" ابنتها وخرجت من المخدع في رفقتها فرسانها الأربعة .

وقال "فالنيه" :

- والآن ما العمل والغرف الأخرى مجردة من الأثاث والفراش..؟

فقالت مدام "ديتول" :

- لسنا في حاجة إلى غرف أخرى .. حسبي مقعد كبير أجلس عليه طوال الليل أمام باب ابنتي فإنها ماكرة عنيدة وقد تغتنم فرصة ذهابنا إلى الغرف الأخرى فتتسلل هاربة . ويمكنك يا "فالنيه" أن تضع عند قدمي المدفاة التي تشعل بزيت البترول .

- حسنا . أما نحن فسنلعب البريدج على مقربة منك .

وبعد ربع الساعة كانت مدام "ديتول" جالسة على مقعد "فوتيل" وضع لها عند باب المخدع وقد أخذها النوم . على حين جلس فرسانها الأربعة إلى مائدة قريبة يلعبون البريدج .

وارتمت "نيلي روز" على الفراش وراحت تفكر في هذا الروسي الذي ينشد مقابلتها في مخدعها على انفراد بعد منتصف الليل ثم انتقلت بخواطرها إلى ذلك الغريب المجهول الذي اعترض طريقها واقتحم مخدعها في جراة واستولى على عود الزنبق .

ونزلت من الفراش وسارت إلى النافذة المطلة على الحديقة ووقفت عندها برهة .. كان الليل جميلا فاتنا ، وقد انتشرت في رقعة السماء سحب خفيفة .

وفجاة طاف خاطر جريء بذهنها .. وترددت برهة ثم عولت على العمل .

ارتدت إلى الفراش وأخذت الملاءتين المبسوطتين عليه وعقدتهما معا ثم خرجت إلى الشرفة وأدلت الملاءة إلى الأرض بعد ان شدت طرفها الآخر إلى سياج الشرفة .

وإن هي إلا لحظات حتى كانت "نيلي روز" في الحديقة ..!

وسارت إلى البحيرة فوجدت هناك قاربا صغيرا مشدودا إلى حلقة من الحديد . فاستوت جالسة فيه وتناولت المجدافين وشرعت تجدف متجهة صوب المرسى مسترشدة بضوء القمر الذي كان يبزغ من بين السحب المتناثرة من حين لآخر ليبدد من الأرض بعض ظلمتها .

الفصل الخامس

انزلق القارب فوق الماء في سكون .. وكان الليل جميلا والمغامرة شائقة ساحرة .

وفجاة ارتعدت "نيلي روز" .. على ضوء القمر الخافت رأت قاربا فيه رجلان يتجه إلى ناحيتها .

وخطر لها أن أصحابها شعروا بفرارها فتعقبوها . ولكن حين اقترب منها القارب وتجلى الرجلان لعينيها فطنت إلى أنهما يلبسان قبعتين من طراز "الكاسكيت" .. إنهما إذن من النهابين الذين يردون البحيرات خلسة فيصطادون السمك بالوسائل المحرمة أو من اللصوص الذين يسطون على الفيلات الخالية فيسرقون ما فيها من أنابيب المياه أو أسلاك الكهرباء .

واستولى الخوف على "نيلي روز" .. ترى أيتسع لها الوقت لبلوغ المرسى قبل أن يصل إليها النهابان .؟ وقاست بنظرها المسافة التي بينها وبين المرسى والمسافة التي بينها وبين القارب .. وأخذت تجدف بكل ما في وسعها من قوة وجلد .. كذلك ضاعف النهابان من سرعة تجديفهما .!

وأخيراً وصلت الفتاة بقاربها إلى المرسى والنهابان لا يزالان على مسافة غير قصيرة منها .

ووثبت "نيلي روز" إلى المرسى .. وانطلقت تجري بملء سرعتها صوب الطريق العام .!

وكانت الشوارع الجانبية مهجورة خالية من السابلة .

وبغتة أحست بيد توضع على كتفها .. وسمعت صوتا يقول :

- إلى أين أنت ذاهبة أيتها الحسناء .!

وأدارت رأسها ورأت أمامها رجلا يبتسم . ولم تكن هناك ريبة في أن الرجل ثمل كاد الشراب يذهب بصوابه .. وفزعت "نيلي روز" ورفعت يديها واستجمعت فيهما كل قوتها ودفعت السكران في صدره فترنح وسقط على الأرض .. ولم يحاول النهوض بعد ذلك .!

وانطلقت "نيلي روز" تجري حتى انتهت إلى الطريق العام .. وهناك عاودها الاطمئنان إذ رأت حولها نفراً من المارة .

ولكن هذه الحوادث المتعاقبة أحدثت في نفسها رد فعل شديد فظل قلبها يخفق ويضطرب .. وخيل إليها أن أعصابها قد تهدمت وان جلدها وشجاعتها قد زايلاها .

* * *

بينما كانت هذه الحوادث تجري في "دانيين" كان "أرسين لوبين" يبحث في دار الأوبرا عن "نيلي روز" بلا جدوى .

بحث في المقاصير .. وفي المقصف .. وفي مقاعد الصالة .. ولم يجد لها أثراً .. وراح يبحث من جديد .. ولكن دون جدوى أيضا.

واستغرب الأمر وراح يسائل نفسه عن السر في تخلفها .

واستقل سيارة التاكسي التي يقودها "إبراتييف" ، والتي كانت في انتظاره عند باب المسرح وطار بها إلى فندق "نوفو بالاس" .. إذا كانت "نيلي روز" قد تخلفت عن الحضور إلى دار الأوبرا فإن من المحتمل جداً أن يكون لـ"باراتوف" شأن في هذا التخلف .! من المحتمل انها الآن تحت رحمة هذا الوحش .!

وحين وقفت به السيارة أمام باب الفندق وثب منها واقبل على الكاتب يساله :

- هل مسيو "باراتوف" موجود .؟

- نعم يا سيدي .. إنه في الجناح المخصص له .

ودخل "لوبين" على "باراتوف"، فرآه مرتديا بذلة الاسموكنج وقد صفف شعره وتعطر برائحة ذكية .. ولم يكن هناك شك في انه يتهيا للخروج .

وتبادل الرجلان نظرات صامتة .. ثم اتقدت منهما العيون وتطاير شرر الغضب والحقد .

وبعد لحظات قال "لوبين" وقد بدأ يتسلط على أعصابه :

- هيه .! إذن فانت تنوي الخروج .؟

- سأخرج إذا طلب إلي أن أخرج .!

- لقد ظننت انك متعب منهوك القوى .. وان في نيتك أن تنام .!
- وانا ظننت انك ستسافر إلى "نورماندي" لترى أمك .! لقد رجعت انا ايضا عن رايي .! اليس هذا من حقي يا ترى .؟
فضحك "لوبين" ضحكة ساخرة وقال :
- بلى .! إن من كان من رجال الأعمال مثلك يمكن أن يرتبط بموعد فجائي في أية ساعة من ساعات الليل .. وهذا الموعد الذي ستذهب إليه مرتبط باعمالك بالتاكيد يا "باراتوف" .!
كانا يتكلمان في صوت هادئ .. ولكن كلماتها كانت تحمل في طياتها نذير العاصفة والشر .
وأمام هذا السؤال الذي ألقاه "لوبين" صاح "باراتوف" في حنق:
- بالتاكيد متعلق باعمالي . ومهما يكن من الأمر فليس لك أن تتدخل في شؤوني .
فقال "لوبين" في هدوء :
- هل تجهل يا "باراتوف" اني أعتبر شؤون الغير كشاني الخاص مادام ذلك يلذ لي ؟ واني إذا تدخلت ..
فقال الروسي مقاطعا :
- جميل جدا .. إذن فخذها نصيحة خالصة .. إياك أن تتدخل في شؤوني .
فضحك "لوبين" وقال :
- ما أعجب أمرك يا "باراتوف" .. تطلب مني وتتوسل إلي أن اتدخل في شؤونك إذا كانت هذه الشؤون تجعلني أستهدف للأخطار والموت في مجاهل روسيا .. شؤونك شؤوني إذا كنت تريد مني أن اجمع لك الملايين ..
فقال "باراتوف" مقاطعا :
- انسيت أننا نتقاسم هذه الملايين ؟
- نتقاسمها .؟ يلوح لي أن القسمة في نظرك معناها أن تستحوذ على كل شيء دون غيرك .
- دعك من هذا الكلام . اتريد أن تزعم أن جيوبك فارغة .
وضحك "باراتوف" هازئا . واثارت ضحكته "لوبين" فامسك بذراعه

وصاح به :

- اصمت .. أمسك عن الضحك .. إنك تعلم أني لا أبالي بالمال... لقد تركت لك المال تفعل به ما تشاء وقنعت من الغنيمة بالنساء والحب . فإذا كنت قد ظفرت بمساعدتي بالملايين فقد احتفظت أنا لنفسي بالمغامرة . ولكل نصيبه .. ولكنك تريد الليلة يا "باراتوف" أن تعتدي على حقوقي . تريد أن تغزو الميدان الذي أحتفظ به لنفسي .. لك المال ولي النساء . فلم تحاول أن تسلبني حقي .

فقال "باراتوف" في وحشية :

- أتريد أن تقول أن لك حقا على "نيلي روز" ؟

- إذن فأنت تعرف إن للمسألة صلة بها .

- ولم لا . ؟

فجمع "لوبين" قبضته وقال :

- إذن فما تبرعت بالملايين الخمسة إلا لتشتريها .. هذا التبرع هو ثمن الشراء .؟

- فليكن .. فماذا يعنيك أنت من هذا . ؟

- إذن فأنت تريد أن تستغل سذاجة هذه الفتاة وتعهدها الطائش ..؟

- وبعد ..؟

وتقدم "لوبين" إليه خطوة وقال :

- جبن ونذالة .. إنك تسعى إلى تحقيق غرضك بواسطة أموال مسروقة .. نعم مسروقة .. ومن أجل هذه السرقات قررت أن أكف عن الاشتراك معك بعد اليوم . فاعلم إذن أني لن أسمح لك بالاقتراب من هذه الفتاة .

- فات الأوان . ؟

- فات .؟

وهز "لوبين" كتفيه وقال :

- إنك لن تذهب إليها الليلة . لن تقابلها إلا في الغد ..

فتالقت عينا "باراتوف" انتصاراً وقال :

- لن أقابلها إلا في الغد .. كلا يا بني .. سألقاها الليلة . وعند منتصف الليل .

فصاح "لوبين" في انفعال :
- إنك تكذب .
- الليلة . عند منتصف الليل . وفي مخدعها . إنها تنتظرني .
- إنك تكذب . إنها لم تقبل ولا يمكن أن تقبل .
- بل قبلت فعلا .
فصاح "لوبين" وقد أخذته الحدة :
- قلت لك إنك تكذب . إنك لا تعرف حتى عنوانها ..
- لا اعرف عنوانها .؟ اتظن ذلك .؟ إنها تقيم يا صديقي في ميدان "تروكاديرو" . وتشغل جناحا مستقلا عن الجناح الذي تشغله أمها ، بالاستعانة بالدليل ودفتر التليفون يستطيع المرء أن يجمع معلومات غير قليلة .!
وقال "لوبين" في غضب :
- إنك تكذب .! يستحيل أن أصدقك .! إنك لن تراها إلا في الغد . وفي هذا الفندق . إنك لم تتصل بها بعد ..؟
فهز "باراتوف" كتفيه وقال :
- كاني بك تريد أن تستفسر عن كل شيء .! ومع ذلك فلكي أشبع فضولك وشماتتي فيك أصارحك بأني كتبت إليها خطابا منذ فترة وجيزة . وقد قبلت وسأذهب إليها .
- إنك لن تذهب .! لست أدعك ترتكب هذا الاعتداء الأثيم .!
فصاح "باراتوف" :
- وانت .؟ ألم ترتكب مثل هذا الاعتداء الأثيم .! دع الملق والمراوغة ولنتحدث في صراحة .! ألا تعتبر صلتك بالكونتس "فالين" نوعا من الاعتداء الأثيم .! والفرق بيني وبينك أني صريح لا أحب المواربة . وأني أدفع ملايين من الفرنكات لأصل إلى بغيتي بينما لا تدفع انت إلا كلمات مزوقة وابتسامات زائفة . انا استخدم أموالي وأنت تستخدم دهاءك وشبابك .!
فقال "لوبين" :
- انت تدفع المال وأنا أدفع الحب . !
- الحب .! أتريد أن تزعم أنك تحب "نيلي روز" . ؟

- قد يكون حبا . وقد يكون اشتهاء . وقد يكون فضولا .! انا نفسي لا أدري والأمر لا يعنيك .! حسبك أن تعلم أن جميع النساء من نصيبي وانا أحرم عليك ان ..

- أن اقترب منهن .؟

- ومن "نيلي روز" عليّ وجه الخصوص ..

- وما شانك انت بهذا ما دامت قد عرضت عليّ نفسها ؟

- واظنها عرضت عليك ايضا ثروتها . إنك تنوي بالتاكيد أن تستولي على اسهم ينابيع البترول .!

- الأمر في هذا مرجعه إلي وحدي .

- أنت مخطئ إن كنت تعتقد هذا ..!

- حقا ..! إذن فانت مجنون .!

- قلت لك لا تقرب "نيلي روز" . لا هذه الليلة ولا سواها .!

وكان الرجلان يتبادلان نظرات تنطوي على الغضب وتنذر بالشر وكان كل منهما قد جمع قبضته استعداداً للنضال .

وقال "لوبين" في صوت صارم :

- لا هذه الليلة ولا سواها .! افاهم أنت .؟ منذ زمن طويل وأنا أمقتك وأبغضك .! وهذه فرصة مناسبة اكاشفك فيها بما في نفسي .! نعم . إني أبغضك من كل قلبي لانك حقير ونذل .! ولقد ارتكبت من وراء ظهري أعمالا رابني أمرها وإن لم اتحقق منها . فحسبي هذا منك فقد فاض الكاس .!

فهز الروسي كتفيه وقال بلا مبالاة :

- لقد فات الأوان .!

فات الأوان فيما يتعلق بالماضي . أما عن الحاضر والمستقبل فلا .! إنك لن تقرب "نيلي روز" ولن تتعرض لها بسوء . ولن أسمح لك بالخروج مهما حدث .! والويل لك إذا حاولت أن تقاومني .!

فقال الروسي في غضب :

- دعني أمر . !

- كلا ..!

- إذن الويل لك .!

وتراجع الروسي خطوة إلى الوراء كانما يتاهب للوثوب على خصمه وصاح به "لوبين" :

- إنك لن تمر أيها الشقي .! لا الليلة ولا غداً .!

- للمرة الثانية أقول ..

- لن تمر مهما حدث .!

وفي رشاقة الملاكم القدير تفادى "لوبين" الضربة التي سددها "باراتوف" إلى فكه . وعاجله بضربة قوية أصابته بين عينيه .

والتحم الرجلان في معركة رهيبة . وكان كل منهما يحاول أن يصرع خصمه بلا رحمة ولا هوادة .

ندع الرجلين في نضالهما ونرجع إلى "نيلي روز" .

كانت في القطار الذي غادر "دانيين" متجها إلى باريس وقد انزوت في ركن من المركبة مستسلمة لخواطرها .

وكانت المسكينة مهدمة الأعصاب منهكة النفس من أثر ما عانت وكابدت في تلك الليلة . وكانت لا تنفك ترتعد من لحظة لأخرى . على أن العزم الذي رسخ في نفسها - ولم يكن هناك رجاء في إرجاعها عنه - هو أنها تعهدت فيجب أن تبر .

واجدت عليها رحلتها بالقطار إذ ردت إليها بعض ما فقدت من نشاطها وثباتها . وبعد منتصف الحادية عشرة بقليل وصلت دارها فاستنشقت بعض الأملاح المنعشة . وارتمت على الأريكة تصيب بعض الراحة . وفي جناح أمها حمل إليها النسيم انغام الموسيقى . هذي "فيكتورين" وزوجها "دومينيك" يعزفان .

وراحت "نيلي روز" تفكر . وحاولت أن تقنع نفسها بانها مستهدفة لشيء من الخطر .. سيحضر هذا الرجل .. وستستقبله كما تستقبل اي زائر . وستتحدث إليه ، ستكاشفه بحقيقة الأمر .. إن مدير الدار هو الذي صرف الشيك على غير علم منها . وإذ ذاك سيرحل الزائر .. كما جاء ..!

ولكن .. إذا لم يرحل .؟

نعم .. ما العمل إذا لم يرحل .! أولى بها إذن الا تفتح الباب . ؟ ولكنها وعدت باستقباله . فلا مفر لها من أن تبر بهذا التعهد ..!

وما عسى أن تكون العاقبة .؟ وتذكرت السكران الذي التقت به في "دانيين" ..؟ أقضي عليها بأن تكون هدفا لاعتداء جديد .؟ وغشيتها الرعدة .

ولكن أي خطر هناك . إنه لن يستطيع أن يكرهها على شيء .

ولكن ألا يجوز أن يكون هذا الشخص وحشا في صورة إنسان كما قالت أمها . الا يجوز أن يكون نذلا . ووضيعا . وفاجرا .

رباه ..! ما العمل ..! كيف تقضي ليلة مع رجل ..! ليلة مع وحش في صورة إنسان ..! وحش لن يستجيب إلى توسلاتها ولن تجد فيه ذرة من الشهامة ..!

وأرسلت بصرها إلى الساعة .. ولم يبق على انتصاف الليل إلا دقائق معدودات .. من المحتمل الا يحضر الزائر الروسي . ومن المحتمل أن يحضر .. من المحتمل أن تستهدف للخطر .. ومن المحتمل الا تستهدف ..! وقد يفهمها .. وقد لا يفهم ..!

ها هي الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة بدقيقة .. ثم بدقيقتين.. ثم بثلاث دقائق ، اتراه لن يحضر ..؟

وتنفست "نيلي روز" الصعداء واشرق وجهها ..!

وفجاة خفق قلبها .. ها هو ذا جرس الباب يدق ..

إذن فقد حضر ..!

القسم الثالث

الفصل الأول

جمدت "نيلي روز" مكانها والذعر آخذ منها وعيناها ذاهلتان وشفتاها تختلجان .. وكان قلبها يخفق بشدة . وغزت ذهنها آلاف الخواطر .. وكانت أعصابها مهدمة من اثر ما كابدت ، فلم تقو على مغالبة انفعالها .

واخذت تسائل نفسها عما ينبغي أن تفعل ..؟ هل تفتح الباب..؟ كلا. إنها لن تفتحه ..! ولن تستقبله ..؟ ولكن لا .. الم تعده باستقباله ؟ فكيف تنكث وتنكص ..؟ كانت في "دانيين" آمنة مطمئنة .. كانت سجينة فلا لوم عليها . فاية حماقة حملتها على أن تفر من بيت "فالنيه" ..؟ لو أنها بقيت هناك لما الفت نفسها في مثل هذا الموقف الدقيق ؟

وفجاة طافت بذهنها بارقة من الامل ..؟ لا شك ان امها واصحابها عرفوا بفرارها فخفوا إلى اللحاق بها .. الا ليت امها تحضر الآن .. لتنقذها ..؟ و "فالنيه" لماذا لم ترتضه زوجا لها ..؟ لو انها فعلت لنجت من ملاحقة هذا الروسي ولما وجدت نفسها مكرهة على أن تمضي ليلة مع رجل لا تعرفه ..!

ولكن ما الذي تخشاه ..؟ إن "باراتوف" - كما أنباتها "زينيا" - شيخ مسن ، فهل تعجز عن الدفاع عن نفسها إزاء رجل طاعن في السن ..؟ هذا إلى أن "دومينيك" و "فيكتورين" في جناح أمها يعزفان الموسيقى فحسبها أن تدق الجرس ليخفا إلى نجدتها .

الا إن من الحماقة أن يستولي عليها هذا الخوف ..!

وللمرة الثانية دق جرس الباب .

وفي شجاعة وقلة اكتراث سارت "نيلي روز" إلى الباب لتفتحه .

ادارت المفتاح ولم تنتظر لكي تستقبل الطارق وإنما انطلقت راجعة إلى مخدعها وهي تجري .

ولبثت هناك تنتظر أن يدخل الزائر عليها .

وسمعت وقع خطواته وهو يسير في الردهة .. وراته ولكنها لم تتبين ملامحه إذ كانت حواف قبعته مرخية على جبينه .. ومشى الرجل إلى الشماعة فعلق قبعته ومعطفه .

وبعد لحظات برز على عتبة مخدعها .

ورفعت إليه "نيلي روز" بصرها .. وشهقت مذهولة .

لم يكن زائرها شيخا مسنا كما كانت تتوقع .. وإنما كان هو بعينه... ذلك الغريب المجهول الذي انقذها من سائق التاكسي..! الغريب المجهول صاحب عود الزنبق ..! ذلك الشاب الذي راقصها رقصة الفالس ... ذلك الشاب الممتلئ حيوية ... وشبابا... والذي لا ينفك يبتسم ... وإن له لابتسامة ساحرة ..!

وفجاة أحست "نيلي روز" بالخطر الذي يتهددها ..!

في أثناء حفل الاستقبال الذي اقامته أمها استطاع هذا الرجل في سهولة تامة أن يتسلط على اعصابها ويمحو إرادتها ويهز كيانها هزا عنيفا ... والآن قد جاء إليها متسلحا بحقه في البقاء... البقاء حتى الصباح ... في هذا الرجل يجتمع خطران : خطر الغريب المجهول الذي اقتحم مخدعها واستولى على عود الزنبق وسيطر على إرادتها .. وخطر الرجل الذي بعث بالشيك ..! كل منهما في ذاته خطر رهيب ... فماذا يكون من حالها حين يجتمع الخطران ويندمجان ..!

وفجاة استولى عليها الخجل ... خجلت من ذراعيها العاريتين... ومن منكبيها المجردين ... وتناولت وشاحا من الحرير القته حول عنقها ولفت به ساعديها .

وغمغمت "نيلي روز" تقول :

- أهذا أنت ..! أهذا انت ..! إذن فانت "إيفان باراتوف" ؟

فتردد "ارسين لوبين" برهة ... كان يكره أن يكذب ... ولكنه رأى من الحكمة أن يجاريها فقال :

- "باراتوف" اسم روسي انتحلته هناك عقب الحرب .. إنني فرنسي .

وقالت الفتاة وهي لا تزال ترتعد :

- إذن فانت لم تصل إلى باريس هذا المساء . ؟

- كلا ... نزلت في فندق "نوفو بالاس" في الساعة السابعة مساء ولكنني وصلت إلى باريس في هذا الصباح .

فعادت تقول :

- إذن فانت ... إذن فانت ...

وسكتت ثم اردفت تقول :

- لماذا تعقبتني ..؟ ما الذي تبغيه مني ..؟

- أردت ان اتعرف إليك ... أردت أن انبهك إلى وجودي .. وقد اتاح لي حادث السيارة هذه الفرصة ... لم اشأ أن أظل في نظرك غريبا مجهولا منك ..!

وكان يتكلم في صوت هادئ . وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة .

ولكن هذه الابتسامة أهاجت أعصاب "نيلي روز" واشاعت الاضطراب في نفسها . فقالت في خشونة :

- انك لست عندي غريبا فحسب ... وإنما انت عدو لي ..!

ولم يجب "لوبين" .. وإنما تقدم خطوة إلى ناحيتها وهو لا يزال يبتسم . والتصقت الفتاة بالجدار وهتفت تقول :

- لا تتقدم ..! إني أحرم عليك أن تقترب مني ..!

وتبدلت ابتسامة "لوبين" . وغشيتها السخرية وقال :

- اسمعي يا آنسة .. أظن أنه ليس من المستطاع أن نستمر على هذه الحال .. أنت لصق الجدار وأنا لصق الباب وبيننا نظرات متبادلة .. نظرات الأعداء الألداء من ناحيتك على الأقل .! لقد رقصنا معا بعد ظهر اليوم .. وفي هذا المساء كنت في انتظاري.. وهاأنذا قد حضرت .. وقد فتحت لي الباب من تلقاء نفسك .!

- ما فتحت لك الباب إلا لأني تعهدت .!

- حسنا .. فلم الممانعة والصد الآن . ؟

وتقدم إليها خطوة أخرى فصاحت من جديد :

- لا تتقدم .!

واستولى عليها الفزع فمدت يدها المرتعدة إلى الجرس المثبت في الجدار إلى جانبها ودقته .

فتصلبت ملامح "لوبين" وقست تعبيرات وجهه وقال :

- عال جدا .! إذن فقد اتخذت جميع الاحتياطات .! حسبك دقة على الجرس حتى ينقض علي خدمك ويقذفوا بي خارج الباب على الرغم من تعهدك .! فليطمئن بالك إذن فإني خارج من تلقاء نفسي.!

وفي هذه اللحظة دخلت "فيكتورين" وأمارات الدهش ظاهرة في ثنايا وجهها .. لم تكن تعرف أن "نيلي روز" قد عادت من الخارج.. لقد ظنتها ستمضي الليل كله مع أمها فلا تعود إلا في الصباح. على أن دهشتها تضاعفت حين رأت هذا الرجل الغريب في المخدع .. ولقد تذكرت أنها رأته من قبل في حفل الاستقبال الذي أقيم اليوم .

وقالت "فيكتورين" :

- هل دقت الآنسة الجرس .؟

وساد صمت قصير .. وكانت "نيلي روز" قد استعادت بعض ثباتها ، وكبر عليها أن تستعين بالخدم ، وألح عليها كبرياؤها وتحركت كرامتها .!

رفعت رأسها وقالت :

- دققت الجرس خطأ فأرجو أن تتركينا .

ولما بان التردد على وجه الوصيفة عادت "نيلي روز" تقول :

- دعينا يا "فيكتورين"ولست في حاجة إليك أو إلى "دومينيك" فاصعدا إلى غرفتكما .

- حسنا يا آنسة .

وخرجت "فيكتورين" من المخدع على كره منها .. لقد ارتابت في الأمر، وخيل إليها أن هذا الرجل ليس من الطراز الذي يؤمن جانبه وعولت على أن تبقى ساهرة لا تأوي إلى مخدعها .

وقالت "نيلي روز" حين خلت إلى "لوبين" :

- تفضل بالجلوس يا سيدي .. لقد أخطأت ولن أستدعي الخدم مرة أخرى .. هذا إلى أنني نبهت عليهما بالصعود إلى مخدعهما فلن يلبي أحد ندائي حتى ولو استنجدت .!

وتظاهرت بالجلد والشجاعة .. وافتتن "لوبين" بشجاعتها وصلابة أعصابها .. وطافت بذهنه فكرة ، فاستغرقه التفكير فيها ولبث صامتا وراحت الفتاة تحدجه بنظرة فاحصة وهي تتساءل عما يدور في

نفسه. وأخيراً تكلم "لوبين" قائلا :
- اسمعي يا آنسة .. ألا ترين انه من الخير لكلينا أن نفصح عما في نفوسنا فنجلو حقيقة هذا الارتباط الذي بيننا بدلا من هذه المحاورات والمحاولات العقيمة .؟ ليكاشف كل منا صاحبه بما في نفسه في كلمات صريحة لا مواربة فيها .
فقالت "نيلي روز" وهي تلزم جانب الحذر :
- فليكن .. تكلم انت يا سيدي .!
- ساتكلم .. لقد قبلت حضوري إلى مخدعك ، وهذا القبول منك ينطوي على قبول آخر لكل النتائج التي تترتب على عملك .؟
فقالت "نيلي روز" في هدوء :
- هذا صحيح .
- وقد فهمت بطبيعة الحال معنى هذه الزيارة .. في مخدعك وفي جوف الليل .؟
- نعم .. فهمت اني ساستقبل رجلا في مخدعي في جوف الليل ، وأن من المحتمل جدا أن يحاول هذا الرجل استغلال ثقتي، ولذلك عولت في الوقت نفسه على أن أدافع عن نفسي ضد اعتدائه.
- وهل هذا منك يعتبر تنفيذا للتعهد . ؟
- التعهد باي شيء .؟
ولم يجد "لوبين" جوابا عن سؤالها .. إنه لا يعرف في الواقع كنه هذا التعهد القائم بينها وبين "باراتوف" .. كل ما يعرفه من الأمر انها وعدت بان تستقبل "باراتوف" في مخدعها عند انتصاف الليل .. بهذا حدثه "باراتوف" ..
ولما راته صامتا لا يجيب استرسلت تقول :
- إني ما تعهدت إلا باستقبالك . وهذا كل شيء .!
- أليس هناك شيء آخر . ؟
- نعم ليس هناك ... فيما عدا اني سأستقبلك في مخدعي من نصف الليل حتى الساعة السابعة صباحا .! ولقد ارتبطت بهذا التعهد على غير إرادة مني ولكني ارتبطت على أية حال فلا مجال للنكوص .! وهانذا وحدي .!

ولم يكن "لوبين" في حاجة إلى الإصغاء إلى بقية كلماتها من نصف الليل إلى السابعة صباحا .! يا لها من فتاة مضللة خادعة.! أبلغت بها السذاجة أن تظن أن مثل هذه الزيارة لا ترمي إلا إلى التحدث عن الجو .! من نصف الليل إلى السابعة .! سبع ساعات كاملة ففيم يكون الحديث إذن .؟

ومع ذلك تمثل هذه المهزلة وتستنجد بالخدم .!

وتكلم "لوبين" قائلا :

- اسمعي يا آنسة . الا تظنين أن سخائي لمشروعات المعامل يعطيني بعض الحق .؟ ولست أحاول الإسراف وإنما حسبي أن أقول إنه لا يعطيني حقا بريئا طاهراً كالاقتراب منك مثلا . ؟

وتقدم إليها في بطء . وانكمشت الفتاة في نفسها وبان الخوف في عينيها ولكنها لبثت في مكانها لا تتراجع . وتقدم "لوبين" خطوة أخرى حتى صار جسمها لصق جسمه . وهمت بان تتراجع فامسك بيديها .

ومرت لحظة وهما صامتان .

ثم تكلم "لوبين" قائلا :

- هيا دقي الجرس فإني موقن من أن خادمتك لم تصعد إلى مخدعها. ! هيا دقي الجرس . !

وحاولت "نيلي روز" أن تتخلص من قبضته فعجزت .

وفجاة انفجرت تقول :

- أنت نذل .! نعم نذل لأنك تستخدم ثروتك في التسلط على فتاة لا تستطيع أن ترفض شروطك دون أن يكون في عملها هذا هدم لمشروع إنساني جليل .! نذل لأنك تحاول أن تبدو في نظر العالم محسنا كبيراً وأنك لست في الواقع إلا .. إلا .. وانت نذل لانك تحاول أن تستغل ثقتي وطهارتي لتحقيق ماربك الوضيعة .!

وكانت في ثورتها أجمل منها في سكونها .

وغزت ذهن "لوبين" فكرة جديدة .. كلا .. إن هذه الفتاة لا تمثل إنها تتكلم الحقيقة . إنها تصرخ من أعماق قلبها . ليس في كلماتها المتدفقة ، ولا في حرارة نبراتها شيء من التمثيل . لقد أخطأ إذ ظنها خليعة تتظاهر بالطهارة .

وتكلم "لوبين" وقد تغيرت ملامحه ولهجته :

- إني أسف يا أنسة . وإني أعتذر .. إني أعتقد الآن أنك مخلصة .

فنمت ملامحها على الدهشة وقالت :

- مخلصة .! وهل كنت ترتاب في صدقي .؟

- نعم .. والحق أني ...

وصمت .. فقالت الفتاة :

- أصبت .! ولست الومك لريبتك فيّ .! لقد ارتبطت على غير إرادة مني بعهد ذي وجهين . عهد مبهم الحدود والتبعات .! وليس معنى هذا اني أجهل ما ينطوي عليه استقبالي رجلا غريبا في مخدعي من نصف الليل حتى الصباح .؟ كلا .. كنت اتوقع كل شيء وقد أعددت العدة لكل شيء .. ساتحدث إليه .. ساوضح له الحقيقة . ساتوسل إليه . ساستنجد بشهامته ونبله . رجل وفتاة بين جدران أربعة وفي خلوة .! هذا شيء له معناه .! ولكني كنت اعرف اني سانتصر . وبذلك ابر بعهدي دون أن انحدر إلى الهاوية. ولكني حين رايتك تدخل علي تولاني الارتباك والاضطراب. حين رايت ان الغريب المجهول الذي تعقبني وطاردني إنما هو "إيفان باراتوف" اضطربت وفقدت صوابي ولم أدر ماذا ينبغي أن أصنع ونسيت تفاصيل الخطة التي وضعتها للنجاة .

وامسكت عن الكلام . ونظر إليها "لوبين" برهة ثم قال :

- اتكرهينني . ؟

فهزت رأسها وقالت :

- كلا .. لست اكرهك .! كل ما في الأمر اني ارتكبت حماقة .

- ندمت عليها ؟

- نعم .

- وإذا ارتدت الأمور إلى بدايتها من جديد فهل كنت حقيقة ترجعين عن عهدك؟

- لا .. مادام الشيك قد صرف .. وفي هذا المساء بالذات كنت بعيدة عن باريس . ذهبوا بي إلى بيت في "دانيين" وحبسوني هناك حتى يحولوا دوني ومقابلتك . ولكني أبيت أن ارضخ .. لقد تعهدت فيجب

الا أخل بكلمتي . ولذلك هربت من النافذة . وطاردني لصان في قارب .. ثم هاجمني سكران . ولكني احتملت هذا كله لكيلا أخل بشرفي .!

- إذن فهم يعرفون انك على موعد معي .. واني سأحضر إلى مخدعك عند منتصف الليل .

- نعم .. لقد قرأت أمي بطاقتك إذ وجدتها ملقاة على الأرض فاصرت مع أصدقائها على ضرورة تخلفي عن لقائك فلما أبيت زعموا أنهم ذاهبون إلى الأوبرا فلما ركبت معهم السيارة انطلقت بنا إلى "دانيين" . ولكني هربت لأبر بعهدي .

فقال "لوبين" :

- للمرة الثانية أسالك الصفح يا آنسة . لقد أخطأت في حقك خطأ شديداً وأسأت السلوك .

وبعد سكتة قصيرة قال "لوبين" :

- اسمعي يا آنسة .. إني أحب أن نتبادل بعض الحديث .. فهل لديك مانع .؟ حسنا .. إني لا أعرف عنك شيئا وانت لا تعرفين وأظنك تعتقدين أني وحش قادم من روسيا لأغزو النساء ولأشتري باموالي كل امراة تروق في عيني . ؟ نعم .. هذا ظنك بي . ولكن من المحتمل جدا انك مخطئة في هذا الظن . ربما لم أكن هذا الرجل .. هذا الوحش .. كما انك لست هذه الفتاة التي ظننتها منذ لحظات . ومع ذلك فإني معذور فيما ظننت .. فتاة تتعهد بان تستقبل رجلا في منتصف الليل حتى الصباح . وفي خلوة . بين جدران أربعة .. فما معنى هذا ؟ لقد اعتقدت أنك فتاة خليعة من هذا الطراز الذي لا يتحرج من شيء ولا يتردد في أن يمنح أي شيء وكل شيء .! ولكني أدركت الحقيقة . وهانذا أعتذر إليك مرة أخرى .. وأرجو أن تثقي بي .. .. أرجو أن تطمئني .. إنفضي الخوف عن نفسك .. قولي بانك لم تعودي تخافين شيئا .

ولكنها ظلت صامتة تتنازعها عوامل الشك واليقين .

واسترسل "لوبين" قائلا :

- أوه .. ما أشد حذرك وريبتك .. إنك لازلت خائفة متوجسة .. كم يسعدني أن أراك مطمئنة راضية واثقة .. ليت شعري ما عساي

استطيع ان افعل لأعيد الثقة إلى نفسك . ؟
وفكر برهة ثم قال :
- اسمعي يا آنسة .. لقد قلت منذ لحظات إن الشيء الذي يخيف ويريب هو هذه الخلوة بين جدران أربعة فما رأيك في أن نغادر هذا المكان .؟ ما رأيك في أن نخرج .؟
فارسلت إليه نظرة دهشة وقالت :
- نخرج .؟
- نعم . لست أطمع منك إلا بان أطيل جلستي معك . أريد أن أمتع عيني برؤيتك . ولكن ليس من الضروري أن تكون هذه الجلسة هنا بين هذه الجدران الأربعة . مادامت هذه الخلوة تخيفك وتشيع في نفسك التوجس .! لنخرج معا .. لا كالأعداء وإنما كالأصدقاء.. لنذهب إلى مكان حافل بالناس :
وظلت "نيلي روز" صامتة برهة ثم قالت :
- وإلى اين نذهب . ؟
- إلى اي مكان .. حسبي منك أن تكوني على مقربة مني وأن أشم عبيرك ..! اسمعي .. إنك كنت تنوين أن تذهبي إلى المرقص الليلة في..
ولكنها قاطعته بقولها :
- كيف عرفت . ؟
فضحك وقال :
- لقد رأيت شابا يضع مونوكلا على عينيه يتحدث إليك في هذا .. فما رأيك في أن نذهب إلى حفل راقص .. في اي مكان تشائين .. "مونمارتر"..؟ "مونبارناس" ..؟ ولكن لا .. اسمعي .. إني اعرف بنسيونا روسيا يحتفلون فيه الليلة بعيد روسي ، فما رأيك في أن نحضر هذا الاحتفال..! إن جميع من فيه من الروس بالتأكيد .. وللحفلات الروسية طابع جميل .. رقص قوقازي.. ودق على الدفوف .. فما رأيك في هذا..؟
- جميل جداً .. وبعد ذلك ؟
- بعد ذلك ..؟ ساعيدك إلى منزلك في سيارتي واودعك عند الباب وانصرف ..! وبذلك تكونين قد بررت بوعدك وينتهي كل شيء.. ولن اطالبك بشيء بعد هذا .

واقتربت منه "نيلي روز" ونظرت في وجهه باسمة وقالت :

- قبلت .. ! وإني اشكرك .. ! ما أعظم نبلك وشهامتك في اول الأمر كان قلبي يفيض توجسا وريبة . اما الآن فكلي ثقة بك ..! نعم .. إني اثق بك ثقة عمياء .. فهيا بنا ..!

الفصل الثاني

بعد منتصف الليل تحركت مدام "ديتول" في مقعدها الكبير الموضوع عند باب الغرفة التي تنام فيها ابنتها في فيلا "فالنيه" .

وتنهدت مدام "ديتول" . وعلى صوت تنهدها التفت الفرسان الأربعة إليها وهم جالسون إلى مائدة البريدج .

وتكلمت مدام "ديتول" قائلة :

- أظننتم أني نمت ! في هذا المقعد الملعون الذي يقض الأعضاء .!

ثم بسطت ساقيها وحركتهما . ونهضت واقفة وهي تقول :

- سأرى إذا كانت "نيلي روز" مستغرقة في النوم ..؟

وفتحت باب المخدع ودخلت .. على انها ما تقدمت فيه خطوة حتى صرخة قائلة :

- لقد هربت .. هربت من النافذة ..!

وجرى إليها فرسانها الأربعة .. ورأوا ملاءتي الفراش معقودتين بالشرفة .

وهبط "فالنيه" إلى الحديقة ثم رجع بعد لحظات وهو يقول :

- لقد ركبت القارب الذي كان مشدودا إلى حلقة في الحديقة .

وصاحت مدام "ديتول" :

- إذن فقد رجعت إلى "باريس" لتستقبل هذا الرجل ..! لقد برت بوعدها ..! هذه غلطتنا كان ينبغي أن نقيم معها في غرفتها فلا ندعها تغيب عن بصرنا لحظة واحدة ..! ولكنني لم أكن أعتقد أن الفرار من الغرفة سهل إلى هذا الحد .. الا لعنة الله على (فيلتك) يا "فالنيه" ..؟ والآن هيا بنا نطير إلى باريس .. واسأل الله ان نصل قبل فوات الوقت مهما كان .. قبل أي ..

وسكتت دون أن تقول "قبل أي شيء" ولكن الفرسان الأربعة فهموا على الفور ما ترمي إليه وما كانوا في حاجة إلى الإفصاح.

وبعد لحظات كانت السيارات تطير بهم صوب "باريس" . وكانت مدام "ديتول" لا تفتا تصيح ما بين لحظة وأخرى :

- أسرع . أسرع .. يا إلهي .. الساعة الآن الواحدة إلا الثلث، وهذا الرجل هناك منذ ثلثي ساعة .. وحده مع ابتي ..

وبعد فترة من الوقت انفجر إطار من سيارة مدام "ديتول" .

وهتفت المرأة في جزع :

- يا إلهي ..؟ هل أبكي ..؟ ما العمل الآن ..؟

ونزلت من السيارة وصعدت إلى السيارة التي تحمل الفرسان الثلاثة وقالت :

- ساركب انا و "فالنيه" هذه السيارة اما انتم فيمكنكم أن تلحقوا بنا بعد إصلاح سيارتي .

ورضخ الفرسان لأمرها ولم ينطقوا بكلمة واحدة تنم عن الاعتراض .

والتفتت مدام "ديتول" إلى "فالنيه" والسيارة تطوي بهما الطريق إلى باريس وقالت :

- يا إلهي ..؟ الساعة الآن الواحدة والثلث .. هذا معناه أن هذا الوحش قد أمضى مع ابنتي ساعة وثلث الساعة .. هذا فظيع ..؟ ما كنت أظن أن "نيلي روز" تقدم على هذه الفعلة .. يا لحماقتها وطيشها .. آه .. إن فتيات هذه الأيام مستهترات .. إن الفتيات على عهدي لم يكن ينشدن إلا الزواج ..؟

وامسكت عن الكلام فجاة خشية ان ينزلق لسانها فتتحدث عن ماضيها يوم كانت فتاة لا تنشد إلا الزواج .. أو بعبارة اخرى يوم كانت لا تنشد الزواج ..؟؟

ثم أردفت تقول :

- اسمع يا "فالنيه" .. ستنقذها وساعطيها لك .. خذها .. تزوجها .. ابسط عليها حمايتك .. احمها من النزوات والسقطات .! نعم .. تزوجها يا "فالنيه" .

فقال الشاب :

- هذي أمنيتي الوحيدة في هذه الحياة .!

وبعد فترة من الوقت هتف يقول :

- ها نحن قد بلغنا ضواحي باريس .

واجتازا طرقات باريس وهما صامتان لا يتكلمان وقد غرق كل منهما

في خواطره . ولما وقفت بهما السيارة ارتقيا الدرج على عجل وقالت مدام "ديتول" :

- اقرع جرس بابي انا .

وفتح الباب ورأت على عتبته "فيكتورين" . وحين رات سيدتها قالت في صوت يدل على الانزعاج :

- سيدتي .. سيدتي ..

- ماذا هناك .؟ ماذا جرى . ؟

- الرجل يا سيدتي .. الرجل الذي كان سيحضر .!

- ما شانه .؟

- لقد حضر .. دخل عند الآنسة من بابها الخاص .؟

فصاحت مدام "ديتول" :

- يا إلهي .. يا للنكبة .!

- لقد رأيته بعيني .! دقت الآنسة الجرس فلما دخلت عليها صرفتني وامرتني بان انام .. ولكني ابيت أن أصعد إلى غرفتي . كنت خائفة عليها .

- ولكن من هذا الرجل .؟

- لقد رايته بين المدعوين إلى حفل الاستقبال اليوم .. طويل القامة انيق الثياب لوحت الشمس بشرته .

- آه .. لقد رأيته . ذلك الشاب الأسمر الطويل . ولقد ظننت انه صديق لـ"نيلي روز" .! وأين هو الآن .؟

- في مخدع الآنسة .

- في المخدع .! آه .. يا إلهي .. ترى أوقعت النكبة .؟

واسرعت مدام "ديتول" وفي اثرها "فالنيه" و "فيكتورين" إلى باب الدهليز الذي يفضي إلى جناح ابنتها وفتحته . ولشد ما دهشت حين وجدت انه غير مقفل بالمزلاج من الداخل . وكانت ابواب الغرف كلها مفتوحة ولم يكن هناك اثر لـ"نيلي روز" ولا لصاحبها .

وقالت مدام "ديتول" وهي ترتعد :

- لقد خرجا معا . ليت شعري ما العمل .؟ لابد من إخطار البوليس.؟

فقال "فالنيه" معترضا :

- كلا .. كلا .. إبلاغ البوليس يثير فضيحة لا داعي لها .! ويجب أن نعمل بمفردنا دون أن نشرك البوليس معنا . لقد خرجت مع "باراتوف" فإلى أي مكان ذهبا ؟ أين يقيم "باراتوف" هذا .؟

فقالت مدام "ديتول" :

- أين البطاقة التي جاءت إلى ابنتي ؟

فقالت "فيكتورين" :

- ها هي يا سيدتي .

وحملتها إليها . ونظرت مدام "ديتول" في البطاقة وغلافها وقالت:

- ها هو ذا عنوانه مكتوب على الغلاف . إنه في فندق "نوفوبالاس" اتصل به تليفونيا يا "فالنيه" .

وبعد ربع الساعة تم الاتصال بالفندق .

والتفت "فالنيه" إلى مدام "ديتول" وقال :

- يقولون إنه إما أن يكون نائما وإما أن يكون قد خرج لأنه لا يجيب نداء التليفون في غرفته .

وفجاة استولى الغضب على "فالنيه" فجمع قبضته وقال :

- يا للنذل .! يا للنذل .! سأحطم رأسه إذ أراه .

وقالت مدام "ديتول" :

- ولكن ما يدريك أنه لا يجيب نداء التليفون لأنه الآن مع "نيلي روز" في المخدع . ؟

فصاح "فالنيه" في غضب :

- لابد من إخطار البوليس .!

- والفضيحة .! الم تقل انت نفسك منذ لحظات إن في إبلاغ البوليس إثارة للفضيحة .؟

- لن تثار اية فضيحة فإن لي صديقا في إدارة البوليس يمكنني أن أتصل به بصفة شخصية .. وأنت تعرفينه .. إنه يدعى "تيرو" ، وهو الساعد الأيمن للمدير العام ، سأذهب إليه على الفور.!

- وسأرافقك .! هيا بنا .!

ولم يكن العثور على "تيرو" بالامر الهين ، إذ كان أعزب غير متزوج ، ولم يكن موجودا في داره ، وقالت بوابة الدار :

- عليك بالذهاب إلى إدارة البوليس ، إذ يحتمل أن يكون قد أنبأهم بوجهته حتى إذا جد حادث خطير اتصلوا به .

وطارت السيارة إلى إدارة البوليس .. نعم .. لقد أخطرهم "تيرو" بمكانه .. إنه موجود الآن في مرقص "بوتيلييه" .. ومن جديد طارت السيارة إلى مرقص "بوتيلييه" .. وأرسل "فالنيه" مع أحد الجرسونات يستدعي صديقه . فلما جاء قص عليه تفاصيل الحادث في إيجاز .

وقال "تيرو" بعد أن استمع إلى رواية صاحبه :

- تمردت عليكم الفتاة .!

فصاح "فالنيه" :

- كلا .. إنها طفلة طائشة .! لك أن تعتبر الحادث اختطافا .. أو إغواء .. أو ما شئت .!

فضحك "تيرو" وقال :

- في مثل هذه الساعة أطرق باب الرجل في فندق "نوفو بالاس" وليس معي أمر من النيابة بالتفتيش .؟ ومع ذلك فهيا بنا إكراما لك .! سأتحمل كل المسؤولية .

وبعد دقائق قليلة وقفت بهم السيارة أمام باب الفندق .!

وقال المفتش "تيرو" يخاطب البواب :

- إني من البوليس .. أين مدير الفندق .؟ استدعه ..

- ولكنه نائم يا سيدي .

- قلت لك استدعه .

وبعد فترة وجيزة جاء المدير وقد أيقظوه من نومه ، وكان بادي الامتعاض ، ولكنه كتم ما في صدره وحاول أن يبتسم .

وافضى إليه "تيرو" بخلاصة وجيزة للأمر دون أن يذكر اسم "نيلي روز" صراحة وقال :

- فلابد من دخول مخدع "باراتوف" هذا .

- ولكن إذا لم يلب النداء ، أو إذا كان قد خرج ؟

- لديكم مفتاح إضافي لكل غرفة .. فلنستعمله .

وقالت مدام "ديتول" وقد اشتد جزعها :

- فلنسرع .!

ودق "تيرو" على باب "باراتوف" مراراً دون أن يلبي أحد النداء..
قال "تيرو" مخاطبا المدير:
- افتح الباب .
وما فتحِ الباب حتى كانت مدام "ديتول" أول الداخلين . على أنها ما تقدمت خطوات حتى جمدت مكانها وأرسلت صرخة مليئة بالرعب والفزع .
على الضوء الخافت الضئيل الذي ينبعث من الدهليز إلى الغرفة رأت مدام "ديتول" جثة رجل ممددة على الأرض بلا حراك .
واضيء النور الكهربائي ، والتف الحاضرون حول الجثة .
وقال المدير:
- هذا هو مسيو "باراتوف" بعينه .!
ومال فوقه "تيرو" يفحصه ثم رفع رأسه وقال :
- لقد مات .. وكان الموت منذ بضع ساعات ، فقد بدأت الجثة تتصلب .. ثم انظروا إلى هذا الدم المتجمع على الأرض ، وعلى القميص وعلى العنق .! لقد مات مقتولا .! اتصل يا حضرة المدير بمركز البوليس من طرفي .. من طرف المفتش "تيرو" ، واطلب إلى "القوميسير" أن يحضر على الفور ومعه الطبيب .
وأثار الحادث من في الفندق .. وتنبه النزلاء من نومهم على حركات الشرطة وهم يروحون ويغدون .. والمحادثات التليفونية الكثيرة ، وتوالت الاستفهامات وكلمات الاستغراب .
أما مدام "ديتول" فغادرت الغرفة على عجل ووقفت في الردهة حتى لا تقع عيناها على الجثة مرة أخرى وأنشأت تقول مخاطبة "فالنيه" :
- هذا فظيع .! هذا مخيف .! ولكن أين "نيلي روز" .؟ ومن المؤكد أن هذا الرجل ليس هو الذي جاء يزورها في مخدعها مادام قد مات منذ بضع ساعات . قبل منتصف الليل .؟ هذا إلى أنه ليس الرجل الأسمر الطويل الذي رأيته في حفلة الاستقبال في داري اليوم . كان ذاك في عنفوان الشباب .
وتنهد "فالنيه" وقال :
- حادث غامض .! ولكن "نيلي روز" .؟ ليت شعري أين هي الآن؟ ومع

من هي .؟

ونقلت الجثة إلى مخدع النوم المجاور للغرفة التي وجدت فيها ووضعت على الفراش . فرجعت مدام "ديتول" و "فالنيه" إلى قاعة الاستقبال حيث كان التحقيق الأولي يجري بمعرفة "القوميسير" وبحضور الطبيب والمفتش "تيرو" .

وقال الخادم المراقب الموكل بمراقبة الطابق الذي تقع فيه غرفة القتيل :

- الواقع يا سيدي "القوميسير" انه ليس في وسعي أن أذكر لكم حادثا معينا . توليت المراقبة كما هي عادتي في كل ليلة . وأعتقد أن النوم غلبني وانا جالس على مقعدي . ولكن من المؤكد انه لا يدخل أحد إلى الغرفة أو يخرج منها إلا رأيته . فإن فتح الباب كفيل بإيقاظي من نومي .

- إذن فانت تعتقد أن مسيو "باراتوف" لم يغادر غرفته .؟

- نعم يا سيدي .

- الم يحضر أحد لزيارته في هذا المساء .؟

- بلى .. حضر أحد أصدقائه لزيارته وتناولا العشاء معا في قاعة الاستقبال ورئيس الخدم "روبرت" هو الذي تولى خدمتهما بنفسه . وقد انصرف صديق "باراتوف" في الساعة التاسعة . ولكنه رجع مرة أخرى في الساعة الحادية عشرة . وقد انتهى إلى سمعي من حديثهما كلمات غاضبة ثائرة . كانما ثارت بينهما مناقشة حادة . وقد سمع الخادم "لويس" هذه الأصوات الغاضبة فقال لي :"يظهر أن بركانا ثار عند الروسي ." وفي الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا خرج صديق مسيو "باراتوف" . اما مسيو "باراتوف" نفسه فلزم غرفته .

- الم يره أحد بعد ذلك .؟

- نعم لم يره أحد يا سيدي . وفي وسعي أن أقسم على ذلك . لقد اخذتني سنة من النوم كما قلت لكم ولكن فتح الباب كان كفيلا بإيقاظي.- صف لنا هذا الصديق . ؟

- طويل القامة عريض المنكبين شديد التانق وله بشرة لوحتها الشمس .

فالتفت "قوميسير" البوليس إلى "تيرو" وقال :

- لابد إذن من العثور على هذا الشاب الأسمر الوجه . إن كل القرائن توحي بأنه القاتل .

فقال "تيرو" :

- هذا أمر لاشك فيه فيما أعتقد .

- يا إلهي .! وابنتي المسكينة "نيلي روز" .!

وترنحت وسقطت بين ذراعي "فالنيه" غائبة عن صوابها .

الفصل الثالث

كانت المسافة بين "تروكاديرو" و "اوتي" قصيرة قطعتها سيارة التاكسي التي يتولى "إبراتييف" قيادتها في وقت وجيز .

وأراد "لوبين" أن يشغل "نيلي روز" عن التفكير فيما ارتكبت من حماقة بمرافقتها له فانشأ يتحدث إليها بلا انقطاع عن البنسيون الروسي الذي سيذهب إليه . على أن جهده كان ضائعا لا داعي له. فما خطر لـ"نيلي روز" لحظة واحدة أن تنكص وتتراجع . لقد اطمانت إلى صاحبها ووثقت به فلماذا لا تخرج في رفقته .؟

ولكن ما إن وقفت بهما السيارة أمام البنسيون الروسي حتى داخلها شيء من الشك وراحت تقول لنفسها : وما يدريني أنه كذب عليّ فذهب بي إلى مسكنه الخاص لا إلى مرقص روسي ..؟

ولكن أنغام الموسيقى وصلت إلى أذنيها قبل أن تنزل من السيارة فاطمانت ونفضت عنها هواجسها .

وتخطى "لوبين" عتبة البنسيون وفي رفقته "نيلي روز" ودخلا إلى قاعة الرقص .

وكانت القاعة تشيع الابتهاج في النفس : في أرجائها انتشرت الثريات الكهربائية الملونة وتدلت من السقف البالونات الحمراء والزرقاء والخضراء . وهنا وهناك امتدت حبال من الورق ذي الألوان الزاهية وكان المكان مكتظا بالحاضرين وقد انتظموا حول المقاعد في ثيابهم الأنيقة وكان جلهم من الروس والأجانب .

وبدا الجمهور مندمجا في جو العيد الذي يسود المكان .. ابتسامات وضحكات ومزاح ..! نفض الناس عنهم أحزانهم وهمومهم ولم يعودوا يفكرون إلا في أن يمضوا بضع ساعات هانئين سعداء .

وسار "لوبين" بصاحبته إلى مائدة منعزلة في أحد الأركان وتشرف على ساحة الرقص .

واخذت "نيلي روز" تدوربعينيها فيما حولها وقد أخذتها نشوة من السرور .. وسط هذا الجمع الحاشد لايمكن أن تخاف شيئا .. وها

هوذا صاحبها أمين مخلص في حديثه وفي سلوكه .. فما الداعي للقلق..؟ وهذه الحياة ..؟ إنها جديدة عليها .. لاعهد لها بمثلها من قبل .. لقد درجت على حياة هادئة ساكنة خالية من المسرات .. نعم .. إنها ترددت على مرقص "بوتيلييه" أكثر من مرة ، ولكن هذا المرقص الروسي من طراز آخر مختلف .. في مرقص "بوتيلييه" وجوه رزينة .. وابتسامات بحساب وقدر .. وخطوات متزنة ومحتشمة .. أما هنا .. في هذا المرقص الروسي .. فلا تقع العين إلا على حياة دافقة .. ابتسامات وضحكات صادرة من أعماق القلوب .. بلا حساب ولاتكلف.. ولاتصنع .. كلمات تهتز منها الأرواح .. لاقيود ولا اغلال ..! هنا الحياة التي تفجرت .. وتدفقت واكتسحت السدود وجرفت كل ماتواضع عليه الناس .

تريد أن ترقص .. تريد أن تضحك .. تريد أن تبتسم .. إذن فارقص كما تشاء واضحك كما تشاء .. وابتسم كما تشاء .. لاتحرك قدميك على وضع معين وإنما حركهما على أي وضع تشاء.. حطم القيود واهدم الأغلال وأسلم نفسك مرة إلى الطبيعة المطلقة من كل قيد ..!

واندمجت "نيلي روز" في هذا الجو السعيد الهانئ .

والتفت إليها "لوبين" وقال :

- ما أسعدني بأن أراك مبتهجة راضية . الآن للمرة الأولى أرى لوجهك تعبيراته المألوفة .. وهذه هي ابتسامة الطفولة ..

فأرسلت إليه بصرها في استغراب وقالت :

- ابتسامة الطفولة .. ؟ من يسمع كلامك يعتقد أن لك بي معرفة قديمة ..؟

فضحك وقال :

- وهذا صحيح ..! إني أعرفك وأنت طفلة .. !

- أنا .. !

- نعم .. أو على الأقل صورتك الفوتوغرافية .. عندما كنت في العاشرة من عمرك .

- هذا عجيب ..! حدثني بتفاصيل الأمر إذن .

- فيما بعد .. فيما بعد .. أما الآن فدعيني أسالك عما إذا كنت تحبين أن تراقصيني ..!

فهزت راسها وقالت :

- كلا .. لا أحب أن أرقص في هذا المكان ..! إن الزحام شديد في ساحة الرقص كما ترى .. وارجوك ألا تملأ كاسي بالشراب .

فابتسم وقال :

- إني أعرف .. إنه يدير رأسك .. !

- عجبا .. وكيف عرفت هذا .. ؟ أسبق أن رأيتني من قبل ..!

فمال إليها وهو يقول :

- اتذكرين يا آنسة سوقا خيرية أقيمت في الشتاء الماضي ؟ لقد تحدثت أثناء هذه السوق مع سيد متقدم في السن بدين الجسم . وقد طلب إليك مرافقته إلى المقصف ليقدم إليك قدحا من الشراب فرفضت محتجة بأن الشراب يدير رأسك ..؟

- نعم .. إني أذكر هذا الحادث تماما ، وقد بعت له برنامج الحفل فنقدني ألف فرنك .

- إن لك ذاكرة طيبة يا صديقتي .

- ولكنك لست هذا السيد ؟

- هذا صحيح ، ولكنه صديق لي ، وقد حدثني عنك وأطرى محاسنك وذكر لي اسمك .. ولطالما رددت هذا الاسم وانا في روسيا أثناء مغامرة محفوفة بالمخاطر انسقت إليها ، وإنه ليخيل إلي أن اسمك وصورتك يجلبان إلي السعادة وحسن الحظ .. قد يكون هذا الاعتقاد مني جنونا، ولكنني أحب في بعض الأحيان أن أكون مجنونا .. ومهما يكن من الأمر فالشيء الذي لاشك فيه هو أن اسمك الجميل "نيلي روز" .. يمهد أمامي العقبات ويخفف من متاعبي وهمومي ..

وهكذا أخذ "أرسين لوبين" يمزج الخيال بالحقيقة ويحور في بعض الوقائع بما يتفق وظروف الموقف .. لم يكن في نيته أن يكاشفها بمسألة الوثائق والأسهم التي عثر عليها مدفونة في باطن الأرض .. نعم .. إن الوقت لم يحن بعد .. حسبه أن يوقع في روعها أن هناك

صلة وثيقة تجمع بينهما .. صلة تمت إلى الماضي.. إلى عهد الطفولة.. بسبب متين فذلك أدعى إلى زيادة ثقتها به ، وادعى إلى إثارة مشاعرها الكامنة وتسلط على أعصابها ، وقد أصاب "لوبين" في هذه الخطة .

اضطربت الفتاة وعراها الانفعال ، وبدات تفقد سيطرتها على أعصابها ، وعلى غير وعي منها مدت يدها وتناولت قدح الشراب ورفعته إلى شفتيها ورشفت منه جرعتين .

واسترسل "لوبين" يقول :

– وانجزت مهمتي المحفوفة بالمهالك ، واستطعت أن اخرج حياً من الجحيم الروسي ، وأرادت الأقدار أن تقع بين يدي مجلة «فرنسا في بولندا» فرأيت فيها صورك الثلاث . وأخيرا هانذا تعرفت إلى "نيلي روز" وبدأت حياتي من جديد . !

وغمغمت الفتاة تقول :

– وقد كتبت إلي ..

وتردد "لوبين" . كانت الأكاذيب التي يلقيها إليها تعذبه . لقد زعم في أول الأمر أنه "باراتوف" صاحب خمسة الملايين فلا مجال إذن للتراجع وإلا فسدت الأمور . ولكنه لم يشا أن يكذب إلا فيما تدعو إليه الضرورة القصوى . فلم يجب عن سؤالها وقال :

– ثم بادرت بالمجيء إليك ! كان تعهدك غريبا .. وجريئا .. ولكنني استعنت به للوصول إليك . أردت أن أتعرف .

أردت أن أراك . أن أتبين السر في هذا العرض الجر يء هذه فتاة تعلن في غير تردد أنها على استعداد لأن تمنح من نفسها كل من يتبرع بخمسة ملايين ما يطلب . فما السر في هذا التعهد . وهناك عندما احتواني مخدعك . عندما وقفت أنظر إليك وأحاورك.. انبعث صوت من أعماق نفسي يناديني : «إنها فتاة طاهرة .. إنها فتاة طاهرة !» وأسعدني أن أراك تثورين وتغضبين .

وكان "لوبين" يتكلم في صوت حلو النبرات يوحي بالإخلاص .

وقالت "نيلي روز" :

– وبعد ظهر اليوم ؟ لماذا جئت إلى المعمل ووقفت على الإفريز ؟

- أردت أن أراك . أردت أن أتزود منك بنظرة تملأ القلب .
- وعندما جئت حفل الاستقبال ؟ وكيف عرفت أولا أن في دارنا حفل استقبال ؟
- البواب هو الذي انبأني بذلك وما جئت لكي أراك فقد رأيتك عند المعمل . وإنماجئت لأزداد معرفة بك . عندما وقع بصري عليك رأيتك فاتنة . جميلة .. كل ما فيك يوحي بأنوثة ناضجة أنوثة خلابة طاغية. فاردت أن أراك مرة أخرى . أردت أن ألمسك .. وعندما عزفت الموسيقى نشيد الفالس لم أتردد في أن أتقدم إليك واحتويك بين ذراعي . وإذ ذاك امتزجت روحي بروحك . إذ ذاك جمعت الأقدار بيننا كما تجمع دائما بين كل امرأة وكل رجل .! أليس هذا صحيحا ؟
وقالت "نيلي روز" :
- ما كان ينبغي لك أن تقتحم مخدعي ؟
- أردت أن أرى المكان الذي تعيشين فيه . أردت أن أرى المخدع الذي تنامين فيه .. وقد تمثلتك راقدة في الفراش وفاضت بنفسي السعادة..
- ولكنك لم تكن موقنا من مقابلتي هذا المساء . كان من الممكن أن اتخلف ..
- من كانت مثلك لايمكن أن تخل بوعد قطعته على نفسها .
وساد الصمت برهة . واستغرقت الأحلام "نيلي روز" . وكانت الموسيقى تعزف نشيد «ملاحي الفولجا» . وملأ "لوبين" قدحها بالشراب من جديد وشربت . وجعلت تصغي إلى الانشودة والحاضرون يرددونها في إيقاع جميل . وشربت مرة أخرى . وابتسمت وأخذت تنقر على المنضدة وفق النغم الموسيقي .
وكان "لوبين" يرقبها . واستدعى رئيس الخدم وأسر إليه كلاما حمله هذا إلى رئيس فرقة الموسيقى .
وانتهى نشيد الفولجا . وقال "لوبين" :
- إنك لم تشربي ؟
وشربت من جديد . !
ونظر إليها "لوبين" . لم تعد هي "نيلي روز" المتوجسة القلقة .. المستريبة . لقد ارتدت فتاة أخرى . فرحة . طروبا . متوثبة . في

عينيها شباب . وفي جسمها شباب . فيها حياة تتدفق وتتفجر . !

وبدأت الموسيقى تعزف . عزفت نشيد الفالس . النشيد الذي راقصها "لوبين" على أنغامه في حفل الاستقبال . النشيد الذي أتاح له أن يحتويها بين ذراعيه لأول مرة .

ومال إليها "لوبين" وقال :

- "نيلي روز" !

وكانت هذه أول مرة نطق فيها باسمها مجردا .

- "نيلي روز" . ! أتحبين أن تراقصيني . ؟

فلم ترفض كما فعلت في المرة الأولى . ولم تتردد . وإنما أجابت على الفور :

- نعم هيا بنا نرقص هذا هو نشيدنا . !

واحتواها بين ذراعيه واندمجا في غمار الجماهير . !

لقد أصبحت له . !

الفصل الرابع

أخذت "نيلي روز" تحرك قدميها على نغم الموسيقى وقد أغمضت عينيها نصف إغماضة . كانت مأخوذة مفتونة هذا السحر الذي يغمرها . هذه الموسيقى الحلوة . الناعمة الخلابة هذه البالونات الملونة هذه . الحياة الصاخبة المتدفقة التي تفيض نارا ونورا . هذه الدنيا التي اجتمعت في هذا المرقص الروسي . !

لقد أخذتها النشوة فلم تعد تدري ما هي صانعة . ! وهذا الذي يضمها إلى صدره . ؟ إنه ساحر عجيب الشأن . ! في أول الأمركانت تنظر إليه نظرة العداء . استرابت فيه وصدته عن نفسها وطردته من دارها.! والآن . هاهي ذي بين ذراعيه . في مرقص روسي .. وقد صحبته إليه من تلقاء نفسها وبمحض اختيارها . استحالت الريبة المطلقة ثقة مطلقة . !

ومع ذلك فما الذي يمكن أن تخشاه وسط هذا الجمع الحاشد؟

ومهما يكن من الأمر فما الداعي إلى هذه الخواطر ؟

إنها سعيدة .هانئة وحسبها ذلك . !

كان "لوبين" ينظر إليها . ويتأمل عينيها . هاهي بين ذراعيه . فريسة سهلة . راضية . مستسلمة . ! وعطرها الشذي .. الذي يملأ خياشيمه ويسكره . ويفقده الصواب .

وجسمها اللدن . جسمها الذي يتدفق حرارة . حرارة الشباب والحياة . كل مافيها يتفجربالشباب ؟ إنه ما اشتهاها أكثر مما يشتهيها الآن . إنه ما تمنى أن ينتصر عليها ويتغلب على عنادها كما يتمنى الآن .!

وانتهت رقصة الفالس . ورجعا إلى مائدتهما .

وكان على مقربة منهما جماعة من الروس أخذوا يقذفون الفتاة بالبالونات والأوراق الطائرة الملونة .

وشربت "نيلي روز" قدحا جديدا من الشراب والتفتت إليه قائلة :

– ما اسمك ؟

واخذه الاضطراب عند سماعه هذا السؤال . وظل صامتا .
واسترسلت "نيلي روز" تقول :
- ألم تقل لي إن "إيفان باراتوف" اسم مستعار وإنك فرنسي الجنسية ما اسمك إذن ؟
فنظر إليها باسما وقال :
- "جيرار" أيعجبك هذا الاسم . ؟
فارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة وقالت :
- اسم جميل .
وقدم إليها سيجارة فقبلتها واشعلها لها .
وقالت الفتاة كانما قد استفاقت من نشوتها :
- لقد تاخرنا . ؟ يجب ن تعيدني إلى البيت . ؟ الم نتفق على هذا . ؟
- بلى . بلى . ولكن بعد قليل . "نيلي روز" . إني سعيد جدا بأن أراك إلى جانبي . سعيد بأن أعتقد ولو للحظة خاطفة أنك أصبحت لي - سعيد بأن أستطيع أن أكاشفك باني أحبك . !
فقالت كانما تحاول أن تفهم :
- هل تحبني ؟
- نعم .. ! أيغضبك هذا ؟
فنظرت إليه برهة ثم أجابت وعلى شفتيها ابتسامة مضطربة :
- لاأدري ..!
وقاما يرقصان من جديد .. ولما رجعا قذفهما جيرانهما الروس بالأوراق الملونة . ووجها إليهما - في هذه المرة - كلمات باللغة الروسية لم تفهمها "نيلي روز" لحسن الحظ وإن كان "لوبين" قد فهمها .
وبدأ الجمهور في الانصراف تدريجيا ، وقالت "نيلي روز" :
- يجب أن ننصرف .
- بالتأكيد .. سننصرف حالا .
ونظر في ساعته .. الرابعة صباحا .
ولم يكن ينوي أن يمضي بها إلى مخدعها وإنما إلى مخدعه ..! نعم سيخرج إلى الفناء . وفي نهاية الفناء سلم .. وهذا السلم يفضي إلى الغرفة التي يشغلها في هذا البنسيون الروسي .

وأرسل بصره إلى الفتاة .. أتراها حقيقة بان تثور مرة أخرى..؟
إذا حاول أن يصعد بها إلى مخدعه . ؟ ترى أحانت الساعة المناسبة..

وألقى "لوبين" بذراعه على مسند المقعد خلف ظهرها .. ولبثت مكانها لاتتراجع ولاتبتعد ..! أفعلت هذا استجابة ورضاء أم أنها لم تشعر بذراعه .. ؟ لقد شربت كثيرا .. وأسكرتها الموسيقى وفتنتها نبرات صوته وهو يتحدث إليها.. فهل تراها أصبحت الآن تتلهف إلى أن تجد نفسها بين ذراعي هذا الرجل ..؟

وللمرة الثالثة رماهما جيرانهما الروس بالورق الملون وصاح احدهم في فرنسية ركيكة :

- هيه .. انظروا العاشقين ..!

ولحسن الحظ لم تسمع "نيلي روز" هذا التعريض ..! ولم يكن مما يتفق مع خطة "لوبين" ان يثير جدلا فيوقظ الفتاة من نشوتها. ولهذا اكتفى بان أدار راسه ونظر إلى الروسي نظرة تنطوي على الغضب والعتاب .

ولم يسكت الروسي ولم يشأ أن يفهم وإنما قال بفرنسيته الركيكة:

- هيه ..! لماذا تحتفظ لنفسك بهذه اليمامة أيها الأخ ؟ كلنا إخوة ورفقاء . فهاتها وتعال اجلس معنا ..!

وقال "لوبين" يجيبه في خشونة :

- أرجوك أن تسكت ..

فصاح الروسي :

- أنا أسكت .. ! من انت حتى تامرني بالسكوت .. ؟ ألا تعرفني ..؟ إنني "نيكولاس تشيبين" .. ! فهل تظن انك تستطيع أن تخيفني .. حسنا مادامت هذه اليمامة الصغيرة لا تريد أن تحضر إلى مائدتنا فساحضر انا إليها ..!

ونهض الروسي واقفا فإذا هو عملاق ضخم . وتقدم إلى مائدة "نيلي روز" و"لوبين" .. ولم يكن ثملا وإن كان واضحا انه احتسى بعض اقداح من الشراب .. وكان يحمل قدحا مملوءا بالفودكا فبسط يده إلى الفتاة وهو يقول :

- تذوقي هذا الشراب الروسي يايمامتي .
وأدنى الكاس من شفتي الفتاة .
وصرخت "نيلي روز" في فزع وردت رأسها إلى الخلف .
ولم ير "لوبين" محلا لأن ينتظر أكثر من هذا . أمسك بقدح الفودكا وقذف بمحتوياته إلى وجه العملاق . وقبل ان يتهيا هذا للنضال كان "لوبين" قد عاجله بضربة في فكه جعلته يترنح ويسقط ارضا .
وصاح رفاق الروسي الأربعة صيحات الغضب وانقضوا جميعا على "لوبين" .
ووثب "لوبين" إلى اليسار خطوتين حتى لاتدور المعركة بالقرب من الفتاة خشية ان تصيبها ضربة طائشة .
وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة . ولكنها كانت في هدوئها اشبه بالسيف المصلت على الأعناق . اما عيناه فتالقتا . وتطاير منهما الشرر . هذا هو "لوبين" رجل النضال والعمل . !
وسدد بقبضته الفولاذية أربع لكمات . لكل خصم من خصومه الأربعة لكمة . وردتهم اللكمات على الأعقاب مذهولين . حائرين .. ولكن العملاق انبعث واقفا وهم بالنضال من جديد وتسلح زملاؤه بزجاجات الشراب .
وبدأت المعركة من جديد .
واحتشد الحاضرون حول المتعاركين . وكان المشهد فريداً مشوقا خمسة من العمالقة الروس يتضافرون على مهاجمة شاب انيق مترف.
وفجاة . تراجع المتفرجون إلى الخلف وفر بعضهم هاربا .
أخرج "لوبين" مسدسه من جيبه وشهره متوعدا .
وفي هذه اللحظة وصل "بيجور" صاحب البنسيون فالقى بنفسه بين "لوبين" والمعتدين .
وبعد لحظات رجع "لوبين" إلى "نيلي روز" فالفاها شاحبة اللون ممتقعة فالقى معطفها على كتفيها وحملها بين ذراعيه كانها طفلة صغيرة وسار بها ومسدسه لايزال في يده يتوعد به خصومه .
وتركته "نيلي روز" يفعل ما يشاء . إنها معه تشعر بالاطمئنان إلى جانبه .

مشى "لوبين" إلى الفناء . وفي صدر الفناء السلم المفضي إلى مخدعه. وصعد "لوبين" إلى المخدع . و"نيلي روز" صامتة لاتتكلم . لم تعارض ولم تمانع لقد ظن أن هذا الحادث سينبهها من نشوتها ويبعث في نفسها روح التمرد ولكنه الفاها على العكس مستسلمة مذعنة .

وأرقدها "لوبين" على الأريكة وأضاء النور وأسدل الستائر ثم رجع إليها .

وجالت الفتاة ببصرها في الغرفة . ورأت على رف المدفاة إناء رشق فيه عود من الزنبق .

وغمغمت تقول في صوت متهدج خافت :

- زنبقي . ؟

فحنى راسه إيجابا ..

مال فوقها . ومضى ينظر في عينيها . ! وايقظت نظرته ما كان كامنا فيها من بقايا القوة والجلد والشجاعة . وتحركت على الأريكة حركة خفيفة ..

أترى عاودها الخوف ؟ ربما . ولكنها في إعيائها لم تكن تفهم حقيقة الموقف . كانت منهوكة القوى . متعبة . خائرة . ! لقد أدار الشراب راسها وبدد قواها .

وتكلمت "نيلي روز" وكان صوتها خافتا .

قالت :

- لاتقبلني . ؟ يجب الا تقبلني . ؟ يا إلهي لقد اخطات لقد أنذرتني ماما . !

وبدت كانها طفلة تشكو .

بدت صغيرة ضئيلة الحجم ضعيفة . ولكنها في الوقت نفسه بدت مثيرة للرغبة .

وفتحت عينيها ونظرت إلى الرجلِ . نظرت إلى ذلك الرجل الذي لايزال مائلا فوقها . ورأت النظرة الهائلة في عينيه .

وعادت تقول وهي ترتعد :

- أرجوك . أريد أن أعود إلى داري . ساعدني على العودة .. ثم ألقت برأسها على الوسادة . وأغمضت عينيها متعبة منهوكة القوى . ونامت .

ومال "لوبين" فوقها . وراحت شفتاه الملتهبتان تسعيان إلى شفتيها.

الفصل الخامس

حين هوت مدام "ديتول" بين ذراعي "فالنيه" غائبة عن الصواب خف المفتش "تيرو" إلى نجدتها وتعاون الرجلان على نقلها إلى أحد المقاعد والعمل على إنعاشها . أخذا يدلكان يديها وساقيها . نشقاها قليلا من الاثير . نضحا وجهها بمنشفة مبللة بماء الكولونيا .

وكان لهذه الجهود اثران : أولا أن المنشفة المبللة بالكولونيا أزالت كل ما بوجهها من زينة ومساحيق فانكشف للعيون على حقيقته خاليا من التزويق "الرتوش" واختلطت المساحيق بعضها ببعض : طلاء الشفاه والوجنات الأحمر ومسحوق البودرة الأبيض وطلاء الحواجب الأسود وطلاء الأهداب الأزرق . ! اختلطت هذه الألوان كلها فخرج من الأحمر والأبيض والأسود والأزرق لون جديد عجيب لا اسم له بين الألوان . ! لون لايملك من يراه على وجهها إلا ان يغرق في الضحك . !

اما الأثر الثاني فهو أنها بدات تنتعش وتستفيق ففتحت عينيها وتحركت في مقعدها .

وفي خلال ذلك كان "قوميسير" البوليس ماضيا في الاستجواب والتحقيق ، وبعد أن فرغ من استجواب الخادم المراقب الذي قرر أن الشاب الأسمر الطويل كان آخر من زار القتيل . وبعد أن استجوب الخادم الذي ذكر لزميله «أن بركانا ثار عند الروسي» أمر باستدعاء رئيس الخدم الذي تولى إعداد المائدة لـ "باراتوف" وصديقه

وقرر هذا الرجل أنه لم يلاحظ اثناء العشاء أن بين الرجلين شيئا من سوء التفاهم ، بل هو يعتقد على النقيض أن العلاقات بينهما ودية بدليل انهما كانا في حديثهما لايستعملان إلا الاسم مجردا من اللقب . "باراتوف" و"جيرار" .

وصاح القوميسير حانقا :

– تبا لك ! لماذا لم تقل من اول الامر انه يدعى "جيرار" هذا أمر له أهميته القصوى .

على أنه ما نطق بهذه الكلمات حتى أدرك سخافة ما قال . إن "جيرار" اسم مجرد من اللقب فما قيمته ؟ وكيف يمكنه هذا من الاهتداء إلى صاحبه ؟

ولم يكن لدى القوميسير ذرة من الشك في أن هذا الشاب الأسمر الطويل هو الجاني وكانت كل القرائن التي تكشف عنها التحقيق تشير إلى ذلك حيث حدثت مشاحنة فجائية بين الرجلين . ثم ارتكب الجريمة. فهل هي جريمة متعمدة ناشئة عن سبق الإصرار أم جاءت عفوا ؟ وما الدافع إلى ارتكابها ؟ الانتقام أم المنافسة أم السرقة ؟

وتحول البحث إلى حقائب القتيل . كانت على عهدها مليئة منسقة كانما لم تمسسها يد . فهل هي جريمة المصادفة ؟ أم جريمة عاطفية ؟ أم الأمران معا ؟

حقا إنه لغز محير معقد .

وثمة لغز آخر .. ماشان هذه المراة التي اغمي عليها ونطقت اسما لم يتبينه جيداً ؟ ما شانها في هذه الجريمة وما صلتها بها؟ وما الداعي إلى وجودها في هذا المكان ؟

واقتربت القوميسير من "تيرو" الذي كان ملازما الصمت لايتدخل في التحقيق وقال له :

- مسالة معقدة ياسيدي المفتش . ولابد من الحصول على معلومات جديدة قبل الإدلاء براي قاطع . هذا وإن كنت أعتقد أن السرقة هي الدافع إلى الجريمة . ولكن لابد من معلومات جديدة .

- اتعتقد ذلك ؟

وحدجه "تيرو" بنظرة فاحصة ذات معنى وقال مسترسلا :

- سيكون الحصول على هذه المعلومات الجديدة من شان قاضي التحقيق الذي سيحضر في الصباح ، وساخطر المدير العام بالامر في الصباح فارجوك أن ترسل إلي على الفور تقريرك.

ولم يكن القوميسير بالرجل الغبي .. ولم يكن يجهل أن لـ"تيرو" نفوذاً كبيرا عند المدير العام .. ولقد فهم من نظرة "تيرو" انه يريد أن يقف التحقيق عند هذا الحد والا يتعرض القوميسير بكلمة واحدة لهذه السيدة التي اغمي عليها .. فليكن إذن .. فما الداعي إلى أن يثير عليه غضب "تيرو" بالتالي سخط المدير العام ..!

واستهل "تيرو" يقول :

- وعليك أن تبذل جهدك في الكشف عن شخصية الشاب الأسمر

الطويل . وإذا استطعت أن تقبض عليه قبل طلوع النهار كان ذلك منك عملا مجيدا .

ثم لحق بمدام "ديتول" وهي لاتزال متهالكة على مقعدها وقال لها :

- لقد أوفت الساعة ياسيدتي العزيزة على الرابعة صباحا ولاشك انك خائرة منهوكة القوى فيجب أن تعودي إلى دارك وأنت على يقين تام من اننا لن نقصر في جهودنا وابحاثنا ..! إن الأمر الآن بين يدي البوليس ولن تنقضي بضع ساعات حتى ينجلي كل شيء . فليطمئن بالك .

وغمغمت مدام "ديتول" تقول في إيجاز :

- أصبت .. ! سارجع ..!

وأسر "تيرو" إلى صاحبه "فالنيه" بكلمات قليلة ثم مضى إلى الغرفة المجاورة . واقترب "فالنيه" من مدام "ديتول" وقال :

- والآن هيا بنا يا صديقتي العزيزة .. يجب أن ننصرف .. ؟

وقالت مدام "ديتول" في صوت مضطرب ضعيف :

- نعم .. لابد من الانصراف . ولكن تصور نكبتي .! لابد من أن انتظر ساعات طويلة . ساعات حافلة بالهواجس والألم وانا اعلم أن "نيلي روز" مع هذا اللص .! مع هذا القاتل .! آه .. يا إلهي .! لم تعد مدام "ديتول" تلك المراة المرحة المستهترة .! لم تعد الأرملة الطروب .! وإنما عادت في هذه اللحظة مثالا للأم .. الأم القلقة .. المضطربة ، المتلهفة ، الجزعة . عادت الأم التي تعرف أن ابنتها مستهدفة لخطر محقق وهي مكتوفة اليدين عاجزة عن ان تخف إلى نجدتها . لقد تقدمت بها الأعوام عشرين سنة على الاقل . وشعر "فالنيه" بالرثاء لها . وفجاة قالت الأم المسكينة :

- اسمع يا "فالنيه". لقد لمحت الآن اثناء التفتيش مفكرة "باراتوف" موضوعة في درج هذه المنضدة . نعم .. هذه المنضدة الصغيرة . ومن المحتمل جدا أن يكون في هذه المفكرة عنوان هذا النذل المدعو "جيرار" أو بيانات اخرى ترشدنا إليه .

فقال "فالنيه" :

- ولكن البوليس . ؟

- لاتبال .. استول على هذه المفكرة . قلب صفحاتها .؟ أسرع! ولكن إياك أن يفطن إلى أمرك أحد .

واقترب "فالنيه" من المنضدة كأنه يتمشى بلاغاية معينة . وعلى عجل مد يده ففتح الدرج وأخذ المفكرة . ثم مضى يقلب صفحاتها.

وبغتة افلتت شفتاه آهة تدل على الاستغراب . وتحول إلى مدام "ديتول" وهو يقول :

- ها هو ذا العنوان .. لقد وجدته مكتوباً فيها : «في يوم ٨ مايو يجب أن أبرق إلى "جيرار" بموعد وصولي - العنوان : البنسيون الروسي في "أوتي"» .

فهتفت مدام "ديتول" :

- عال جدا .. لابد أن هذا النذل قد ذهب بابنتي إلى هذا البنسيون الروسي . هيا بنا .

- ولكن إلى أين ؟

- إلى البنسيون الروسي لننقذ "نيلي روز" .

وغادرت الغرفة وفي اثرها "فالنيه" . ولكنه حين بلغ رأس الدرج قال معترضا :

- ولكن الا يحسن بنا أن نخطر "تيرو" أو القوميسير؟

فقالت في حزم :

- كلا .. يجب الا يعرفوا شيئا سنعمل بمفردنا .

ومرت بغرفة البواب وألقت نظرة على دليل التليفون وقالت :

- هاهو عنوان البنسيون الروسي . هيا بنا .

وتجدد نشاط الأم المسكينة ، على الرغم مما عانت في تلك الليلة من متاعب وانفعالات كانت لاتزال متوثبة متحفزة لإنقاذ ابنتها من براثن هذا القاتل .

وفي الساعة الرابعة والثلث صباحا وقفت بهما السيارة أمام البنسيون الروسي .

وكان الظلام يسود الفندق لولا مصباح ضئيل الضوء ينير الردهة . وكان هناك نفر من السكارى متهالكين على المقاعد وعلى الأرض . ورأت مدام "ديتول" من بينهم عملاقا يلوح عليه انه دون أصحابه سكرا

فاقتربت منه وقالت :

- الم تر هنا شابا طويل القامة أسمر اللون شديد التانق ؟

ورفع العملاق رأسه حين طرحت عليه هذا السؤال .

- شاب أسمر طويل القامة شديد التانق ؟ نعم .. لقد كان هنا طوال السهرة .

- وحده ؟

- كلا .. في رفقته فتاة .

فصاحت مدام "ديتول":

- فتاة ..!

- نعم .

وانبرى روسي آخر من السكارى يقول :

- وهي فتاة حسناء .. حسناء جدا . وكانت ترتدي ثوبا أبيض اللون يسفر عن ذراعيها ومنكبيها . ومعطفا أحمر اللون .

فغمغمت مدام "ديتول" وقد اختنق صوتها انفعالا :

- إنها هي .! إنها هي .!

واسترسل الروسي الثاني مشيرا إلى المائدة التي كان "لوبين" يشغلها مع "نيلي روز" :

- وكانا جالسين إلى هذه المائدة .. وقد حضرا في نحو الساعة العاشرة .. ورقصا معا .. وكانا جالسين معا جلسة العشاق .

- آه يا إلهي .! وأين ذهبا ؟

فهز الرجل كتفيه هزة من لايدري جواب هذا السؤال ، ولم يشأ أن يقص على المرأة كيف أن رجلا واحدا استطاع بمفرده أن يطرح أرضا خمسة من العمالقة . !

واردف يقول :

- لقد انصرفا .. كانت الفتاة شبه مريضة فحملها الرجل بين ذراعيه ومضى بها .

- إلى أين ؟

- لا ادري .

فصاحت مدام "ديتول" في إلحاح :

- بل تدري . ! ويجب أن تدري ..! ويجب أن تذكر . ! انعش ذاكرتك.. أرجوك أن تذكر . !

وتحرك روسي ثالث كان يصغي إلى هذا الحديث .. هذه المرأة فيما يلوح يهمها أن تعرف مصير الفتاة وصاحبها ، وأمارات الثراء ظاهرة على المرأة فلم لايحاول أن يستغل الموقف . ؟

وتكلم الرجل قائلا :

- في وسعي أن أزودك ببعض المعلومات .. ولكننا فقراء ولا نحب أن نحشر أنفسنا فيما لاشأن لنا به .

فقالت مدام "ديتول" مخاطبة "فالنيه" :

- اعطه مالا .

وأخرج "فالنيه" من محفظته خمس ورقات مالية من فئة المائة فرنك ، ناولها إلى الروسي فقال هذا :

- حسنا . ! لقد راقبتهما وهما يبتعدان .. ظل هذا السيد يحمل الفتاة ودخل إلى هذا الفناء ، ثم صعد السلم ، والسلم يفضي إلى مخدعه ، وقد رأيتهما وهما يدخلان المخدع .

وارتعدت مدام "ديتول" وقالت :

- إذن فهو لايزال هناك الآن . ؟ والفتاة معه ؟

- هذا لاشك فيه .

وقالت مدام "ديتول" تخاطب الروسي :

- اذهب بنا إلى مخدعه إذن . !

فقال الروسي مخاطبا رفاقه :

- سنثأر لأنفسنا أيها الرفاق من هذا الغر المفتون .

وسار الروسي إلى الفناء الذي يسوده الظلام وفي أثره مدام "ديتول" و"فالنيه" .

وفجأة سمع "فالنيه" صوت تكة ، فالتفت إلى صاحبته وقال :

- ماهذا . ؟ ماذا تفعلين ؟

كانت مدام "ديتول" ممسكة بمسدسها الصغير الذي أخرجته من حقيبتها ولم تجب عن سؤال "فالنيه" ، ولكن وجهها كان منقلب السحنة وفي ثناياه ما ينم في جلاء عن ما عولت عليه ، ورأى "فالنيه" المأساة التي توشك أن تتكشف ! أم ذهب الحزن برشدها فعولت على أن تثأر لفتاتها ، وفي سبيل الثأر لن تتردد حتى عن ارتكاب جريمة القتل.

كانت مدام "ديتول" تسير في المقدمة وخلفها "فالنيه" ووراءهما

الروس الخمسة ، وهم يترنحون ثملين ، وقد عقدوا العزم على أن يحطموا باب الشاب الأسمر الطويل القامة إن أبى أن يفتحه .

واعترض طريقهم حين بلغوا السلم "بيجور"صاحب الفندق وهو يقول :

- إلى أين تذهبين يا سيدتي ؟

لقد رأى المسدس في يدها وادرك أن هناك خطراً ينذر بالوقوع. وأعاد "بيجور"سؤاله :

- إلى أين يا سيدتي ؟

وقالت مدام "ديتول" تجيبه في صوت صارم :

- إننا صاعدون إلى نزيل يدعى"جيرار" وَهو الآن في مخدعه مع فتاة فدعنا نمر .

ولكن "بيجور" لم يدعها تمر .. لم يكن يريد أن يقع في فندقه حادث دموي حتى لايوقظ شبهات البوليس إلى ما يجري في الخفاء بين جدران هذا البنسيون .. وكان لابد له أن ينقذ "لوبين" .. ينقذ ذلك الرجل الذي ساعده على الفرار من روسيا فصان حياته من الدمار .

وتحول "بيجور" إلى الروس الخمسة وقال :

- وإلى أين تذهبون أنتم .. ؟

فاجابه أحدهم :

- إننا نتولى إرشاد السيدة إلى مخدع الشاب .

- انصرفوا أنتم .. لاضرورة لبقائكم .

ولما رآهم في مكانهم جامدين عاد يقول في صرامة :

- قلت لكم.انصرفوا ..!

ورجع الروس إلى البهو إذ خشوا أن يغضبوا صاحب الفندق وهم في حاجة إلى معونته وصبره عليهم إذ أبطئوا في سداد اجر غرفهم .

وتحول "بيجور" إلى مدام "ديتول".وصاحبها وقال :

- إن مسيو "جيرار" حقيقة نزيل عندي . ولكنه ليس موجوداً الآن .. لقد صعد مع الفتاة إلى غرفته ولكنهما لم يلبثا فيها إلا خمس دقائق . وأنا الذي استدعيت لهما سيارة التاكسي بنفسي.. وغمغمت مدام "ديتول" دون أن يخالجها شك في صدقه :

- آه .. يا إلهي ..! ما العمل ..؟

وقال "فالنيه" :

- ليس أمامنا الآن إلا أن ننصرف .

وأخذ بذراع مدام "ديتول" وسار بها إلى السيارة . وتهالكت الام المسكينة على المقعد وهي تقول :

- فلنرجع إلى البيت .. وقد نجدها هناك ..!

وراحت السيارة تطوي الطريق وقد بدأ نور الفجر يبدد الظلمات وتنهدت مدام "ديتول" وقالت :

- ما أكثر الهموم يا صديقي "فالنيه" .. ! ليت شعري لماذا لم تتزوج "نيلي روز" قبل اليوم . لو أنك تزوجتها لما حدثت هذه النكبة..! آه .. ابنتي المسكينة مع هذا الوحش ..! أليس هناك رجاء في ألا يكون قد جرى بينهما شيء ..! من نصف الليل إلى الساعة الثانية كانا في مخدع "نيلي روز" .. وبطبيعة الحال لم يقع بينهما امر خطير .. وبعد ذلك حضرا إلى هذه الحفلة الراقصة .. وبالتاكيد ليس هناك أيضا شيء خطير .. ولم يلبثا في مخدع "جيرار" إلا خمس دقائق كما قال صاحب البنسيون فإذا وجدنا "نيلي روز" الآن في البيت فمعنى ذلك انه لم يحدث شيء .. إنك فاهم ما أعني يا "فالنيه" .

- بالتاكيد .. ولكن هبي أننا لم نجدها في البيت الآن .. ؟ وفضلا عن ذلك فقد أمضت ساعتين على الأقل في خلوة مع هذا الرجل ..! وكانا جالسين في المرقص جلسة العشاق كما قال هؤلاء الروس .. !

نطق "فالنيه" بهذه الكلمات في حسرة ظاهرة .. وقد شعر بان كرامته جرحت كزوجها المستقبل .

وقالت مدام "ديتول" :

- اسمع يا "فالنيه" ..! إني أرى من الحكمة الا تفاتح "نيلي روز" بشيء عندما نجدها بالمنزل ..! ستعلم الحقيقة فيما بعد وعاجلا .. الست معي في هذا الرأي .. ؟

فأجاب "فالنيه" في حزن :

- بلى .

ولكن "نيلي روز" لم تكن موجودة في غرفتها .. إنها لم تعد من الخارج بعد .

قالت مدام "ديتول" وقد عراها يأ

- آه يا إلهي ..! هذا فظيع ..!

وتهالكت على الأريكة إعياء .

ولبث الإثنان ينتظران ويترقبان .. الساعة الخامسة .. ثم السادسة ومع ذلك لم تحضر "نيلي روز" ، وأخيرا دقت الساعة سبع دقات . وإذ ذاك سمع صرير مفتاح يدور في القفل وهتفت مدام "ديتول" :

- لقد جاءت ..!

ودخلت "نيلي روز" .. وكانت شاحبة الوجه تسير في خطوات آلية كأنما لاتشعر ولاتحس .

ووقفت مدام "ديتول" تنظر إلى ابنتها . وودت لو طرحت عليها مئات من الأسئلة . أرادت أن تسألها عما حدث . ولكنها كانت قد عولت على ألا تثير الموضوع كما قالت لـ"فالنيه" . غير أن الانفعال كان قد طغى عليها فلم تملك إلا أن تقول :

- إنه قاتل ..!

فقالت "نيلي روز" تسألها في صوت أجوف لايدل على دهشة أو خوف أو قلق . صوت كأنه صادر من أعماق القبور :

- من هو ؟ ماذا تقولين ؟

- هو ..! الرجل الذي زارك واستصحبك معه . ! الرجل الذي أمضيت معه الليل ..! "جيرار" إنه قاتل .! إنه لص .! لقد قتل "باراتوف" بدافع السرقة . !

- ولكنه هو "باراتوف" . !

- كلا .. ؟ انتحل اسم "باراتوف" وقتل "باراتوف" الحقيقي .! قتله في فندق "نوفو .." قبل أن يحضر لزيارتك عند منتصف الليل . لقد رأيت الجثة بعيني . إنه قاتل .! والبوليس يبحث عنه الآن .!

وساد الصمت .

وكان صمتا حافلا بالرعب والفزع .. وفي حركة آلية مدت "نيلي روز" يدها وأخذت بذراع أمها وأخرجتها من الغرفة . وفي حركة آلية أيضا أخرجت "فالنيه" . كان يبدو عليها أن شعورها مات وتحجر . نظرات متحجرة ومشية آلية .

أغلقت الباب على نفسها . ثم ارتمت على الفراش .

وبعد لحظات تعالى صوت نشيجها وبكائها .

القسم الرابع

الفصل الأول

قال مسيو «ليستاي» قاضي التحقيق مخاطبا سكرتيره وهما يجتازان عتبة فندق «توفو بالاس» في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي لوقوع الجريمة :

و«باراتوف» هذا طبقاً للبيانات الواردة بسجلات إدارة الأمن العام شخص مشبوه تحوطه الظلمات . إنه غني جدًا ولكن لايعلم أحد من أين هبط عليه هذا الثراء .. ولا يكاد يكف عن الترحال والطواف بمختلف البلدان . أما الأسباب فمجهولة . ولكنه لا يدخل بلداً إلا راقبه بوليسها .. في روسيا يراقبونه . وفي بولونيا . وفي النمسا وفي إيطاليا .. ففي حياته كما ترى نواح عديدة يمكن أن تكون ذات صلة بمصرعه . أما تبرعه بخمسة ملايين فرنك لدار المعامل فعمل إنساني جليل لا يمكن أن يقدم عليه من كان مثله إلا إذا كانت له من وراء هذا التبرع غاية خفية يرمي إليها . ولست أشك في أن القاتل شريك قديم نقم عليه لسبب من الأسباب .

فقال السكرتير :

- أو ضحية قديمة أرادت أن تثأر لنفسها .

وأمسك الرجلان عن الحديث عند هذا إذ كانا قد بلغا جناح باراتوف ودخلاه . وكان قومسير البوليس غير موجود . ولكن كان هناك رجل طويل القامة يروح ويجيء في أرجاء الغرفة مرسلا بصره إلى كل شيء وله عينان حادتان كعيني النسر .

ولم يكن هذا الرجل سوى المفتش «تانتاس» الذي عهدت إليه إدارة الأمن العام بأن يتولى تحقيق القضية وجلاء غوامضها .

و«تانتاس» شرطي بارع موفور الذكاء عظيم الدهاء ما تولى جريمة إلا كشف أستارها وهتك أسرارها .

وقال قاضي التحقيق يسأله :

- هيه . ؟ ما وراءك يا "نانتاس" ؟

وكان من عادة "نانتاس" أن يكرر الكلمات الأخيرة من الأسئلة التي تطرح عليه فقال مسرورا :

- ماذا ورائي .؟ هيه ؟ فلنفحص أولا هذه الحقائب يا سيدي القاضي . إنها مفتوحة . انظر . وهذه الحقيبة بالذات . تأملها . هناك يد عبثت بقفلها . إذن فقد وقعت سرقة . هذا مؤكد . أوه إن الملابس بالتاكيد بقيت على حالها لم تمس . ولكنني أعلم مما لدي من البيانات أن "باراتوف" اعتاد أن يحمل جواهر وأشياء نفيسة . أشياء يأتي بها من روسيا . أليس كذلك ؟ وهذا القفل مهشم . إذن فقد كان هناك شيء في الحقيبة وسرق . والآن أتحب يا سيدي القاضي أن نفحص الجثة فإني لم أشأ أن أقربها إلا في حضورك .

فقال مسيو "ليسناي" :

- هيا بنا . !

وانتقلا إلى مخدع النوم وشرع "نانتاس" يفحص جثة "باراتوف" .

- عال .. عال .. عال .. لقد فكت أزرار الصديري . وفكت بوحشية وعنف . انظر .. لقد انفصل زر منها . ليس للصديري جيب داخلي . عال .. عال .. انظر .. إلى هذا الجيب الأيمن . إن فيه مميزات ظاهرة . وقد تمزقت البطانة . انظر يا سيدي القاضي . ألا ترى أن الجيب منتفخ ؟ فلماذا كان منتفخا ؟ لا شك أنه كان يحتوي على شيء ضخم .. شيء كبير الحجم ، كبير جدا.. وإلا فلماذا انتفخ بهذا الشكل ؟ وقد انتزع هذا الشيء من الجيب في عنف . فمن الذي انتزعه ؟ اللص بالتاكيد ..! أعني القاتل ..! ولكن ما هذا الشيء .. أوراق بنكنوت ؟ هذا جائز . ولكنه غير محتمل . والآن فلنفحص المحفظة . وأخرج المحفظة من جيب البذلة وفحص محتوياتها :

- ليس فيها نقود .. ليس فيها أوراق بنكنوت . لقد وقعت سرقة حتما . كان مرتديا (الاسموكنج) ومعتزما الخروج، والإنسان لا يخرج إلا إذا تزود بقدر من المال . وهذا القدر لابد أن يكون كبيرا ما دام الرجل هو "باراتوف" . ودفتر الشيكات سليم لم يمس . وهذا طبيعي فإن استعمال القاتل للشيكات كفيل بأن يوقعه في التهلكة . ولكن ما هذا

الشيء الذي كان يخفيه في جيب صديريته ؟ أوراق بنكنوت غير محتمل . إذ لماذا يتزود بقدر كبير من البنكنوت؟ مادام معه دفتر شيكات وفي وسعه أن يبدل أي نوع من النقود ؟

واخذ مسيو "ليسناي" يفحص الأوراق التي وجدت داخل المحفظة على حين اتجه "نانتاس" إلى المنضدة واخذ من درجها المفكرة التي وجد فيها "فالنيه" في الليلة السابقة عنوان "جيرار" .

وقال المفتش وهو يقلب صفحات المفكرة :

- عال .. عال .. هذا بديع اقرأ هذه الصحيفة ياسيدي القاضي . إن فيها قائمة بالأوراق التي كان يحملها .. هيه ؟ ما رأيك في هذا ؟ الق بالك بنوع خاص إلى ماسطر تحته خط بالحبر الأحمر ملف أوراق للجيب ! أين هو إذن هذا الملف ؟ لست أدري . ولكني أدري على الأقل أين كان هذا الملف ؟ كان في جيب الصديري ! ولا بد أنه كان يحتوي على أوراق خطيرة وإلا لما حفل "باراتوف" بأن يحتفظ بها لصق صدره ومن أجل هذه الوثائق قتل "باراتوف" يا سيدي القاضي ! والآن اسمح لي بأن ألقي نظرة أخرى على هذه المفكرة يا سيدي . إنها حافلة بالمعلومات . لو لم يكن القاتل غبيا لسرق هذه المفكرة . نعم كان ينبغي أن يسرقها .

ومضى "نانتاس" يقلب المفكرة . وقاضي التحقيق ينظر إليه في إعجاب وقال المفتش :

- عال .. عال .. عال .. هذه بيانات تتعلق بصديق "باراتوف" الذي تناول معه العشاء .. الشاب الأسمر الطويل القامة .. مكتوب فيها أنه يقيم في البنسيون الروسي في "أوتي" .. وأن "باراتوف" سيخطره برقيا يوم ٨ مايو بقدومه .. إني أعرف هذا البنسيون الروسي .. إنه بؤرة تدور بين جدرانها أعمال تستدعي اهتمام البوليس .

وهتف مسيو "ليسناي" قاضي التحقيق يقول :

- "نانتاس" .. إنك أعجوبة زمانك .. ! هيا أسرع بالذهاب إلى البنسيون الروسي و ..

فقال "نانتاس" :

- واقبض على السيد "جيرار" . ثم آتيك به في هدوء يا سيدي

القاضي . إلا إذا كان قد فر هاربا . تعال معي يا فيكتور

- و فيكتور هذا هو أحد مساعدي "نانتاس" الذين يركن إليهم في الجسيم من الامور .

وخرج الرجلان .

وفي نفس ذلك الوقت كان "أرسين لوبين" جالسا في مخدعه في البنسيون الروسي وهو يدخن سيجارة وقد ارتدى ثيابه .

ولما فرغ من التدخين اخرج من جيب سترته التي كان يرتديها في الليلة السابقة ملفا صغيرا للجيب مكتظا بالأوراق .

ولف "لوبين" الملف في قطعة سميكة من الورق الصق أطرافها بالشمع ثم كتب عنوانه مغيثا على اللفافة ودق الجرس يستدعي صاحب البنسيون ولما دخل عليه "بيجور" حياه "لوبين" بقوله :

- أسعدت صباحا يا "بيجور" ! كيف حالك ؟

- على مايرام . وأنت يا سيدي ! حادث الليلة الماضية ؟

- آه . اتعنى حكاية أولئك السكارى . هذا شيء لا اهمية له !

- اتعرف يا سيدي أن امرأة جاءت تسأل عنك بعد منتصف الليل بساعتين أو ثلاث ؟ وكان في رفقتها شاب يضع (مونوكلا) على عينيه وقد ارادا أن يصعدا إلى مخدعك .

- وماذا حدث ؟

- صرفتهما بالحسنى . زعمت لهما انك خرجت معها .

- عال جداً . احسنت . والآن اعرني سمعك يا "بيجور" . أريد أن أعهد إليك بلفافة على جانب عظيم من الخطورة . فاودعها خزانة البنسيون دون أن يتصل أمرها بمخلوق وإياك أن تتحدث عن هذه اللفافة إلى إنسان حتى ولا إلى امرأتك . أفاهم أنت ؟

- فاهم يا سيدي

- اتقسم على ذلك ؟

- اقسم .

- وإياك أن تعيدها إلا إلي انا شخصيا أو إلى شخص يحمل بطاقة باسمي وعليها توقيعي . فإذا لم احضر ثانية لتسلم اللفافة في ظرف ثمانية أيام أو إذا لم اوفد إليك رسولا لاخذها . فعليك في هذه الحالة

أن ترسلها إلى العنوان الذي تجده على الغلاف .

- يمكنك أن تعتمد علي ياسيدي

- أشكرك كثيراً .

وتناول "بيجور" اللفافة ودسها في جيب سترته وانصرف وعند أسفل الدرج وجد امراته وفي رفقتها رجلان .

وقالت المراة :

- يريد السيدان أن يقابلا مسيو "جيرار" .

- حسنا .. ساخطره أولا .

فقال أحد الرجلين :

- لاداعي لذلك .. إننا صديقان قديمان ونحن على موعد معه .. يمكنك أن ترشدنا إلى غرفته .

ولم يكن لدى "بيجور" شك في أن هذين الرجلين من البوليس كما تدل على ذلك سحنتهما ولهجتهما . فلم ير ما يدعو إلى التحرش بهما وإثارة سخطهما فارشدهما إلى رقم الغرفة ومضى إلى مكتبه على حين ارتقى الرجلان السلم .

وعندما فتح "لوبين" باب غرفته ألفى الرجلين على عتبتها وقال أحدهما :

- هل أنت مسيو "جيرار" . ؟

- نعم . ماذا تبغيان . ؟

- أتعرف شخصاً يدعى "باراتوف" ؟

- نعم . ولكن لماذا تسال . ؟

- مجرد فضول . إنني المفتش "نانتاس" من رجال البوليس القضائي لقد وجد مسيو"باراتوف" مقتولا في الليلة الماضي. فاجفل "لوبين" وهتف يقول :

- مقتولا . ! "باراتوف" وجد مقتولا . !

- نعم .. وجد مقتولا .

- هذا مخيف . ! .! رجل مثله شجاع قوي يقتل . !

وكان وجهه ممتقعاً وسحنته منقلبة .

وبعد سكتة قصيرة قال :

- واين قتل ؟ اعرفتم القاتل ؟

- سنعرف عاجلا . ! اما الجثة فوجدت في غرفته في فندق "نوفو بالاس" ونحن في حاجة إلى بعض البيانات والمعلومات عن القتيل . ولما كنا نعرف أنك من اعز اصدقائه رأينا ان نلجا إليك . فهل لك ان تتفضل بمرافقتنا ؟

فقال "لوبين" متسائلا :

- وهل من الضروري ان أرافقكم إلى الفندق ؟ الا يمكن أن .. فقال "نانتاس" مقاطعا :

- إننا في حاجة إلى معلومات تنقصنا ، فلابد من حضورك معنا .

- فليكن إذن . ! ياللشقي المسكين . ! قتل !

- هيا بنا . !

اما "فيكتور" فتخلف عنهما ؛ إذ كان «نانتاس» قد اصدر إليه أمراً بتفتيش غرفة "جيرار" بعد خروجه .

وفي الطريق إلى الفندق لم يكف "نانتاس" لحظة واحدة عن طرح عشرات من الأسئلة على "لوبين" فيما يتعلق بـ "باراتوف" ، وكان يلقي هذه الأسئلة تباعا ، وبلاتوقف . وقد أجاب عنها "لوبين" في حيطة وحذر ، ولم يغب عنه ان "نانتاس" إنما يواليه بهذه الأسئلة حتى لايدع له فرصة يفكر فيها ويدبر أمره .

الفصل الثاني

وصل المفتش "نانتاس" إلى فندق "نوفو بالاس" وفي رفقته "ارسين لوبين" فلما دخلا على القاضي انتحى المفتش بمسيو "ليسناي" ركنا قصياً من الغرفة واسر إليه بعض الكلمات .

وتحول "ليسناي" إلى "لوبين" وقال في لهجة مهذبة :

– تفضل بالجلوس يا مسيو "جيرار" .. إنك صديق حميم لمسيو "باراتوف" .. اليس كذلك ؟

– صديق ؟ كلا .. إني لست صديقا له ، ولكن جمعت بيننا أواصر العمل . !

– إن أعماله كثيرة في بولونيا .. واظنك قد جئت اخيرا من بولونيا ؟

– نعم .

– هل "جيرار" هو اسمك الحقيقي ؟ وهل هو لقب خاص ام لقب الأسرة ؟

– إنه لقب أسرتي .

– لقد جئت إلى هذا الفندق بالأمس تنشد مقابلة مسيو "باراتوف" فهل افهم من ذلك انكما لم تكونا معاً اثناء الرحلة ؟

– كلا .. لم نكن معاً .. وقد تعشيت معه في هذه الغرفة مساء الأمس.

– لقد كنت انوي أن اذكر لك ذلك ، وفي اية ساعة انصرفت يامسيو "جيرار" ؟

– في الساعة التاسعة مساء ، او قبلها بقليل .

– ثم عدت في الساعة الحادية عشرة ؟

– نعم ، إذ لم نكن قد فرغنا من الموضوع الذي طرقناه .. وكنت مرتبطا بموعد آخر فيما بين التاسعة والحادية عشرة .

– الم تلاحظ على مسيو "باراتوف" شيئا يثير الريبة . ! الم يكن بادي القلق والاضطراب ؟

– نعم لم يكن قلقا .

– عندما كنتما تتناولان العشاء كان مرتديا سترة ، وعند العثور على

جثته وجد مرتديا الاسموكنج ؛ فهل لم يكاشفك بالمكان الذي كان ينوي أن يذهب إليه ؟

لا .

- وعندما انصرفت ، هل كانت العلاقات بينكا ودية ؟

- نعم .

- هذا لايتفق مع ما جاء في أقوال بعض الشهود .. كانت علاقتكما ودية أثناء العشاء ، ولكن هل كانت كذلك أثناء الزيارة الثانية ؟ لقد شهد الخادم المراقب بما يخالف ذلك ، وقرر أنه سمع أصواتاً صاخبة تصدر من هذه الغرفة أثناء وجودك . وأيده الخادم في شهادته وقد شجر بينكما هذا الخلاف في نحو الساعة الحادية عشرة والربع .

وهز لوبين كتفيه وقال مجيباً :

- هذا صحيح .. لقد شجر خلاف بيننا ولكني لم أشا أن أشير إلى ذلك لأن أسباب الخلاف شخصية محضة ، إنه متعلق بمسالة شخصية .

- وما هذه المسالة الشخصية ؟

فقال لوبين معترضا :

- عفواً ياسيدي القاضي ، ولكن يخيل إلي أنك تستجوبني .

فهل هو استجواب أم مجرد استيفسار ؟

فقال مسيو ليسناي :

- إنه ليس استجوابا بالمعنى المفهوم ، إذ ليس لي الحق في استجوابك إلا في حضور محاميك ، وكل ماهنالك أني في حاجة إلى بعض المعلومات لخدمة قضية العدالة ، ولهذا أطرح عليك من الأسئلة ما أعتقد أنه كفيل بإماطة اللثام عن سر هذه الجريمة .

ولكن لك مطلق الحرية في الإجابة أو الامتناع عن الإجابة . وهانذا أعيد عليك سؤالي الأخير : ماسبب الشجار الذي نشب بينكما ؟

- قلت لك ياسيدي القاضي إنها مسالة شخصية لاتعني أحدا سواه وسواي .

- وأمام القضاء تنعدم المسائل الشخصية وتصبح مسائل عامة من حق العدالة .

- ليس في وسعي أن أجيب عن هذا السؤال !

- هذا حقك الذي لاينازعك فيه منازع . إذن فقد انصرفت من الفندق في الساعة الحادية عشرة والنصف ؟

- نعم يا سيدي القاضي .

واسترسل القاضي يقول :

- وعندما إنصرفت . هل كان الشجار قد انتهى وعاد الصفاء بينكما كما كان ؟

فقال "لوبين" بعد شيء من التردد :

- كلا . كانت أسباب الشجار خطيرة .

- إذن فقد انصرفت وأسباب النزاع قائمة بينكما ؟

- نعم .

- بعد معركة ؟ فقد شهد ..

فقال "لوبين" مقاطعا :

- نعم . لك أن تصف ماجرى بيننا بانه معركة .

- وإلى أي مكان قصدت بعد ذلك ؟

فاجاب "لوبين" بعد تردد جديد :

- إلى فندقي . إلى البنسيون الروسي .

- وفي أية ساعة وصلت إلى البنسيون الروسي ؟

- لست أعرف على وجه التاكيد . حوالي نصف . بين . وربما بعد نصف الليل بربع ساعة . لقد ذهبت سيرا على الأقدام لأهدئ من ثورة أعصابي .

وتحول القاضي نحو "نانتاس" وقال :

- هل تحريت عن ذلك يا سيدي المفتش ؟

فتناول "نانتاس" سماعة التليفون وهو يقول :

- أتسمح لي ياسيدي القاضي بأن استعلم ؟ ألو . أعطيني البنسيون الروسي من فضلك . في "أوتي" نعم . . "أوتي" ياآنسة ..

وبعد لحظات قال "نانتاس" :

- البنسيون الروسي ؟ من فضلك أريد أن أخاطب المفتش "فيكتور" ؟

وبعد سكتة قصيرة عاد يقول :

- أهذا انت يا "فيكتور" ؟ في أية ساعة رجع مسيو "جيرار" إلى البنسيون مساء الأمس ؟

وأصغى إلى إجابة "فيكتور" ثم رد السماعة مكانها وقال :

- كانت هناك حفلة راقصة في البنسيون ولم يصل مسيو "جيرار" إلى البنسيون إلا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكانت في رفقته إحدى الغانيات . غانية ترتدي فستانا أبيض ومعطفا أحمر . وكانت لهما جلسة العشاق .

فقال القاضي يسأله :

- ومن هذه السيدة ذات الفستان الأبيض والمعطف الأحمر ؟

فاجابه "لوبين" في إصرار :

- لاأستطيع أن أجيب عن هذا السؤال .

فقال "نانتاس" :

- دائما إقصاء الشبهة عن المراة ! هذه والله شهامة أهل فرنسا!

وقال مسيو "ليسناي" :

- تركت مسيو "باراتوف" في الساعة الحادية عشرة والنصف ولكنك لم تصل إلى البنسيون إلا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل . أي أنك تخلفت اكثر من ساعتين . فكيف أمضيت هاتين الساعتين ؟

وللمرة الثالثة هز "لوبين" راسه وقال في إصرار :

- لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال .

وفكر القاضي هنيهة ثم قال في تؤدة :

- أجوبتك مبهمة يا مسيو "جيرار" وموقفك يكتنفه الظلام .. وإني من ناحيتي أحب أن انبهك إلى نقطة يحتمل انها غابت عنك. إنك آخر شخص رأى مسيو "باراتوف" على قيد الحياة . والخادم المراقب يستطيع أن يشهد بذلك فهو يكاد يكون موقنا من الامر .. كان جالسا في غرفة المراقبة ولكنه يستطيع من مكانه أن يرى باب جناح "باراتوف" وهو يفتح أو يقفل عند دخول او خروج اي إنسان . كما انه رآك عند انصرافك عقب الشجار الذي ثار بينكما.

ولبث "لوبين" صامتا برهة ثم قال في هدوء :

- هل افهم من ذلك يا سيدي القاضي انك تريد أن تقول إنني قتلت

"باراتوف" قبل أن انصرف في الساعة الحادية عشرة والنصف ؟

فقال القاضي في هدوء أيضا :

- إني لم اقل هذا والواقع اني لم اقطع براي نهائي في الحادث.. كل ما هنالك اني انشد الحقيقة وقد أردت أن أبين لك خطورة مركزك .. حدثت بينك وبين "باراتوف" مشاحنة حامية قبل انصرافك .. ولم يزره احد بعد خروجك . وبعد بضع ساعات وجد "باراتوف" قتيلا ! فما الذي يمكن أن يستنتجه المرء من هذا ؟ يضاف إلى هذا انك ترفض في إصرار أن تبين لنا على اي وجه أمضيت الساعتين اللتين انقضتا بين انصرافك ووصولك إلى فندقك ؟ إن المسافة بين الفندقين لايمكن أن تستغرق اكثر من ربع الساعة . ولكنك استنفدت للوصول إلى البنسيون الروسي ساعتين ونصف . فاين كنت في خلال ذلك ؟

- إني اصر على الامتناع عن الإجابة !

وساد الصمت .

ونهض "نانتاس" واقفا واقترب من "لوبين" ووضع يده على كتفه وجعل يحدجه بنظرة فاحصة ثم قال :

- اسمع . ! الملف الصغير الذي أخذته من جيب الصديري .. واوراق البنكنوت التي أخذتها من المحفظة والجواهر التي أخذتها من الحقائب .. الا تريد ان تذكر لنا اين أودعتها وخبأتها ؟ إنك لم تكن من التغفيل بحيث تودعها غرفتك . ولكنك أخفيتها في مكان أمين بلا شك . ولقد كانت الساعتان كافيتين لذهابك إلى هذا المخبأ ثم ذهابك إلى البنسيون . أليس كذلك ؟

وقد القى "نانتاس" هذه الأسئلة في صوت يفيض اتهاما وشكا.. ولهجة قاسية مرة . ولم يحاول "لوبين" أن يجيب عن هذه الأسئلة وإنما أرسل بصره إلى قاضي التحقيق وقال :

- ارجوك ياسيدي القاضي أن تامر هذا الرجل بان يكف عن إيذائي وإهانتي . !

ورفع "نانتاس" راسه وقال :

- إذا كنت قد أبحت لنفسي أن أتحدث إليك في صراحة فما فعلت ذلك إلا حرصا على مصلحتك انت . ! الا تعلم أن المحاكم تراعي

التخفيف في أحكامها ضد المتهمين الذين يعترفون في الحال . الذين يعترفون عقب ارتكاب الجريمة مباشرة ؟

ورأى القاضي أن التحقيق قد طال فارجأالإستجواب إلى مابعد الفراغ من الطعام وقال :

– سأرجع في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر لمتابعة التحقيق وساوجه إليك أسئلة جديدة يا مسيو "جيرار" فارجو أن تكون قد تدبرت موقفك وترويت في الأمر ..

ولبث "لوبين" صامتا لايجيب

ولما انصرف القاضي أمر "نانتاس" مساعده "فيكتور" (الذي كان قد رجع من البنسيون) بأن يأمر بطعام لثلاثة أشخاص وهو يقول :

– إننا سنتناول الغداء هنا .

وكانت هذه أغرب مادبة مرت بـ "لوبين" : يجلس إلى مائدة ينتظمها قبالته شرطيان يرميانه باشنع التهم .. جريمة القتل !

وأخذ يفكر في أمره وقد استغرقته الخواطر فلم يمد إلى الطعام يداً، فقال له "نانتاس" :

– ماذا .. ؟ الاتريد أن تاكل ؟

فهز "لوبين" كتفيه ولبث صامتا

– إيه .. مادمت لست جائعا فلنتحدث على الأقل .. إنني أعتقد يا مسيو "جيرار" أنك رجل كريم السجايا طيب القلب .. ولست اكتمك أني أشعر بميل إليك وشفقة عليك ، فدعني أنصحك بأن تعترف .. إن الاعتراف العاجل كفيل بأن يكون سببا في تخفيف الحكم الذي سيصدر ضدك .. والإنكار لن يجديك شيئا .. ! فما الداعي إلى إنكار أمر سيظهر إن عاجلا وإن آجلا .. !

وأفرغ في جوفه كاساً من الشراب وقال مستطرداً :

– لافائدة إذن من الإنكار .. بل سيكون الانكار سببا في تشديد العقوبة .. فانت أولا لاتدعى "جيرار" .. هذا اسم مستعار بلا شك .. ولن يصعب علينا أن نعرف اسمك الحقيقي حتى ولو لم تكن لك فيشة في مصلحة تحقيق الشخصية .. ماذا ؟ هل ساءك قولي؟

حسنا .. لنفرض إذن أنه ليست لك فيشة تشبيه .. إن هذا لن يحول

دون معرفة اسمك الحقيقي .. صورتك تنشر في الصحف فيتكلم عشرات ممن يعرفونك ويفضون بما يعلمون عنك ؟ على أن مسألة الاسم ثانوية لااهمية لها .. إن الشيء الذي أريده منك هو أن تكاشفني بالباعث الذي دفعك إلى قتل "إيفان باراتوف" ؟

وظل "لوبين" صامتا لايجيب .. واستطرد "نانتاس" يقول :

- إنني أسألك : لماذا قتلت "باراتوف" ؟

فأجابه "لوبين" في خشونة :

- إنني لم أقتله .. وفي الوقت الذي تزعجني فيه بهذه الأسئلة العقيمة سيكون القاتل الحقيقي قد تمكن من الفرار .

فتابع "نانتاس" الحديث كانما لم يستمع قول "لوبين" :

- اسمع .. إني لم اقل إنك ارتكبت جريمتك عبثا .. لابد أن يكون هناك دافع قوي .. كما أن من المحتمل أن يفقد الإنسان السيطرة على أعصابه فيقتل خصمه أثناء مشاحنة عنيفة دون أن يعي ما فعل .. لاسيما إذا كانت هذه المشاحنة بشأن امرأة . ! هذه المرأة ذات الثوب الأبيض والمعطف الأحمر . ! أليس كذلك؟ والمثل الفرنسي يقول : «فتش عن المرأة»

فهز "لوبين" كتفيه ، ولبث صامتا فاستطرد "نانتاس" :

- لاداعي للمراوغة . ! إنها لن تجديك ولن تنقذك .! لقد تلطفنا معك ولم نشأ أن ..

فقال "فيكتور" مقاطعا :

- إن التلطف لايجدي مع القتلة . أولى بنا أن نحرق أصابعه على لهيب الشموع حتى نحمله على الإفضاء بما لديه . !

ونهض "لوبين" واقفا وتحول إلى "فيكتور" وجعل يقيسه ببصره ثم قال :

- في وسعي أن أدق عنقك ولكنني لن أفعل حتى لا ألوث يدي فقال "نانتاس" :

- أطبق فمك يا "فيكتور" ودعنا نتحدث .. والآن لعلك قد فهمت ياعزيزي "جيرار" أنه لامهرب لك .. فاستمع إلى نصيحتي حتى تنقذ رأسك من يد الجلاد . ! من الحماقة أن تصر على الإنكار .. قل لي : لماذا

قتلت "باراتوف" ؟ بدافع الانتقام ؟ هيه ؟ ثم سـ قته حتى تلقي في روع البوليس أن السرقة هي الدافع ؟ اليس كذلك ؟ قل لي أين أوراق البنكنوت والوثائق والجواهر ؟ في أي مكان خبأتها ؟ هيا تكلم يا صديقي !

ولكن "لوبين" ظل على عناده وإصراره يأبى أن يعترف بشيء وقال :

- لافائدة من الإلحاح علي بالأسئلة . إني أعلم أنك شرطي بارع ولكن هذه البراعة لاتجدي ولاتؤدي إلى اية نتيجة إلا إذا ابديتها مع من ارتكب الجريمة فعلا .

فهز "نانتاس" كتفيه وقد أدركه اليأس وقال :

- إيه .. هذا شأنك ..! تنكر أو تعترف فإن الحقيقة لابد أن تظهر!

فقال "لوبين" :

- وظهورها يهمني . !

وبعد فترة من الوقت جاء قاضي التحقيق . وقال مخاطبا "نانتاس":

- ما وراءك ؟

- لاشيء . ! إنه يأبى أن يعترف أو يتكلم . !

فقال مسيو "ليسناي" مخاطبا "لوبين" :

- إذن فأنت مصرّ على الامتناع عن الإجابة يا مسيو "جيرار" ؟ ألا تريد أن تذكر لنا الكيفية التي أمضيت بها وقتك فيما بين الساعة الحادية عشرة والنصف والساعة الثانية بعد منتصف الليل؟

فقال "لوبين" في إصرار :

- إني أرفض أن أجيب . !

- حتى في وجود محاميك ؟

- نعم .. لن أتكلم حتى في حضرة محام . !

- وهل تدرك عاقبة هذا الإصرار ؟

- نعم .

- إذن لم يبق أمامي إلا أن أصدر أمراً باعتقالك . ؟

- فليكن . !

وبعد سكتة قصيرة تناول القاضي قلما ووقع أمراً بالقبض على "جيرار" .

وفي هذه اللحظة قرع الباب ودخل شرطي يحمل رسالة قدمها إلى مسيو "ليسناي" .

فض القاضي الرسالة وتلاها وقال مخاطبا الشرطي :

- وهل يريد هذا الشخص أن يقابلني الآن ؟

- نعم يا سيدي القاضي .

فقال "نانتاس" :

- اتحب أن انسحب ؟

- كلا ! . بل ابق يا "نانتاس" .

فقال "نانتاس":

- هل يذهب "فيكتور بـ"جيرار" إلى الغرفة الاخرى ؟

فهز القاضي راسه وقال :

- لاداعيَ لذلك .. فليبق .

ثم التفت إلى الشرطي وقال :

- فليدخل هذا الشخص .

وتحولت الأنظار إلى الباب .

ووثب "لوبين" واقفا وقد افلتت شفتاه صرخة حادة وبسط يديه كانما يريد أن يرد هذا الشخص عن الدخول .

اما هذا الشخص فلم يكن إلا "نيلي روز" . !

الفصل الثالث

بعد أن رجعت "نيلي روز" إلى مخدعها في الساعة السابعة صباحا وبعد أن كاشفتها أمها بالحقيقة انكفأت على فراشها وأخذت تبكي بكاء مريراً ملحا .

ثم غلبها النوم لشدة إعيائها . ولكنه كان نوما مضطربا حافلا بالأحلام المزعجة . وكم من مرة صرخت فزعة وهي غارقة في سباتها وقد سمعت باب غرفتها يدق أكثر من مرة غير انها أبت أن تجيب . لم تكن تريد أن ترى مخلوقا ! حتى ولأمها . ! ولم تكن تريد أن تتناول طعاما .. كانت تريد أن تخلو إلى نفسها ، وإلى خواطرها .!

ورويداً رويداً حاولت أن تسترد سكونها .. حاولت أن تجمع أفكارها وتنسق خواطرها وتتدبر أمرها .! إنها تذكر كل ما حدث في تلك الليلة. ليس في ذهنها فراغ على الإطلاق . ! كل شيء ماثل في ذاكرتها. وامام عينيها كانه جرى منذ دقائق . وتتابعت ساعات النهار وهي تلزم مخدعها تابى أن تغادره فلما انتصف اليوم لم تر بدا من الخروج.. إنها لاتستطيع أن تبقى في هذه الغرفة التي استقبلت في الليلة الماضية ذلك الرجل ..! لابد أن تبتعد عن هذا المكان ..! إن الذكرى قاسية لاتحتمل ..! وهي تريد أن تنسى ..! تريد أن ترى الحياة ..! بل تريد أن تقرأ الصحف لكي تفهم ..! لابد أن هناك جريمة ارتكبت .! فما معنى هذه الجريمة ..؟ ومن هو القتيل .. ؟ ومن هو القاتل .. ؟

وارتدت ثوبها وغادرت غرفتها في نحو الساعة الثالثة وكانت صحف مابعد الظهر قد ظهرت :

واقتربت "نيلي روز" من احد الأكشاك وأرسلت بصرها إلى الصحف المعلقة .

وأخذت عينيهاهذه العناوين مكتوبة بحروف كبيرة :

مصرع مسيو "باراتوف"

الذي تبرع بخمسة ملايين فرنك

لدار المعامل

واشترت "نيلي روز" إحدى الصحف وهي ترتعد .. ! وجرت بعينيها على المقال ..!

وكانت هناك فقرة أثارت انتباهها :

«وقد قبض البوليس على أحد أصدقاء مسيو "باراتوف" وهو شاب يدعى "جيرار" وقد نقل إلى فندق "نوفو بالاس" حيث يتولى مسيو "ليسناي" قاضي التحقيق إستجوابه .. ومن رأي البوليس أن التهمة ثابتة على هذا المتهم .»

وأخذتها الرعدة وهي تقرأ هذه الكلمات .. جمدت في مكانها لاتتحرك وقد انتهبتها الخواطر ..! ما العمل الآن ..؟

وفي ثورة مماطاف بذهنها استوقفت تاكسيا وامرت السائق بان يمضي بها إلى فندق "نوفو بالاس" .

وهناك عرفت أن التحقيق يدور في غرفة الروسي ، فصعدت إليها وتحدثت إلى أحد رجال الشرطة فطلب إليها أن تكتب كلمة على ورقة حملها إلى القاضي .. لقد طلبت إلي القاضي أن يسمح بدخولها لتفضي إليه باقوالها .. ولكن ماعساها تنوي أن تقول ..؟ إنها لم تكن تدري ..!

* * *

ودخلت "نيلي روز" .. وفزع "لوبين" إذ رآها .. لماذا جاءت .. ؟

وهب واقفا وهو ممتقع الوجه وهتف بها :

- كلا ..! كلا ..! سيدي القاضي .. ليس هناك سبب يدعو إلى وجود هذه الآنسة .. أرجوك أن تامرها بالانصراف .. إنني احتج على ماسوف تقول .. إني انكر مقدما ما ستدلي به .

فقال القاضي في خشونة :

- الزم الصمت وإلا أمرت بإخراجك .

ثم التفت إلى "نيلي روز" وقال :

- تفضلي بالجلوس يا آنسة .

غير أن "لوبين" أبى أن يلزم الصمت فراح يقول :

- إني أحتج ياسيدي القاضي .. هذه مناورة من البوليس أحتج عليها بكل شدة ..؟

- اية مناورة .. ؟ لقد جاءت الآنسة الآن ومن تلقاء نفسها ودون أن يدعوها احد .. وهذا كتابها إلي : «"نيلي روز ديتول" التي أرسل مسيو "باراتوف" إليها شيكا بخمسة الملايين فرنك داخل ظرف باسمها ترجو ان تاذن لها بمقابلتك .» فاين هي هذه المناورة يا مسيو "جيرار" .. ؟

فقال "لوبين" دون أن يتراجع :

- لكن ليس لهذا اية علاقة بالجريمة .. إن الآنسة تحشر نفسها فيما لاشان لها به .. إني لاأعرف هذه الآنسة ..

وتحول القاضي نحو الفتاة وقال :

- الاتعرفين هذا السيد يا آنسة ..

فاجابت في هدوء :

- بل اعرفه ياسيدي القاضي .

- وهو .. هل يعرفك ..؟

- إنه يعرفني .. ؟

فالتفت القاضي إلى "لوبين" وقال :

- ارايت يا سيدي .. إن الوقائع الثابتة قد هدمت اقوالك مرة اخرى.. ؟

ثم قال مخاطبا "نيلي روز" :

- اجلسي يا آنسة ، وكاشفيني بما جئت من أجله . !

ولم ير "لوبين" بدأ من الإذعان ، فارتد إلى مقعده وعقد ذراعيه على صدره واصاخ السمع .

وكانت "نيلي روز" ممتقعة الوجه ، كانت تشعر بالخجل ، لم تكن تجهل أن اعترافها ينطوي على عار يلصق بها ، ولكن لامفر من الاعتراف . وتكلمت والحياء يكاد يخنقها قائلة :

- سيدي القاضي . ! من منتصف الليل إلى الساعة السابعة صباحا لم افارق هذا السيد لحظة واحدة . !

واشارت إلى "لوبين" دون أن ترفع بصرها عن الأرض .

وادهش قولها القاضي والمفتش "نانتاس" ..

وبعد سكتة قصيرة قال مسيو "ليسناي" :

- هل لك يا آنسة أن تزيديني إيضاحا ؟ كيف عرفت هذا السيد؟

- أيجب أن أوجز في إجاباتي يا سيدي القاضي ؟
- كلا .. ابسطي الأمر بإسهاب تام .. حدثيني بالتفاصيل .
واستهلت "نيلي روز" حديثها بقولها :
- هذه هي الحكاية يا سيدي القاضي .. منذ بضعة اسابيع عقد مجلس إدارة دار المعامل اجتماعا وقد خطبت فيه بصفتي سكرتيرة الدار واقترحت إجراء يا نصيب يخصص دخله لمساعدة الدار على القيام بابحاثها العلمية الجليلة الشان ، وقلت أثناء خطبتي إن على كل إنسان أن يتبرع للدار باي شيء وبكل شيء ، على أن تمنح هذه التبرعات العينية لاصحاب الجوائز ، وقد سئلت إذ ذاك عما انوي ان أتبرع به أنا نفسي فقلت في لحظة من لحظات الحماسة إنني على استعداد لأن أعطي أي شيء يطلب مني . ! وقد نطقت بهذه العبارة دون أن أدرك المرامي الخفية التي تنطوي عليها الكلمات ، ولي صديقة بولونية تراسل إحدى المجلات في بلادها ، فحملت كلامي على محمل الجد وأرسلت كلمة إلى مجلتها «فرنسا في بولندا» بهذا المعنى وارفقت بها ثلاث صور ، وذكرت رقماً معينا .. خمسة ملايين فرنك .. وقد عرفت هذا فيما بعد .. وقرأ الروسي "إيفان باراتوف" هذا المقال فكتب إلي من بولونيا .. طلب مني أن أستقبله في مخدعي على انفراد من نصف الليل إلى الساعة السابعة صباحا ، وأرفق بخطابه شيكا بخمسة الملايين ، واشترط إذا صرفت الشيك أن يعتبر هذا قبولا مني لرجائه .

وصمتت "نيلي روز" برهة ثم استرسلت تقول :
- وبسبب غلطة غير مقصودة صرف مدير الدار الشيك وبذلك أصبحت - على غير إرادة مني - مرتبطة بهذا التعهد .. لابد ان أمضي مع مسيو "باراتوف" سبع ساعات من نصف الليل حتى الصباح وقد علمت بالأمس أن مسيو "باراتوف" وصل باريس فاردت أن أقابله لاتحدث إليه في الأمر حديثا لحمته الصراحة ، فاتصلت بغرفته تليفونيا لأخطره باني ساحضر لمقابلته في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي .. ولكني علمت انه غير موجود في الفندق . وقد أجاب ندائي التليفوني صديق له كان في انتظاره في غرفته ، فرجوته

ان ينقل إليه رسالتي . وفي الساعة التاسعة من مساء الأمس تسلمت رسالة من مسيو "باراتوف" يقتضيني فيها تنفيذ تعهدي بأن استقبله في مخدعي من نصف الليل حتى الصباح .. وقد فزعت واضطربت .. لم يكن في وسعي أن انفذ هذا التعهد الذي ارتبطت به على غير إرادة مني . وفي الوقت ذاته لم اشأ أن ابدو في عيني الرجل على صورة فتاة أفاقة تعهدت لكي تسلبه لدار المعامل خمسة ملايين ثم أخلت بعهدها .. ولقد حاولت امي واصدقاؤها أن يثنوني عن البر بكلمتي وحبسوني في غرفة في مكان بعيد ، ولكني هربت منهم لكي أوفي بعهدي ..

وكان الحاضرون يصغون إلى الفتاة في اهتمام شديد

وبعد سكتة قصيرة استرسلت تقول :

- وبالامس ايضا ظهر في غمار حياتي شخص جديد .. هذا السيد (وأومات إلى "لوبين") . وقف ينتظرني على الافريز على مقربة من دار المعامل دون أن أكون على علم بوجوده ! واصطدمت سيارتي بتاكسي فتدخل في الأمر وانقذني من تهجم السائق ثم تعقبني إلى الجراج الذي أودع فيه سيارتي . وبعد ظهر الأمس كانت أمي قد اقامت حفل استقبال في الدار فاباح لنفسه أن يغشى الحفلة وهو ليس من المدعوين . وقدم إلي نفسه وراقصني . وفي المساء ..

فقال القاضي متلهفا :

- وفي المساء ..؟

- في المساء هربت من الغرفة التي حبستني فيها اهلي وعدت إلى غرفتي وقد عولت على أن استقبل مسيو "باراتوف" برا بعهدي .. وعندما انتصف الليل دق جرس الباب . فإذا بي وجها لوجه أمام هذا السيد . وانبأني انه يدعى "إيفان باراتوف" ولكنه عقب على ذلك بأنه اسم مستعار وانه فرنسي الجنسية ويدعى "جيزار" وقد ذكر لي ايضا انه رأى صورتي في المجلة ففتنته وأراد أن يتعرف بي ويراني فانتظرني عند باب المعمل وحضر حفل الاستقبال حتى لا يكون غريبا عني إذا ما حضر إلى مخدعي عند منتصف الليل . ولما ادرك أن وجوده في مخدعي في مثل هذه الساعة من الليل ينطوي على خدش لسمعتي اشار عليّ في شهامة ونبل بأن اخرج معه . وقد قبلت ذلك في ارتياح

تام فذهبنا إلى مرقص روسي .

فقال القاضي :

- إذن فانت السيدة ذات الثوب الأبيض والمعطف الأحمر ؟

- نعم .. أنا تلك السيدة .. وهناك سقاني بضع كؤوس من الشراب وهو يعلم أنه يدير رأسي .. ثم دعاني إلى مراقصته .. واستطاع بكلماته الحلوة المنمقة المعسولة أن يدفع بي رويدا رويدا إلى الغاية التي ينشدها .. وحين أدرك إني أصبحت مسلوبة الإرادة حين أدرك انه لم يعد لي سلطان على نفسي ولاقدرة على المقاومة .. اغتنم فرصة تهجم بعض السكارى علي فحملني على ذراعيه ومضى بي إلى مخدعه !

وأمسكت "نيلي روز" عن الحديث .. وغض "لوبين" من بصره أمام هذه الإفشاءات الصريحة الجريئة عن حوادث الليلة المعهودة .

وقطب القاضي جبينه وقال في صوت جاف :

- وهذه المهزلة لا يقدم عليها إلا رجل ارتكب في الغالب جريمة قتل.

وارتعدت "نيلي روز" وقالت في صوت متهدج :

- ارتكب جريمة قتل . !

- نعم يا آنسة .. فإن جميع القرائن تشير إلى أن

فقالت "نيلي روز" مقاطعة :

- إني أعرف .. إني أعرف .. لقد قرأت الصحف .. ومن أجل هذا حضرت إليه .. ! إن

وسكتت فقال مسيو "ليسناي" :

- تكلمي ..

- سيدي القاضي .. عندما جئت إليك لم أكن أدري على وجه التحقيق الأسباب التي حفزتني إلى الحضور .. لقد انسقت مع شعور مفاجئ لا أدري له كنها .. أما الآن فقد تبينت السبب الذي دفعني إلى المجيء .. لقد جئت يا سيدي القاضي لأحتج من كل قلبي على توجيه هذه التهمة الشنيعة إلى هذا السيد .! جئت لأعلن بأعلى صوتي أن هذا الرجل بريء .!

وبدت الدهشة على وجه القاضي ومفتش البوليس

وقال مسيو "ليسناي" :

- إني لااتهم يا آنسة .

فقالت "نيلي روز" في يقين :

– إنه لم يقتل "باراتوف" . ! إنني واثقة من هذا . ! فمهما كان الرجل قوي الأعصا ب . مهما كان صلب الإرادة مهما كانت له السيطرة على أعصابه وإرادته . فهو لايستطيع أن يمضي الساعات التي أعقبت الجريمة في تدبير مؤامرة غرامية يحاول بها ان يسعى إلى اقتناص فتاة عنيدة ! لم يخلق الله بعد رجلا أوتي مثل هذه الجراة . ومثل هذا الثبات . أيقتل ثم يمضي ويداه لاتزالان ملوثتين بالدم إلى فتاة يشتهيها ويحوك خيوط هذه المؤامرة ؟ كلا أيها السادة . ! ليس في الدنيا مخلوق له من رباطة الجاش ما يمكنه من هذا . ! لقد كان هو معي طيلة الليل مثالا للرجل الذي ركز جهوده كلها في الإغواء والإغراء.! لم اره يشرد إلا مرتين اثنتين . وكان شروداً خاطفا لم يستمر إلا ثواني قليلة . ولكنه ظل دائما يقظ الذهن حاضر البديهة . ينسج حولي شباكه في لباقة ودهاء .فهل يكون على هذه الحال إذا كان قد ارتكب جريمة قتل منذ ساعة أو ساعتين .؟

فقال القاضي في لهجة ذات مغزى :

– وهل جئت تدافعين عن هذا المغوي وتحاولين أن تبرري تصرفه.. ؟

– لست ابرر تصرفه وسلوكه معي . فهو لكي يصل إلى إغوائي انتحل شخصية اخرى .. لكي يوقعني تحت سلطانه وسيطرته اخذ يلعب بعواطفي .. بالدهاء بعث الخوف في نفسي .. ثم أخذ يهدئ من مخاوفي فبعث الثقة في قلبي .. من الخوف إلى الثقة .. من الريبة إلى الاطمئنان ، لقد تسلط عليّ وعرف كيف يفقدني الجلد والشجاعة .. ثم سقاني شراباً افقدني رشدي .. لقد استطاع أن يجعل مني ما يشاء ..! وهانذا اكرر عليك القول يا سيدي القاضي بأن من المستحيل إذا كان هو المجرم أن يسلك هذا السبيل المنطوي على المكر والدهاء مهما بلغ من تسلط على أعصابه .. المجرم لن يفكر في أن يكرس وقته لإغواء فتاة ونصب الشراك لها. المجرم لن يفكر إلا في تدبير وسائل الفرار . ! أو على الأقل اتخاذ الحيطة لدرء الشبهات عنه في خلال الساعات التي تعقب الجريمة ..! لو انه هو القاتل لما جاء إليّ يقول : «انا إيفان باراتوف) عقب قتله بربع الساعة ..! كلا يا سيدي القاضي .! إن

"جيرار" لايمكن ان يكون القاتل مهما ادانته القرائن ..!

- حتى ولو عرفت ان مشاحنة عنيفة وقعت بينه وبين "باراتوف"؟

- حتى على الرغم من ذلك . وإني أعتقد ان هذه المشاحنة إنما وقعت بسببي .

فالتفت القاضي إلى "لوبين" وقال :

- أصحيح هذا يا مسيو "جيرار" ؟

- نعم .

فقال مسيو "ليسناي" :

- ومع ذلك فهذا لايمنع من ارتكابه جريمة القتل .

فصاحت "نيلي روز" :

- كلا .. إنه لم يقتل . ! لو انه قتل لما جاء يزورني كما فعل .. ! فكر في الأمر يا سيدي القاضي . !

- قلت يا آنسة إنه جاء إليك عند منتصف الليل فهل انت موقنة من هذا . ؟

- كل اليقين .. فقد كنت أرقب مرور الدقائق في جزع .

ولم تكن هناك ريبة في ان الفتاة تتكلم في إخلاص وإيمان . وكان القاضي ميالا إلى الأخذ بنظريتها ، ولكن ما هو راي "نانتاس" يا ترى؟

كان "نانتاس" منزويا في احد الأركان ينصت دون ان يفتح فمه بكلمة واحدة ..

وقال القاضي :

- وفي اية ساعة تركت مسيو "جيرار" . !

- في الساعة السادسة والنصف صباحا ولكن ..

وامسكت عن الكلام .

- ولكن ؟

وكان وجهها ممتقعا وعيناها مرسلتين إلى الأرض . وبعد لحظات قالت :

- لقد كاشفتك ياسيدي القاضي بكل ما اعرف . ولست أعلم شيئا أكثر مما قلت .. لقد صارحتك رايي فلك ان تتصرف في الأمر بما ترى..

ولكن مسيو "ليسناي" ما كان ليؤخذ بمثل هذه السهولة .. لقد ادرك أن في نفسها كلاما تحاول ان تكتمه فقال في إلحاح :

- يجب ان تتكلمي يا آنسة .. قد تكتمين شيئا تعتقدين ان لا فائدة

من الإدلاء به .. وهذا خطأ .. لأن العدالة قد تستفيد من أتفه الأمور .. لقد أمضى هذا الرجل معك .. في مخدعه ساعتين أو ثلاثا عقب انصرافكما من المرقص الروسي .. أمضى هذه الساعات معك بين جدران أربعة فيجب أن نعلم ..

وأخذت الفتاة فجاة تبكي في هدوء، وقالت :

- أرجو ألا تلح عليّ بالسؤال .! إنك ستضطرني أن أكشف لك عن عاري .. ستطرني إلى أن أفضح نفسي أمامك . !

وقال "لوبين" متوسلا :

- لاتتكلمي يا آنسة .. ؟ لا تجيبي عن هذا السؤال .

ورفعت الفتاة رأسها وقالت :

- أليس فيما أفضيت به حتى الآن ما يساعدك على أن تقطع برأي في الأمر . ؟

- كل ما أفضيت به لايخرج عن كونه مجرد إحساسات وظنون.. مجرد أدلة أخلاقية ونفسية .. فلابد أن تكاشفيني بكل مالديك .

فتنهدت الفتاة وقالت :

- أصبت ..! يجب أن أمضي في اعترافي حتى النهاية .. يجب أن أتكلم حتى ولو فضحت نفسي وألصقت العار باسمي .. ! وأرجو يا سيدي القاضي أن تلتمس لي عذرا عن ترددي فإن هناك أشياء قاسية لايقوى المرء على الحديث عنها بسهولة

وصمتت برهة ثم قالت :

- ساكاشفك بكل شيء .. وأمامه . بالأمس قد رأيت هذا الرجل لأول مرة عند باب المعمل . منذ راقصني في حفل الاستقبال . منذ اللحظات الأولى شعرت بأن له تأثيرا عجيبا في نفسي فكان يهزني ويلعب بعواطفي .. نظراته نفاذة توقظ الشعور ولا يقوى الإنسان على احتمالها طويلا .. بسببها اعترتني هزات عنيفة . فلما جاء الليل ومضى بي إلى المرقص الروسي كنت إذ ذاك قد أصبحت فريسة سهلة.. كان قد استطاع أن يقهر نفسي ويخدر إرادتي . ! ثم حملني إلى مخدعه . ! وفي هذه اللحظة كنت مسلوبة الإرادة .. كنت تحت رحمته.! كان في وسعه أن يفعل بي ما يشاء .. دون أن أعارضه .. بل

بموافقتي ورضاي .. نعم إني خجلة من هذا الاعتراف يا سيدي القاضي ولكن تلك هي الحقيقة نعم كنت راضية موافقة على كل شيء.. وكان يعرف ذلك .. كان يعرف أني تمنيت في هذه اللحظات قربه.. تمنيت أن يغمرني بقبلاته .. وفي الوقت الذي رجوته فيه أن يحترمني ويبتعد عني كنت كأني أتوسل إليه أن يقربني ويقبلني . ! كانت نظراتي .. وإشاراتي .. ناطقة بضعفي ورغبتي نعم لقد انهزمت يا سيدي القاضي . وأصبحت رهن إشارة منه . وكان هو يعلم ذلك حق العلم . ولكنه لم يقربني . ! لم يحاول أن يقبلني ويضمني إلى صدره.! لقد خلق الموقف ودبره ولكنه لم يحاول أن يستغله ويستفيد منه .! كنت راقدة على الأريكة : عيناي تتوسلان إلى عينيه : وجسمي ينادي جسمه .! ولكنه أبي .. تباعد عني . نظر إلي طويلا . ورأيت ملامحه تتغير . ورأيت في عينيه معنى غير الذي كان فيهما منذ لحظات . وفجأة رأيته يبتعد يا سيدي القاضي . ابتعد عني . ابقى علي وما كنت أريد في اللحظة أن ابقي على نفسي . ودون أن يلقي إلي نظرة أخرى جلس على مقعد وأسند مرفقه إلى المنضدة واعتمد رأسه على كتفه .!

ولبثت أنظر إليه وأنا راقدة على الأريكة ثم غلبني النوم . وبعد ساعة أو أكثر استيقظت فرأيته مازال جالسا على مقعده معتمدا رأسه على كفه غارقا في النوم . وهذا النوم يا سيدي القاضي . نومه ونومي . جعلنا أشبه بالأطفال على رغم ما فعلت وعلى الرغم ما فعل .! زايلت الأريكة في هدوء وخرجت من الغرفة دون أن أوقظه . هذه هي الحقيقة يا سيدي القاضي . فعلى الرغم من مناوراته ومؤامراته لا أستطيع أن أنسى أنه احترمني .! نعم . محال أن أنسى أنه احترمني ولم يلوث شرفي .!

وسكتت الفتاة وقال القاضي بعد صمت قصير :

- أهذا كل شيء يا آنسة ..؟ أليست لديك أقوال أخرى

- كلا ياسيدي القاضي ..

هذا هو اعترافي الكامل .!

تكلمت حتى .. فضحت نفسي لأتيح لك أن تكون رأيا عادلا في القضية .

وتحول ليسنثاي نحو لوبين وقال :

- أليست لديك يا مسيو "جيرار" أقوال ترد بها على الآنسة ..؟
- ليس لدي إلا أن أقسم بشرفي على أنني لن أحاول بعد إطلاق سراحي أن أراها وأقابلها .
وأرسل بصره إلى الفتاة ولكنها كانت مشيحة بوجهها فاسترسل يقول :
- وثمة مسألة أخرى .. إني أرجو يا سيدي القاضي أن تكتم أقوال الآنسة فلا تذيعها درءاً للشبهات عنها .. سينكشف عاجلا أمر القاتل الحقيقي فليس من الإنصاف أن تمرغ سمعة الآنسة في الأوحال .
وقال القاضي مخاطبا الفتاة :
- يمكنك أن تنصرفي يا آنسة .
ولكن "لوبين" استبقاها بقوله :
- هناك كلمة أخرى أحب أن أفضي بها قبل انصراف الآنسة "ديتول" .. لقد كدت أنسى يا سيدي القاضي شيئا له خطورته .. أثناء رحلتي الأخيرة إلى روسيا كنت أبحث عن أوراق تخص مدام "ديتول" وابنتها ..
- أية أوراق ..؟
- أسهم ووثائق .. أسهم ملكية بعض ينابيع البترول في رومانيا .. وقد عثرت على إيصال يمثل مبلغا جسيما .
- كم المبلغ ..؟
- لست أدري على وجه التحقيق .. عشرة ملايين .. عشرون .. بل ربما أكثر من ذلك .
- إنه مبلغ جسيم حقا .
وهنا تدخل مسيو "نانتاس" قائلا :
- اسمح لي يا سيدي أن أوجه إليه سؤالا .. في أي شيء كانت هذه الأوراق مودعة ..؟
فقال "لوبين" مجيبا :
- في ملف صغير للجيب .
- في ملف للجيب ..! هذا ما توقعت ..! ومع ذلك أبيت أن تجيبني بكلمة واحدة عندما سألت عن هذا الملف منذ ساعة ..! ألا ما أشد عنادك..!
- لم أشأ أن أتكلم عن هذه الأوراق إلا في وجود الآنسة أو أمها ..

لأعيدها إليهما . ولقد أخذ مني "باراتوف" هذه الوثائق. وتوقعت ان في نيته الاستيلاء عليها أو على جزء منها على الاقل فسالته في الامر ليلة مصرعه فكان هذا سببا في الخلاف الذي شجر بيننا . وقد انتزعت منه الأوراق قسرا عنه في أثناء هذه المشاحنة .

- أكانت هذه الوثائق هي السبب الوحيد لهذا الشجار ..؟

- لا .. بل كان هناك سبب أخر .

- أكان عزمك على أن تمنع "باراتوف" من زيارة الآنسة ..؟

- نعم .

- وكان في نيتك أن تحل مكانه ..؟

- كلا .. في هذه اللحظة لم يطف هذا الخاطر في ذهني .. عندما استوليت على الوثائق أخذت أسائل نفسي عن الوسيلة التي أتمكن بها من مقابلة مدام "ديتول" لأعيد إليها الأوراق . وإذ ذاك فقط خطر لي أن أحل محل "باراتوف" كما انباني هو نفسه بذلك.

- إذن فلماذا لم تعطها الوثائق وانت في دارها ..؟

- لم أعطها الوثائق بدافع من الاحترام لها .

- ماذا تعني ..؟

- لقد تقدمت إليها منتحلا اسم "باراتوف" .. الرجل الذي تبرع لدار المعامل بخمسة ملايين فرنك تحت الشروط التي تعرفونها .. فإذا انا أعطيتها الوثائق التي ستاتيها ببضع عشرات من الملايين فمعنى ذلك أني أريد أن أوقعها تحت سلطاتي عن طريق المال .. أريد ان اشتريها كما تشترى السلع .. فرايت احتراما لها وإبقاء على كرامتها ألا أعطيها الوثائق إذ ذاك .

فقال القاضي :

- إن لك ضميرا حيا ..! وإن كنت لا افهم كيف حاولت بعد ذلك إغواءها ..؟

- هذه مسالة أخرى يا سيدي القاضي .. اردت أن اغويها بحديثي وتوددي وإثارتي عواطفها . ولكنني كرهت أن أشتريها بمالي كالسلع . وهذا الضمير الحي نفسه الذي منعني من الاقتراب منها عندما كانت في مخدعي في البنسيون الروسي .. كانت طريحة على الأريكة منهوكة القوى .. مستسلمة .. راضخة .. فكيف اقربها وهي لن تستجيب إلى قبلاتي .؟ كانت إذ ذاك أشبه بالطفلة المتعبة ... وهذا لا يرضيني ..

إنني اريد امرأة تجيبُ على قبلاتي بقبلات اخرى . أريد المرأة لها إرادة تخضع لإرادتي وتلبي رغباتها .. لا امرأة لا إرادة لها على الإطلاق ..! كانت قد اطمأنت إليّ ووثقت بي فكيف أفسد ثقتها واستغلها مآربي الشخصية ..؟ لقد كانت في نظري مقدسة لا يجوز لي أن أمسها أو أقربها .

- والوثائق .؟ اين هي . ؟

- أودعتها عند صاحب البنسيون الروسي .. وأمرته بأن يذهب بها بعد ثمانية ايام (إن لم أستردها منه قبل ذلك) إلى العنوان الذي كتبته على الغلاف . وسترى يا سيدي القاضي أنه عنوان الآنسة "ديتول" .

وتناول "لوبين" من محفظته بطاقة كتب عليها توقيعه وقدمها إلى القاضي وهو يقول :

- إذا أعطيت هذه البطاقة إلى صاحب البنسيون يسلمك الوثائق

والتفت القاضي إلى الآنسة "ديتول" وقال :

- يمكنك ان تنصرفي يا آنسة .

ومشت "نيلي روز" إلى الباب دون أن تلقي على "لوبين" حتى ولا نظرة واحدة .

* * *

وهناك على الإفريز تريثت برهة .. إلى أين تذهب ؟ إلى دارها .. كلا .. لو أنها ذهبت لأرهقتها أمها بمئات من الأسئلة .. وهي الآن ليست على استعداد لأن تجابه نظرات أمها الفاحصة أو نظرات "فالفيه" الحزينة . كلا .. إنها لن تذهب إلى دارها .. وإنما ستمضي إلى بنسيون تعرفه منذ عهد التلمذة فتقضي فيه أياماً .

وكتبت إلى أمها رسالة في هذا المعنى ختمتها بقولها :

وسأعود بعد ظهر يوم الاثنين وسأكاشفك بالحقيقة بحذافيرها . وأرجو أن أنبئك أيضاً بأن الدلائل تدل على أننا أصبحنا على أبواب الثراء ..

واستقلت "نيلي روز" سيارة طارت بها إلى هذا المنزل الذي تعرفه منذ عهد التلمذة .. وهناك نفضت عنها هموم الحياة وهبطت إلى الحديقة تجري فيها وتثب في أرجائها وتتسلق الأشجار .. كما كانت تفعل وهي تلميذة في عنفوان الصبا .

الفصل الرابع

عقب انصراف "نيلي روز" ساد الغرفة جو من الصمت وأخيرا تكلم المفتش "نانتاس" قائلا :

- كل هذا جميل .. ولكنه لا يعدو أن يكون مشاعر فتاة .. ولست أعني بهذا أن أقوالها تافهة من القيمة .. إنه لم يقتل .. ؟ هذا جميل .. وقد يبدو معقولا .. ولكنه لا يمنع انك ارتكبت جريمة القتل بلا سبق إصرار .. ثارت بينكما مشاحنة .. واثناء المشاحنة هجمت على "باراتوف" وقتلته .. دون أن تقصد

فقال "لوبين" :

- إني أكرر عليك القول مرة أخرى باني تركته حيا !! وفضلا عن ذلك فقد وجد جريحا .. وأنا لا احمل سلاحا .

- ومسدسك الذي شوهد في يدك في المرقص الروسي .. ؟ ومع ذلك فحدثنا يا صاح بنبا ما حدث

- حسنا .. قلت لكم إن "باراتوف" كان يحتفظ بالوثائق الخاصة بينابيع البترول .. وعندما جئت أزوره في الساعة الحادية عشرة الفيته مرتديا الاسموكنج متاهبا للخروج ، فاردت أن أحول دونه والذهاب إلى مقابلة "نيلي روز" . ثم اخذت الومه على احتفاظه بالوثائق ومحاولته الاستيلاء على ثروة مدام "ديتول" وابنتها . وقد تحرش بي واثار أعصابي فاشتبكنا في عراك ولكمته لكمة القته على الأرض صريعا فاوثقت قياده وشددته إلى قائمة السرير .. ثم انتزعت ملف الوثائق من جيبه .. وغادرت الغرفة وأنا مطمئن إلى انه لن يذهب إلى الموعد المتفق عليه مادام مشدودا إلى القائمة موثقا . وإذا ما تخلف في تلك الليلة أضحت "نيلي روز" في حل من البر بعهدها .. وقبل خروجي استفاق "باراتوف" من غشيته ونظر إلي نظرة تنطوي على الحقد والبغضاء .. وعقب خروجي بقليل خطر لي أن أستفيد من الموقف فذهبت إلى لقاء الآنسة متنحلا شخصية "باراتوف" ..

فقال مسيو "ليستاني" :

- الم تسلب "باراتوف" شيئا آخر عدا الوثائق ؟

- اقسم لك يا سيدي القاضي اني لم آخذ منه إلا الوثائق . وما دمتم تقولون إن نقوده وجواهره سرقت فمعنى ذلك ان السارق هو الرجل الذي قتله .

وهنا تدخل "نانتاس" قائلا :

- إذا كان هذا صحيحا فيجب ان تدرك أنك هونت مهمة القاتل بشدك "باراتوف" إلى قائمة السرير وجعله عاجزا عن الدفاع عن نفسه .

فقال "لوبين" في الم :

- وهذه هي الفكرة التي تزعجني .! إني ما فتئت اقول لنفسي إنني كنت شريكا للقاتل ولو على غير قصد مني .

وتحول "لوبين" إلى القاضي :

- سيدي القاضي .. إني بريء . وإني أقسم على ذلك . واعتقد انك تؤمن ببراءتي . ولكن لابد لكي يؤمن الناس جميعا بهذه البراءة من ظهور المجرم الحقيقي .

فانبرى "نانتاس" يقول :

- هذا كلام طيب . ولكن كيف السبيل إلى المجرم الحقيقي . ؟ فكر معي .

فهز "لوبين" كتفيه وقال :

- إن اعتقال المجرم الحقيقي ليس من شاني يا سيدي .! هذه مهمة موكولة إلى ابرع شرطي في فرنسا مسيو "نانتاس" . وإني موقن انه سيحققها على الوجه الأكمل . فارجو أن تبادر إلى العمل يا سيدي .

فقال "نانتاس" مزهوا وهو يمد يده إلى مصافحة "لوبين" :

- ساعمل فكن مطمئنا . ودعنا نتصافى . ومما يؤسف له اننا اضعنا وقتا أتاح للقاتل الحقيقي فرصة للفرار . والآن فلنحاول أن نلخص الموقف . انت متهم بالجريمة .. لماذا ؟ بسبب مشاحنتك مع "باراتوف" ولكنك أوضحت الأمر بما فيه الكفاية . أردت أن تمنعه من مقابلة الآنسة فمنعته .. وأردت أن تسترد الوثائق فاستردتها فلماذا تقتله إذن ؟ لا داعي للقتل بالتاكيد .. تبقى بعد ذلك أوراق البنكنوت والجواهر .!

- فتش غرفتي . إذا شئت .

- فتشناها فلم نجد فيها شيئا . وبذلك تكون هذه المسألة أيضا قد انتهت بالنسبة لك . ولكن هناك الدليل المهم .. في الفترة بين خروجك من غرفة "باراتوف" وبين العثور على جثته لم يدخل غرفته أحد .

- من الذي قال هذا يا سيدي المفتش ؟

- الخادم المراقب "مانويل" .

فقال "لوبين" :

- ربما كان مخدوعا .. ولكن من يدري .. ربما كان كاذبا ! ربما كذب عن عمد .!

فهتف "نانتاس" :

- ربما كذب عن عمد ؟ آه يا إلهي .! لماذا لم تخطر هذه الفكرة ببالي من قبل ! نعم .. ربما كذب عن عمد .! أصبت يا مسيو "جيرار" أصبت.. ولماذا يكذب عن عمد .؟ لماذا يحاول أن يلصق التهمة بشخص بريء مثلك .؟ لابد أن له مصلحة في ذلك .! ربما كان هو القاتل ؟ سمعك تتشاحن مع "باراتوف" فاغتنم هذه الفرصة وقتله عقب انصرافك وسرق أمواله وجواهره وهو يعلم أن الشبهات ستتجه إليك أنت دون سواك بسبب المشاحنة .

فقال القاضي :

- مما يؤسف له انك لم تراقب هذا الخادم "مانويل" ؟

فقال "نانتاس" باسما :

- لم أراقبه . لقد علمتني التجارب أن أراقب كل من له صلة بالقضية التي أحققها سواء كان متهما أو شاهدا إذ طالما انقلب الشاهد متهما والمتهم شاهدا . وقد امرت بمراقبة "مانويل" ابتداء من الساعة العاشرة من صباح اليوم . لقد أخطأت يا سيدي القاضي في الخطة التي اتبعتها في التحقيق .. اتهمت البريء ووثقت بالمجرم وعولت على شهادته ولكني ساتلافى الخطأ .

وبعد سكتة قصيرة عاد يقول :

- ولكني في حاجة إلى زميل يساعدني يا سيدي القاضي .. زميل مخلص حاد الذكاء ، موفور الدهاء .

- انتق من شئت من رجال البوليس .
- لا أريد أحدا من رجال البوليس .
- من تريد إذن .؟
- مسيو "جيرار" .! أنت مقتنع ببراءته ، وأنا أيضا مقتنع ببراءته فمر بالإفراج عنه يا سيدي القاضي . فإني لن أجد زميلا أصلح منه .

* * *

ومنذ هذه اللحظة اشترك "لوبين" و "نانتاس" في البحث معا ومحاولة إماطة اللثام عن سر هذه الجريمة .! كان "نانتاس" قد أمر رجاله بمراقبة "مانويل" ، ولكن "مانويل" لم يكن بالمجرم الساذج .. لقد شعر بهذه المراقبة واستطاع أن يضلل مطارديه وفر هاربا .

ومرت ثلاثة أيام ورجال الشرطة يبحثون عنه .. أين ذهب .؟ وفي أي مكان اختبأ .؟ وماذا فعل بما سرق .؟ أسئلة لا جواب لها .

وقال "نانتاس" مخاطبا "لوبين" :

- اسمع يا عزيزي "جيرار" .. الأمر المؤكد هو أن "مانويل" ما كان ليهرب إلا لأنه القاتل . أو لأن له صلة بالجريمة على الأقل .. والأمر الثاني أننا عرفنا من التحريات التي قمنا بها أنه أحد أفراد عصابة كبيرة وأن هذه السرقة ليست أول سرقة أقدم عليها في هذا الفندق ، وقد عرفنا أيضا أن أحد أفراد العصابة التي ينتمي إليها "مانويل" يقيم في شارع "بوكير" ، وأنه قد باع أخيرا بعض الجواهر الروسية ، وقد استصدرت أمراً بالقبض عليه ، وفي الساعة السادسة مساء سنقتحم غرفته ، وسنظفر به .. وما يدرينا أنه ..

- ماذا ؟

- إن هذا الرجل هو "مانويل" نفسه .. فإن المعلومات التي لدي عن شخصية هذا اللص ليست دقيقة ، قد يكون "مانويل" وقد يكون سواه.. والآن إلى اللقاء في الساعة السادسة مساء .

وما كاد "نانتاس" ينصرف حتى لمح "لوبين" من نافذة غرفته رجلا يتسلل إلى الطريق من الفندق من سلم الخدم ، وكانت لهذا الرجل هيئة "مانويل" القاتل الهارب .. وكان يحمل حقيبتين .

وقال "لوبين" في نفسه : لابد من التعجيل وإلا أفلتت الفرصة ..

ونزل من السلم يجري ، وانتهى إلى الطريق في اللحظة التي صعد فيها "مانويل" إلى إحدى سيارات التاكسي أمرا السائق بان يسرع به إلى محطة الشمال .

وقبل أن تتحرك السيارة كان "لوبين" قد فتح بابها ووثب إلى الداخل وانقض على "مانويل" فامسك بذراعه بيد قدت من الفولاذ ولواها إلى الخلف .

حاول "مانويل" أن يتملص من هذه القبضة الفولاذية ، ولكن "لوبين" انذره في صوت صارم :

- إذا قاومت كسرت ذراعك .

واشتد ضغطه على الذراع .. ورضخ "مانويل" وهو يصرخ ألما . وقال "لوبين" للسائق :

- اذهب بنا إلى إدارة البوليس .

وبعد ربع الساعة كان "مانويل" ماثلا أمام المفتش "نانتاس" .

وقال "مانويل" يعترف :

- نعم .. انا القاتل .. كنت أعلم أن "باراتوف" يحمل معه مجموعة من الجواهر وقدرا كبيرا من المال ، وكنت أتحين الفرصة للإيقاع به ، فما رأيت هذا السيد (وأشار إلى "جيرار") يغادر الغرفة حتى دخلت وكنت أتوقع أن أجد "باراتوف" مستغرقا في النوم ، ولكني وجدته في غرفة الاستقبال موثق اليدين ، وكان منهمكا في تقطيع الوثاق المشدود إلى قدميه ، فما رآني حتى هب واقفا وقد ادرك غرضي وانقض علي فالقاني أرضا وكاد يسحقني بجسمه الضخم ، فما كان مني إلا أن استللت مديتي وطعنته بها ، ولما رأيته جثة هامدة سلبت أوراق البنكنوت والجواهر وحللت وثاق يديه حتى لا يبدو غريبا في نظر البوليس أن يوثق أولا ثم يقتل .. وكنت متأكدا من أن الشبهة لن تتطرق إلي وإنما إلى صديقه لأنهما تشاحنا .

- وأين كنت مختبئا . ؟

- في إحدى غرف الفندق الخالية في الطابق الأخير لعلمي بأنكم لن تبحثوا عني إلا خارج الفندق إذ ليس معقولا بعد أن أضللت من كان يراقبني أن أرجع ثانيا إلى الفندق .!

- يالك من داهية .

وتحول "نانتاس" إلى "لوبين" يقول :

- ولكن كيف عثرت عليه . ؟

وبينما كان "لوبين" ماضيا في جوابه اغتنم "مانويل" هذه الفرصة وأخرج مسدسه من جيبه وأطلق الرصاص على رأسه فخر صريعا .

وقال "نانتاس" بعد أن فحص الجثة وتأكد من موت "مانويل" :

- إن انتحاره سيؤدي إلى حفظ القضية . وبذلك لن يذكر اسمك علنا في معرض القضية . ولا اسم الآنسة "ديتول" أيضا .

ونهض "لوبين" واقفا فقال له "نانتاس" :

- إلى أين ..

- سأسافر إلى "نورماندي" لأرى أمي .

فمد "نانتاس" يده يصافحه وهو يقول :

- إنك داهية أريب .. وأمك يجب أن تكون فخورة بك .!

وانصرف "لوبين" و "نانتاس" يشيعه بنظرات الإعجاب .

* * *

برئت ساحة "أرسين لوبين" وانتفت عنه ظنون الريب . ولكنه بر بوعده فلم يحاول أن يسعى إلى مقابلة "نيلي روز" .

اكتفى بأن مر بميدان "تروكاديرو" وأرسل نظرة قريبة إلى نافذة الفتاة . وغمغم يودعها في أسى . وحسرات الحزن تمزق فؤاده .

وكان سعيداً بهذا الوداع . لأنه كان يحس بأنها في هذه اللحظة كانت تستمع إلى وداعه وتذكره وإن كانت بينهما جدران قائمة .

وبعد ساعتين كان القطار يطوي به الأرض صوب "نورماندي" . ذهب إلى لقاء أمه . تلك الأم التي لم يرها منذ كان في الرابعة من عمره . تلك الأم التي لم يكن يعرف لها مقراً ولا اسما . إلى أن عثر أخيراً على مستندات انكشفت معها الحقيقة .

طار به القطار إلى نورماندي" .

وفي القطار كان "لوبين" يفكر في أمه المحبوبة .

وكان يفكر أيضا .. وبنوع خاص .. في "نيلي روز" .!

الفصل الخامس

في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاثنين كانت مدام "ديتول" وصديقها "فالنيه" في مخدع "نيلي روز" يترقبان عودتها في لهفة وجزع.

وتنهدت الأم وقالت :

- "فالنيه" .! ليت شعري هل تعود "نيلي روز" كما ذكرت في رسالتها .. قالت إنها في حاجة إلى الوحدة .. في حاجة إلى أن تخلو بنفسها .. فما معنى ذلك .؟ هل هناك غاية خفية مبيتة ؟

فقال "فالنيه " الطيب القلب الذي كان لا يزال مقيما على حبه للفتاة راغبا في الزواج منها على الرغم من زلتها :

- ليس غريبا أن تنشد "نيلي روز" الوحدة بعد هذه الانفعالات القاسية التي هزت كيانها هزاً عنيفاً . إنها لا تلبث أن تحضر الآن فتستغفرك نادمة عما بدر منها . وتكاشفك بكل ما حدث كما وعدت في خطابها .

واسترسلت مدام "ديتول" تقول :

- إني أسائل نفسي في كثير من الأحيان عما إذا كان لغيبتها تفسير آخر ؟

- أي تفسير ؟

- ما يدرينا أن "نيلي روز" لحقت بهذا الوغد "جيرار" وأمضت معه هذه الأيام .!

فصاح "فالنيه" على الرغم منه :

- أمجنونة انت حتى يطوف هذا الخاطر بذهنك .!

فتنهدت الأم وقالت :

- نعم .. إني مجنونة .! لقد ارتبك ذهني يا "فالنيه" .! ولم أعد أفهم شيئا .. وما معنى قولها في خطابها إننا أصبحنا على أبواب الثراء ؟

- معناه جلي جدا .. لقد أرادت أن تقول إن عزمها صح على الزواج بي .. وبذلك نعيش معاً أسرة هانئة وأضع ثروتي تحت قدميها .. هذا

هو التفسير الوحيد ..

وأخذ يضرب على هذه النغمة ويقول إنه على استعداد لأن يصفح عنها وينسى هو زلتها .. وقالت مدام "ديتول" :

- اصبت يا "فالنيه" .. إنها تستحق الرحمة .. إنها طائشة سانجة فإذا كانت قد زلت فهي تستحق منك المغفرة . وستكون هذه الزلة درسا ينفعها مدى الحياة ويصونها من عبث الأشرار .

وأرسلت مدام "ديتول" بصرها إلى الساعة وقالت :

- لقد أوفت الساعة على الرابعة ..! ولم تحضر "نيلي روز" بعد..! إن قلبي يحدثني بشر مستطير ..! ليت شعري هل ..

وأمسكت عن الكلام .. دار مفتاح في ثقب القفل وانفتح الباب..! وعلى العتبة وقفت "نيلي روز" .

وهتفت مدام "ديتول" :

- آه .! ابنتي .. ابنتي ..! أهذا أنت ..؟

وتهالكت على المقعد لا تقوى على الحركة أو النهوض . أما "فالنيه" فراح يجيل في الفتاة عينين شاردتين .

وقالت "نيلي روز" :

- ماذا جرى ..؟ ما معنى هذا ..!

- هذا بسبب اختفائك ..!

- بسبب اختفائي ..! لقد كتبت إليكم رسالة واضحة جلية ..!

ودخلت إلى الغرفة باسمة منشرحة الصدر وهي تعجب لما بدا من أمها وصاحبها .

وقالت مدام "ديتول" بعد أن نفضت عنها اضطرابها :

- ابنتي ..! يجب أن تكاشفيني بالحقيقة ..! في هذه الأيام الثلاثة الماضية لم تذق عيناي طعما للنوم ..! أريد أن أعرف كل شيء ...!

حدثيني بما جرى بينك وبين هذا الوغد في تلك الليلة المشؤومة..! اعترفي بالحقيقة ..!

وأخذت "نيلي روز" تضحك وقالت :

- وما الداعي إلى هذا التفجع يا أماه ..!

فصاحت مدام "ديتول" في انفعال :

- ما الداعي إلى هذا التفجع .. ؟ ماذا دهاك يا ابنتي ..! ما الذي غير افكارك ونظرتك إلى الحياة بهذا الشكل ..؟ إنني لا اتفجع .. ولكني أم مسكينة قلقة ..! أم تحب ابنتها وتريد أن تصونها من الدمار تريد أن تصونها من الانزلاق إلى الهاوية .. كل الرجال انذال سفلة مخادعون..! تكلمي ! أقري بالحقيقة ..!

فضحكت "نيلي روز" مرة أخرى وقالت :

- ما هذا الكلام العجيب ..!؟ هاوية ، دمار ، انذال ..! هذا كلام لا افهم له معنى . ولكن مادمت تصرين يا أماه على أن تعرفي الحقيقة فاسمعي .. "جيرار" زراني عند منتصف الليل في مخدعي ودعاني إلى الخروج معه . فذهبنا إلى مرقص روسي ، ورقصنا ، وتناولنا الشراب، وحاول بعض السكارى من الروس التهجم علي ولكنه دافع عني في شجاعة وقهرهم وهو فرد وهم خمسة من العمالقة ..!

- وبعد ذلك ؟

- وبعد ذلك حملني بين ذراعيه ومضى بي .

- إلى أين ؟

- إلى مخدعه !

فصاحت مدام "ديتول" :

- مخدعه .! آه يا للنذل .! إذن فقد كنت في المخدع في الوقت الذي كنت فيه في الفناء ومسدسي في يدي .!

- لست أعلم عن هذا شيئا يا أماه .. ولكني أعلم انني كنت في مخدعه وانك مخطئة إذا كنت قد فكرت في قتله .

- وكم لبثت في مخدعه . ؟

- أكثر من ساعتين .!

- ساعتين .! آه يا إلهي .! وفي خلال هاتين الساعتين . ؟

فابتسمت "نيلي روز" وقالت :

- في خلال هاتين الساعتين . ! كنت نائمة ؟

- نائمة . ؟ ماذا تعنين بقولك نائمة ؟ كيف تكونين نائمة؟

- كما ينام الناس يا أماه ! أغمض عيني ولا أعود أشعر بشيء!

- وهو .؟ ما الذي كان يفعله في خلال هاتين الساعتين .!

- كان نائما مثلي !

- أتريدين أن تقولي إنه كان مستغرقا في النوم .؟

- نعم .. جلس على مقعد وأسند مرفقه إلى المنضدة واعتمد رأسه على كفه ونام .! نعم .. هذا القاتل .. هذا اللص .. هذا النذل .. هذا الوغد . كما وصفته كان في سلوكه معي من أشرف الرجال وأعظمهم شهامة .

- أصحيح هذا .؟ أتقسمين على أنه لم يحدث بينكما أي شيء؟

- أنك تعرفين يا أماه أني لم أعتد أن اكذب .

- هذا غريب .! كيف يفعل هذا وهو نذل قاتل .!

- قاتل .! أنسيت يا أماه أن البوليس قبض على القاتل الحقيقي؟ إن هذا الرجل هو أشرف الرجال . وما تشاحن مع "باراتوف" إلا لكي ينقذني منه .. أراد أن يمنعه من زيارتي .

- كيف يكون أشرف الرجال وقد انتحل شخصية سواه .؟

- هذه هي نقطة الضعف فيه . ولكن هذا لا يتنافى مع كونه شريفا نبيلا أمينا . !

- شريف أو غير شريف . المهم أنك لن تقابليه بعد الآن .

وستبرين بوعدك .

- أي وعد ؟

- وعدك إزاء "فالنيه" .. ألم تقولي في رسالتك إننا على أبواب الثراء. ومعنى هذا انك ستتزوجين ..

- "فالنيه" . ؟

- بالتاكيد .

فضحكت الفتاة وقالت :

- هناك طريقة أخرى للثراء غير الزواج من "فالنيه" .!

- اية طريقة ؟

- العثور على ثروتنا القديمة .!

وقصت عليها كيف عثر "جيرار" على الوثائق ، وكيف عهد بها إلى "باراتوف" فأراد هذا أن يغتال هذه الثروة فدب النزاع بين الرجلين ، واستولى "جيرار" على الأوراق وأعطاها للقاضي .

- وقد زرت الآن القاضي فاعاد إلي الوثائق .
واخرجتها من حقيبتها وقدمتها إلى أمها فقالت هذه :
- يا إلهي .! "جيرار" هو الذي فعل هذا ؟!
وحملت الأوراق ومضت إلى مخدعها لتقراها .
وقالت "نيلي روز" :
- مسكينة أمي .! الآن يمكن أن تعيش سعيدة .
وتحولت إلى "فالنيه" قائلة :
- إذن فقد كان خطابي غامضا مبهما .؟ هل اعتقدت يا "فالنيه" أني..
فقاطعها في صوت حزين قائلا :
- وداعا ! وداعا يا "نيلي روز" ..
- وداعا .. هل تنوي أن تسافر .. ؟
- ما الداعي إلى بقائي مادمت لا تحبينني .. اتذكرين انك قلت لي يوما إنك لست في حاجة إلى ثروتي ، وإن رجلا لا تعرفينه .. رجلا روائيا .. قد يحضر إليك يوما ومعه وثائق ينابيع البترول ..! ولقد تحققت المعجزة وجاءك بطلك الروائي .! فما دمت تحبينه ..
فقاطعته بقولها :
- أنا أحب "جيرار" .؟ كلا . إني لا احبه .! كيف احب رجلا لم أره إلا مرة واحدة .!
- ولكنك قابلته في ظروف لا تنسى ! ستخلف هذه المقابلة في نفسك ذكرى لا تنسى .! سيظل هذا الرجل دائما بطل احلامك وخيالاتك ، فلا داعي لبقائي بعد هذا .! وداعا يا "نيلي روز" .! لقد احببتك كثيراً .
- وداعا يا "فالنيه" .. ولكننا سنظل أصدقاء دائما .!
- ساحاول يا "نيلي روز" ..! وداعا .!

* * *

ولما خلت "نيلي روز" إلى نفسها قالت : احبه .! انا أحب "جيرار" .. يا للسخافة .! كيف أحب رجلا سلك معي هذا السلوك الشائن وحاول أن يغويني ويوقعني في شباكه .!
وبعد ايام عادت تقول لنفسها : ولكنه احترمني .. نعم .. احترمني

ولم يتعرض لي بسوء .. يجب أن اكتب إليه شاكرة .!

ومضت إلى البنسيون الروسي وقابلت صاحبه وقالت :

- إنك تذكرني بالتأكيد ..؟ لقد كنت مع مسيو "جيرار" ليلة المرقص .!

- نعم .. هذا صحيح .

- ما عنوان مسيو "جيرار" ؟

- لقد سافر إلى "نورماندي" ليزور أمه .

- في اية بلدة ؟

- "رانفيل" .

- شكراً لك .

ولم تكتب "نيلي روز" الخطاب الذي كانت تفكر فيه .

ومر أسبوع .. ثم أسبوعان .

وفي صبيحة أحد الأيام استقلت "نيلي روز" القطار وسافرت إلى بلدة "رانفيل" في "نورماندي" .

وقصدت إلى الكنيسة وقابلت القس وسالته :

- أين يقيم يا ابتاه شخص يدعى "جيرار" من أهل هذه البلدة .

- "جيرار رانفيل" . ؟

- نعم ..

- إنه يقيم مع أمه في قصرهما في شرق المدينة ، فوق الربوة.! لقد حضر منذ أيام .. فقد كان طيلة حياته محبا للرحلات .

- وما العمل الذي يزاوله ؟

- إنه غني واسع الثراء ، ولكنه آثر ان يشتغل في الحقول كاصغر فلاح .. هل تعرفينه ؟

- نعم .. إنه صديق لي .

- وأمه ؟

فهزت "نيلي روز" رأسها نفيا فقال القس :

- إن أمه قديسة .. إنها أشرف النساء .

وسارت "نيلي روز" إلى القصر .

ورات الباب مفتوحا فدخلت . وفي صدر البهو رأت صورة معلقة صورتها وهي في العاشرة من عمرها .

وخفق قلبها .
وحانت منها لفتة إلى الحقل المجاور للقصر ورأت "جيرار" .! كان منهمكا في العمل شأن الفلاحين .
وغادرت "نيلي روز" القصر وسارت إلى الحقل . واقتربت من "لوبين" وهو لا يراها .
وسمع وقع خطواتها فالتفت ورآها . وبسط إليها يديه وأخذ بكفيها وهو يقول :
- كنت أنتظر قدومك يا "نيلي روز" .! كنت أعرف أنك ستأتين.. ما أسعدني .!
وضغط يدها . وضغطت يده ولم يكونا في حاجة إلى الكلمات .
وقال "لوبين" :
- تعالي اقدمك إلى أمي .. ها هي ..
ورأت "نيلي روز" امرأة تخرج من مخزن للتبن .. وكانت عجوزا يغمر الشيب رأسها .. وكانت بوجهها هالة من النور .
وقال "لوبين" :
- هذه يا أماه "نيلي روز" .! "نيلي روز" التي حدثتك عنها .
- أهذه أنت يا ابنتي ما أجملك .!
وانحنت "نيلي روز" فوق يد الأم فقبلتها في خشوع .
وقال "لوبين" :
- أوشكت الشمس على المغيب فهيا بنا نتناول العشاء .. في الأرياف يأكل الفلاحون عند مغيب الشمس .!
وأخذ بيد أمه وبيد الفتاة ومضوا إلى قاعة الطعام .
ورأت "نيلي روز" ثلاثة مقاعد حول المائدة .. وثلاث صحاف للطعام..
وفي الصحيفة الثالثة رأت بطاقة .. وعلى البطاقة اسمها :
"نيلي روز" .!
يالله إذن فقد كان "جيرار" يترقب عودتها .! كان يعرف أنها ستحضر.. كان يعرف أنها ستنسى إساءته إليها .!
وثارت كبرياؤها .. لا .. إنها لن تبقى .. ستعود .. ستعود .. ولكنها كانت ثورة ميتة .. تألقت عيناها ونظرت إلى "لوبين" ..

وكانت الشمس قد انحدرت إلى المغيب .. وبدا الأفق كأنه قطعة متوهجة من اللهيب .

وانهمرت الدموع من عينيها .. في سكون .. ودعة .

ومدت يدها من تحت المائدة وأخذت بيد "لوبين" وغمغمت تقول في صوت خافت .

- سأبقى :

وفي ذلك الوقت كانت الأم ذات الشعور البيضاء الجميلة تلقي صلاتها قبل البدء في الطعام كأنما تبارك بهذه الصلاة تلك الرابطة المقدسة التي جمعت بين ابنها والفتاة التي يحب .

تمت بحمد الله"

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : باسم

دار ميوزيك

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠
٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠
٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦				

الإسم : ....

العنوان : ....

ص.ب .... المدينة : .... الرمز البريدي : ....

الدولة : ....

برجاء تحرير شيكات مصرفية مسحوبة على أي مصرف في لبنان

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

١	أرسين لوبين بوليس آداب	١٧	الباب الأحمر
٢	أرسين لوبين بوليس سري	١٨	البرنس ارسين لوبين
٣	الماسة الزرقاء	١٩	التاج المفقود
٤	ارسين لوبين رقم ٢	٢٠	الثعلب
٥	أرسين لوبين في السجن	٢١	الجائزة الأولى
٦	المعركة الأخيرة	٢٢	الجائزة الكبرى
٧	ارسين لوبين في موسكو	٢٣	الجاسوس الأعمى
٨	أرسين لوبين في قاع البحر	٢٤	الجثة المفقودة
٩	أرسين لوبين في نيويورك	٢٥	الجرائم الثلاثة
١٠	اسنان النمر	٢٦	الجريمة المستحيلة
١١	الميراث المشؤوم	٢٧	الجزاء
١٢	اصبع ارسين لوبين	٢٨	الجلاّد
١٣	لصوص نيويورك	٢٩	الخدعة الكبرى
١٤	اعترافات أرسين لوبين	٣٠	الخطر الأصفر
١٥	الإبرة المجوفة	٣١	الخطر الهائل
١٦	الإنذار	٣٢	الدائرة السوداء

٣٣	الرصاصة الطائشة	٥١	الغلاف الأزرق
٣٤	الرهان	٥٢	الفخ الرهيب
٣٥	الزمردة	٥٣	الفيل الأبيض
٣٦	الساحر العظيم	٥٤	القزم
٣٧	السر الرهيب	٥٥	القفاز الأسود
٣٨	السر في العين	٥٦	القفاز المسموم
٣٩	السر في القبعة		
٤٠	السهم القاتل		
٤١	السوق السوداء		
٤٢	الشريف		
٤٣	الصحفي المفقود		
٤٤	الصوت الغامض		
٤٥	الطائرة المحترقة		
٤٦	العقد المفقود		
٤٧	الغرفة الصفراء		
٤٨	الغرفة ٣٤		
٤٩	الغريقة		
٥٠	الغريمان		